أولويات التنمية في البلدان المتخلفة

الزراعة أم الصناعة؟ ولماذا؟

بقلم احمد الزعبي

يعتمد تقدم الامم وتطورها على تقدم وتطور مواطنيها وسكانها بصورة عامة، وعلى تنظيم وتنسيق فعالياتهم الانسانية، وعلى مقدرتهم على استغلال الامكانيات المتوفرة لهم. ونتيجة لانطلاق هذه الفعاليات تتحدد مسيرة النمو الاقتصادي والتطور الحضاري الذي يصيب قطر ما.

وقد تنبهت اليوم معظم امم الارض الى الصعوبات الاقتصادية والمشاكل الاجتماعية التي تعانيها، وخاصة تلك الامم المحرومة أو المتخلفة

والتي غفلت سنين طويلة وتأصلت جذور الأوبئة الاجتماعيـــة والاقتصادية والسياسية كالفقر والجهل والمرض والاستعمار الاقتصادي والثقافي الخ ... في ربوعها .

ولهذا نلاحظ ان شعارات التنمية أصبحت قاسما مشتركا بين مختلف الشعوب . ورغم وحدة هذه الشعارات توجد اختلافات مبدئية وشكلية في الاتجاهات والتطبيق لمعطيات التنمية . فالبعض يؤمن بأن التنمية هي التحرر السياسي والقضاءعلى الاستعمار ونيل الاستقلال، ويعتقدالبعض بأنها انشاءالصناعات الثقيلة أو الخفيفة ، كما ويراها البعض في بناء المستشفيات والمدارس والجامعات والانتقال من المناطق الريفية الى المدن او الى الاماكن الصناعية .

هذا ، وتمارس خطط التنميـــة ويتم تنفيذها في مجالات بناء السدود ومشروعات الري والتوسع الرأسي والافقي في مجال الانتاج الزراعيالخ ..

وبصورة عامة يعتقد علماء الاجتماع والسياسيون بأن التنمية هي التطور الاجتماعي والسياسي وبالتالي ترحيل المفاهيم الاجتماعية والشعارات السياسية نحو الهدف المنشود الذي يصاغ لهذا الغرض ، ومن جهة أخرى يعتقد علماء الاقتصاد بأن التنمية هي عبارة عن النمو الاقتصادي وان النمو الاقتصادي هو الاساس المتين للتطور والتقدم ولهذا فهم يولون عنايتهم لمقادير الدخول القومية وانتاجية الافراد والشعوب وتجميع الاموال وتوظيفها والموازين التجارية واتفاقيات الدفع الخ ...

وفيما يلي ندرج بعض التعاريف السائدة أو الشائعة لمفاهيم التنمية :

توجد عدة تعاريف أوعدة اتجاهات للتنمية الاقتصادية وهي كما يلي :

١ ـ تعرف التنمية بأنها الزيادة السنوية الحقيقية على دخل الفرد في قطر ما كأن يقال بأن معدل زيادة دخل الفرد السنوية تساوي ٣٪ أو ٥٪ خلال

الخمس عشرة السنوات المنصرمة في قطر ما ، وفي هذه الحالة يمكن الحكم بأن هذا القطر ينمو بمعدل ٤٪ أو ٥٪ ، وهذا التعريف اقتصادي بحت .

٢ – يتجه بعض علماء الاجتماع الاقتصاديين الى تعريف التنمية بأنها الزيادة المتحققة في الكفاءة الانتاجية للوحدة البشرية المنتجة (مواطن – مواطنة) . ولهذا التعريف أهميته الخاصة لأنه يستأصل وينفي وجود العوامل التي تؤثر على متوسط دخل الفرد وتزيده زيادة غير حقيقية كالارباح والاموال التي تتجمع لدى البيوتات التجارية والصناعية والمالية نتيجة لظروف وعوامل لاتمت بصلة لتطور مستوى معرفة المواطن العادي ومستوى مقدرته على الانتاج وبالتالي مستوى كفاءته الانتاجية .

٣ – تعتبر النظرية الماركسية أو الشيوعية العوامل المادية – الفنية (Material - Technical Factors) والعلاقات الاجتماعية الاقتصادية (Social - Economic Relations) أساساً للتنمية . ولهذا يعتقد الشيوعيون بضرورة خلق ظروف اولية لكي تتحقق التنمية ، مثل القضاء على العلاقات الناتجة عن وجود الملكية مهما كان نوعها ، وبالتالي ايجاد علاقات انتاجية كما يسمونها . اضف الى ذلك تركيز كافة قوى المجتمع الانتاجية ودفعها لتنمية هذا المجتمع ، وهذا يعني حصر مسؤولية التنمية بالدولة باعتبارها رب المجتمع واعتبار الفرد اداة انتاجية .

٤ – ظهر اتجاه جديد في السنوات الاخيرة بالنسبة لمفهوم التنمية الاقتصادية من حيث شمولها لمفهوم مستوى المعيشة وارتفاع هذا المستوى ضمن اطار الاقتصاد الوطني لقطر ما وذلك بالاضافة للزيادة في معدلات الانتاج والدخول وارتفاع الكفاءة الانتاجية للافراد أو للوحدات البشرية الانتاجية .

وهذا يشير الى أن التنمية الاقتصادية الفعالة تمتد لتشمل أكبر جزء ممكن

من السكان ان لم يكن السكان كافة وسائر مايتعلق بامكانياتهم ومستوى خبراتهم وفعالياتهم الانتاجية والاجتماعية والثقافية والحياتية بصورة عامة .

وبصورة عامة يجوز القول أنه لايمكن تحقيق التنمية عن طريق اتجاهات غير محددة أو غير واضحة أو من خلال برامج عارمة . اذ ان التنمية مشكلة بحد ذاتها ، ومن أصعب المشاكل التي تواجه اقتصاد الدول النامية ولايمكن ان تتم بين عشية وضحاها ، فالتصنيع وتحسين مستوى المعيشة والقضاء على الأمية والتقدم الزراعي والحيواني امور عويصة المنال ولابد من ايجاد الظروف المناسبة لها اولا . ومن ناحية اخرى ان توفر رأس المال اللازم للانطلاق أمر لامناص منه الا أنه لايكفي بحد ذاته ، فالذهب أو الدولار أو السدود والآلات أو المصانع والطرقات عبارة عن وسائل وليست أهدافاً بحد ذاتها .

أي أنه لابد من توفير الأيدي الخبيرة القادرة على استعمالها بما يحقق الفائدة منها ويؤدي الى التنمية الحق .

ولهذا ، ونظراً للتأخير والقصور الحضاريين اللذين تعانيها الشعوب المتخلفة في شتى الميادين وتدني فعالياتها الانتاجية والاستهلاكية وانخفاض مستوى معيشتها بصورة عامة ، ينبغي انتهاج سياسة حكيمة ، في وضع برامجها الانمائية . وعلى سبيل المثال ، لايمكن التركيز على اقامة حركة تصنيع سريعة بحجة ايجاد فرص للعمل ورفع مستوى المعيشة ، لأن التصنيع لايؤدي الى اطعام واكساء الشعب في بلد زراعي متخلف ترتفع فيه نسبة الامية ويعتمد اقتصاده على الزراعة بصورة رئيسية .

وطالما ان الزراعة هي المحور الاساسي للفعاليات الاقتصادية في البلدان المتخلفة وان الانتاج الزراعي هو العمود الفقري للدخل القومي فيها فلابد للحكومات والهيئات المسؤولة في هذه البلاد من اتخاذ الاحتياطات اللازمة كافة

عند وضع اية خطة انمائية سواء كانت خطة ثقافية او تشريعية أو مالية أو صناعية .. الخ .. وجمع المعلومات الكافية والاحصائيات الدقيقة وتحليلها وتبيان مدلولها من حيث الكشف والتنبؤ بنتائجها أو تأثيرها المباشر على النمو الاقتصادي بصورة عامة وعلى التطور الزراعي بصورة خاصة (سكان + امكانيات = انتاج).

اسس التخطيط الانمائي

١ — تقييم وتحديد مرحلي :

من مستلزمات التخطيط بصورة عامة والتخطيط الانمائي بصور خاصة ان تقترن أو تبدأ صياغة الخطة بتقييم وحصر كاملين لمستويات الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بما في ذلك رأس المال سواء كان مادياً أم بشرياً ، ومدى الكفاءة الانتاجية لرأس المال بصورة عامة وسائر المجالات وعلى المستويات كافة، وتبيان العلاقات الاحصائية في القطاعات الاقتصادية المختلفة من ناحية وبين كل منها والمستوى الاقتصادي العام ، وتبيان اوجه التفاوت الاقتصادي فيما بين هذه القطاعات واسباب ذلك .

وبصورة عامة يمكن قياس مستوى تقدم شعب ما أو مستوى تطوره أو تنميته باتباع احدى الطريقتين التاليتين أو كلاهما معاً :

١ — تقييم أو تقدير مستوى تطور الوحدات البشرية أو تقييم مستوى رأس المال الانساني .

٢ — تقييم أو تقدير مستوى النمو الاقتصادي للقطر .

طرق تقييم تطور الوحدات البشرية

يتفق علماء الاجتماع الاقتصاديين على قياس أو تقييم مستوى التطور أو التنمية للوحدات البشرية أو لرأس المال الانساني بواسطة معرفة الرصيد البشري

المتوفر في القطر او بمعرفة مستوى تطور هذا الرصيد وذلك اضافة الى معرفة الزيادة الصافية على هذا الرصيد مدة زمنية محددة أو بمعرفة معدل تطور مستوى هذا الرصيد نحو الاحسن .

وبالحصول على الاحصائيات المناسبة مثل نسبة عدد الافراد الذين يداومون على المدارس الابتدائية وأولئك الذين هم في المدارس الثانوية العامة والاختصاصية ونسبة الطلاب في الكليات الجامعية وبصورة عامة الكليات العلمية اضافة الى معرفة نسبة العلماء والاختصاصين كالمهندسين والاطباء الخ .. بالنسبة الى مجموع تعداد العمال وبمعرفة نسبة زيادة أصحاب المهن الاختصاصية العالية يمكن تحديد مستوى تطور الرأسمال البشري ومستوى معدل هذا التطور وبصورة عامة تجري الاحصائيات التالية :

١ — عدد الاساتذة والمعلمين بالنسبة لكل عشرة آلاف مواطن

٢ — عدد العلماء والمهندسين بالنسبة لكل عشرة آلاف مواطن

٣ — عدد الاطباء وأطباء الاسنان بالنسبة لكل عشرة آلاف مواطن

٤ — نسبة الابناء في المدارس الابتدائية والمتوسطة (١٤ سنة) الى مجموع السكان الذين هم فيما بين السنة الخامسة والسنة الرابعة عشرة من عمرهم .

٥ — نسبة الابناء في المدارس الثانوية (١٥ — ١٩) الى مجموع السكان الذين هم فيما بين السنة الخامسة عشرة من عمرهم (١٥ — ١٩)

٧ — نسبة الامية .

تقدير أو تقييم النمو الاقتصادي :

يقاس النمو الاقتصادي عادة وفقا للنحو التالي :

١ — بمعرفة مايصيب الفرد الواحد من الانتاج القومي مقدرا بالدولار في السنة الواحدة، وهذا يستدعي معرفة الدخل القومي وما يعادله بالدولار بالسعر السائد ثم تقسيم الحاصل على مجموع السكان .

٢ – بمعرفة نسبة الوحدات البشرية المنتجة العاملة في القطاع الزراعي.

٣ – أوجه الانفاق العام على مختلف القطاعات والمقارنة بينها بما في ذلك الخدمات .

٤ – نسبة السكان ذوي العمر (٥ – ١٤) الى مجموع السكان .

وهذا يفيد في معرفة مالدى الشعب من قوى المستقبل أو مالديه من رصيد شباب يمكن توجيهه الوجهة الصحيحة المثلى بشكل تنعكس نتائجه ايجابيا على مستوى التطور . وعلى سبيل الذكر ان جميع الامم تولي عنايتها لهذا الجيل، فمثلا يقال ان روسيا هي عالم الطفل وان الولايات المتحدة هي عالم الطفل والمرأة .. الخ .. وتأثيرهذا العامل على التنمية تأثير بين وخاصة فيما يتعلق بالانفاق وتوسيع الاعتمادات في مجال الخدمات التعليمية والتخطيط لخلق زراعة وصناعة فنيتين الخ ..

وبعد تحديد العلاقات الاحصائية اللازمة لتقدير مدى تطور رأس المال البشري ومعدل تطوره ومدى النمو الاقتصادي لبلد ما ، يمكن تحديد درجة تنمية او تقدم هذا البلد .

وعلى الصعيد العملي فقد قام الاستاذ فردريك هاريسون ورفاقه باجراء دراسات احصائية واسعة المدى ووضعوا مقاييس كمية رقمية لقياس مستوى تنمية رأس المال البشري واخرى لقياس درجة النمو الاقتصادي ثم وضعت مقاييس عامة مشتركة . وبموجب هذه الدراسات فقد قسم العالم الى أربع مجموعات وهي كما يلي :

١ – تحت مستوى التنمية (*)	Under developed
٢ – نامية جزئيا	partially - developed
٣ – نصف نامية (*)	Semi - advanced
٤ – نامية	Advanced

(*) متخلّفة .
(*) متقدّمة .

تقع سورية في المرتبة الثانية أي انها تعتبر دولة نامية نسبياً وهي في هذا الصدد بلد زراعي ويعمل في الزراعة فيها أكثر من ٦٥٪ من مجموع السكان ولا يزيد متوسط الدخل السنوي للفرد عن (١٨٠) دولار أمريكي . هذا مع وجود بعض الصناعات الخفيفة كصناعة الغزل والنسيج والاسمنت والمطاحن وبعض الصناعات التحويلية .

٢ — تحرير اهداف خطط التنمية :

قبل البدء في وضع الخطط الانمائية تحدد عادة أهدافها العريضة ثم تجري الدراسات المناسبة لصياغة هذه الأهداف صياغة رقمية . هذا وتوجد عدة طرق لصياغة أهداف خطط التنمية أو لتحديد احتياجات المستقبل وباعتقادنا أن تغير الكفاءة الانتاجية أو تطور زيادتها مجال حيوي في هذا الشأن . ولمعرفة تطور الكفاءة الانتاجية Changes in Productivity لابد من دراسة ومعرفة مايلي :

١ — دراسة وتقييم مستوى رأس المال البشري وفقاً لما بينا وذكرنا .

٢ — دراسة الفعالية الانتاجية للشعب .

٣ — دراسة ومعرفة مستوى الدخل للعاملين في كل قطاع من قطاعات الاقتصاد الوطني على أساس القطر وعلى أساس المحافظات .

٤ — دراسة ومعرفة مجموع الأموال الموظفة في الاقتصاد الوطني وفي كل قطاع من قطاعاته وذلك بالنسبة لمستوى الكفاءة الانتاجية في كل قطاع .

٥ — كيفية توزيع الأموال الموظفة على أجزاء القطاع الواحد .

٦ — معرفة القدرة الحالية على تزويد المجتمع بالخبرات بالنسبة لكل قطاع من قطاعاته الاقتصادية .

٧ — تحدد أوجه الضعف والقصور الاقتصاديين وتعالج بموجب الخطط الانمائية .

وبما لاشك فيه أن التخطيط الانمائي في القرن العشرين قد اخذ طابع المزاودات السياسية وبالتالي فكثيراً ما توضع خطط انمائية عملاقة وموازنات انمائية ضخمة لغير صالح الشعوب .

٣ — التمويل :

من المعروف أن التنمية الاقتصادية في مشكلة حد ذاتها، وخاصة فيما يتعلق بالمفاضلة بين تخصيص امكانيات البلدان الجزئية بالنمو أو المتخلفة بصورة عامة لاغراض التنمية وبين حاجات الشعب الاستهلاكية والخدمات الضرورية التي لابد والحالة هذه من تقليصها من أجل تأمين المال اللازم لتمويل الخطة .

وقد جرت العادة على تأمين التمويل اللازم للخطط الانمـــائية من توفير المواطنين الفردي ومن فائض الدخل القومي الخ ... الا أن الوضع يختلف في البلدان المتخلفة بصورة عامة وذلك على اعتبار أن المتطلبات الاستهلاكية كثيرة في هذه البلاد بالنسبة لمستوى الدخل المنخفض في الأصل وهذا لا يدع مجالاً للتوفير الفردي على نطاق واسع وان وجدت الأموال فانها تستعمل غالباً في مجالات غير انتاجية كالابنية واكتناز الذهب وغير ذلك من الاستثمارات غير الانتاجية ورغم ذلك نعتقد بأنه لامجال للدول المتخلفة لتمويل خططها الانمائية دون تقليص قدرتها الاستهلاكية وتوفير الاموال اللازمة وتوجيه كافة الامكانيات المـــادية نحو الاستثمارات الانتاجية او الاعتماد كلياً على المساعدات والهبات والقروض الاجنبية ولهذا الاتجاه محاذير كثيرة .

افضليات توزيع الاعتمادات الانمائية

سبق وان نوهنا بأن توفير الاعتمادات الانمائيـة في الدول المتخلفـة ليس بالامر السهل وان توفر التمويل الانمائي الذاتي هو تمويل محدود ولهذا يعتبر توقيـع الاعتمادات الانمائية او توزيعها على القطاعات الاقتصادية المختلفة من الامور التي

تستدعي الحذر والانتباه الشديدين لما لذلك من اهمية بالنسبة لتحقيق اهداف التنمية البعيدة المدى ونظراً لأن الحكومات هي التي توجه كافة الفعاليات الاقتصادية في البلدان المتخلفة بصورة عامة والبلدان الاشتراكية المتخلفة بصورة خاصة .

أي أن الحكومات هي المحرض الأول للتنمية وهي الادارة الرئيسية لها. وفي هذا المجال ان أول صعوبة تواجه توزيع الأموال الانمائية هي كيفية استعمال فائض رأس المال البشري الذي يعيش في القطاع الزراعي ، وبعبارة اخرى هل ينبغي توظيف الاموال لتنمية الزراعة ام لتنمية الصناعة التي يمكن ان تمتص فائض اليد العاملة . وباعتقادنا ان تنمية القطاعين معاً أمر ضروري وخاصة اذا ماوجد التكامل بينهما اذ انه يمكن للصناعة امتصاص البطالة المقنعة في الريف وزيادة القدرة الشرائية للمواد الغذائية الذي يثبت دعائم ضرورات التنمية الزراعية. ولهذا لابد من توجيه العناية للقطاعين معاً مع اعتبار ان تطوير الزراعة وتنمية الصناعات الزراعية والريفية هما الاساس والقاعدة التي ينبغي الانطلاق منها في البلدان المتخلفة . وفيما يلي ندرج الاسباب المبررة لهذا الاتجاه :

١ ــ ان تنظيم الاقطار المتخلفة تعتمد على الزراعة في تدعيم اقتصادها ودخلها القومي .

٢ ــ يعمل مالا يقل عن نصف شعوب العالم المتخلفة في الزراعة .

٣ ــ يعتبر تصدير الحاصلات الزراعية الاسلوب الرئيسي لجلب القطع النادر وبالتالي توظيفه لخلق رأسمال انتاجي وزيادة ورفع مستوى التصنيع .

٤ ــ ان تطور الزراعة وميكنتها عامل اساسي في توفير اليد العاملة للصناعة .

٥ ــ ان زيادة وارتفاع الكفاءة الانتاجية للعاملين في الزراعة وزيادة الانتاج وتحسين نوعيته من شأنه توفير وتلبية الحاجات النقدية للمجتمع وتوفير المواد الاولية اللازمة للصناعة بصورة مستقرة ومستمرة .

٦ – يعتبر تطور الزراعة عاملاً أساسياً لتوسيع آفاق السوق الاستهلاكية للمنتجات الصناعية .

هذا ونعتقد أن على الدول المتخلفة ان تنمي الزراعة والصناعة معا بحيث ينتج من ذلك تكامل اقتصادي يؤدي الى امتصاص فائض رأس المال البشري .

وان وجدت بعض الحالات التي تفتقر فيها البلدان المتخلفة الى اليد العاملة (مثل سورية بالمقارنة مع مصر او الهند) فلا بد وان تعطى افضلية التنمية الى الزراعة، وذلك كي تتاح الفرصة لتزويد الصناعة باليد العاملة اللازمة لها. ومما لاشك فيه انه يتوجب الابتعاد عن المبالغة في تنمية القطاعات الصناعية والصناعات الثقيلة في البلدان المتخلفة على حساب تنمية قطاعات الزراعة وزيادة الكفاءة الانتاجية للعاملين بالزراعة وخاصة عندما لا توجد المبررات الصحيحة .

التوازن في التنسيق بين الزراعة والصناعة

لقد نوهنا بأن الزراعة اولا والصناعة ثانيا في مجال التنمية في البلدان المتخلفة الا انه ولكي تكون الانطلاقة صحيحة لابد من ايجاد نوع من التوازن فيما بين هذين القطاعين أي أن قيام بعض الصناعات امر ضروري للزراعة لا بل ومنشط لتنميتها وتطورها – كالصناعات الزراعية التحويلية – ولا سيما اذا بذلت العناية الكافية لجعل المنتجات في مستوى نستطيع معه دخول الاسواق الخارجية .

اذ ان مثل هذه الصناعات تستطيع امتصاص اليد العاملة من ناحية وتؤدي الى زيادة استهلاك المواد الزراعية وتصديرها وجلب القطع النادر من ناحية أخرى وبصورة عامة تنشأ الصناعات الزراعية التي تمتص اكبر عدد ممكن من العمال وتحتاج لأقل رأسمال ممكن (ضمن الطاقة الانتاجية للمعمل) .

هذا وبالمقابل فانه توجد بعض الصناعات التي لا تؤدي لنمو الزراعة

وتطورها ، ومثل ذلك صناعة الدابكرون في بلد زراعي كسورية تشتد حاجته الى الاسمدة وغربلة حبوبه قبل تصديرها .

وختاما نعتقد بضرورة اعطاء افضلية التنمية للقطاع الزراعي في البلدان المتخلفة والحرص على قيام الصناعات الضرورية والتي من شأنها افادة الغالبيـــة العظمى من السكان ودفع عجلة تطورهم وزيادة دخلهم ورفع مستوى معيشتهم وزيادة الدخل القومي .

ونشير الى ان التنمية الفعلية ــ وخاصة الذاتية التمويل ــ تحتاج الى استقرار اجتماعي وسياسي وجهازي واداري ودأب وجهد لايفنيان .

الأمم المتحدة

وتصفية الاستعمار

بقلم محمد سمير منصوري

تضمن ميثاق الامم المتحدة الذي تعهدت الدول الاعضاء في المنظمة باحترامه وتطبيق مواده نصوصا تشير الى « احترام المبدأ الذي يقضي بالمساواة في الحقوق بين الشعوب وبان يكون لكل منها حق تقرير مصيرها »[1] ، ولم يكن من السهل اليسير ادراج مثل هذا النص في الميثاق ، وانما كان كغيره من المواد الكثيرة حلا وسطا جاء نتيجة المفاوضات والمباحثات الطويلة ، اذ عند وضع بنود الميثاق لحظ ممثلوا أكثرية الدول المجتمعة في مدينة

(١) ورد هذا النص في كل من المادتين ١ و ٥٥ من ميثاق الامم المتحدة .

سان فرنسيسكو عام ١٩٤٥ ان كثيرا من الشعوب كانت غير قادرة على استكمال أسباب سيادتها وحكم نفسها بنفسها نظرا لطبيعة التأخر السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي كانت تعانيه ، وفضلا عن ذلك فان بعض الدول التي خرجت من الحرب العالمية الثانية كانت تراودها احلام ابقاء بعض الشعوب والمناطق تحت سيطرتها ونفوذها لغايات عديدة منها الامل في استغلال الثروات الطبيعية الدفينة لهذه المناطق البكر ، او لأهمية موقعها الستراتيجي . ولقد ادت مصالح الدول المتضاربة الى انقسام موقفها ازاء هذه الشعوب والمناطق واختلفت تبعا لذلك ، فلقد طالبت الولايات المتحدة الامريكية بوضعها تحت اشراف الامم المتحدة ، بينما طالب الاتحاد السوفياتي بتحريرها تحريرا كاملا ، ووقف فريق ثالث من الدول يطالب بوضعها تحت اشرافهم وسيطرتهم المباشرة معتبرا انها لاتزال مستعمرات غير جديرة بالاستقلال ، ولقد قدر آنئذ عدد سكان هذه المناطق غير المستقلة بحوالي ٢٢٠ مليون نسمة .

ولم يجد المؤتمرون بدا من اللجوء الى الحل الوسط لارضاء جميع الاتجاهات ، فاستبعدوا كلمة «مستعمرات » من تعابيرهم لشعورهم بفرط الحساسية ضدها ، واستبدلوا بها عبارة اشد نعومة وارق سمعا وهي « الاقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي » وضمنوا الميثاق فصلا خاصا (الفصل الحادي عشر) يبحث في واجبات والتزامات الدول المستعمرة تجاه هذه الاقاليم من حيث توطيد السلم والامن الدولي ، وتقديم معلومات اقتصادية واجتماعية وتعليمية عن هذه الاقاليم الى الامم المتحدة ، وكما قبل الاعضاء في المنظمة « امانة مقدسة في اعناقهم الالتزام بالعمل على تنمية رفاهية اهل هذه الاقاليم الى اقصى حد مستطاع في نطاق السلم والامن الدولي « وتعهدوا بان يكفلوا تقدم هذه الشعوب في شؤون السياسة والاقتصاد والتعليم والاجتماع . » (١)

وبالاضافة الى ذلك فقد لجأ المؤتمرون في سان فرنسيسكو الى تضمين الميثاق مواد جديدة في الفصلين الثاني والثالث عشر ، تبحث في نظام جديد اطلقوا عليه اسم « نظام الوصاية » وهو يشبه الى حد كبير « نظام الانتداب » الذي اوجدته عصبة الامم المتحدة بعد الحرب العالمية الاولى ، الا انه يعطي الامم المتحدة تحولا واختصاصا ووظائف اوسع مما كان لعصبة الامم ، كما اوضحوا ان الغاية من هذا النظام هي تطبيقه على البلاد التي كانت خاضعة لنظام الانتداب والتي لم تصبح اعضاء في الامم المتحدة ، وكذلك على الاقاليم التي اقتطعت من دول الاعداء نتيجة الحرب العالمية الثانية ، والاقاليم التي توضع اختيارا تحت نظام الوصاية(٢) .

(١) المادة ٧٣ من الميثاق .
(٢) المادتان ٧٧ و ٧٨ من الميثاق .

وهكذا فقد ميّز الفصل الحادي عشر عن الفصلين التاليين له بأنه اعطى حق السيادة على الاقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي للدولة المسؤولة عن الادارة ، في حين ان نظام الوصاية لم يمنح هذا الحق للدول الوصية على الاقاليم الموصى عليها .

الاقاليم الخاضعة لنظام الوصاية

أشار الميثاق الى ان نظام الوصاية يطبق بمقتضى اتفاقيات الوصاية توضع لكل حالة على حدة من (الاقاليم المشمولة بالوصاية) ، واوجب تضمين هذه الاتفاقيات الشروط الواجب اتباعها في ادارة هذه الاقاليم والسلطة التي تتولى هذه الادارة ، ولم يفرق الميثاق او يشترط في كون هذه الادارة دولة واحدة او مجموعة من الدول او الامم المتحدة ذاتها .

وبالاستناد الى ذلك ، وحتى نهاية عام ١٩٥٨ ، وقعت الجمعية العامة احد عشر اتفاقاً قدمتها لها الدول التي تتولى الادارة في هذه الاقاليم ، تتعلق عشرة منها بالاقاليم التالية :

الاقاليم الموصى عليها	المساحة بالاميال المربعة	عدد السكان	السلطة التي تتولى الادارة
تنجانيكا	٣٣٠،٠٠٠	٧،٤٠٠،٠٠٠	بريطانيا
رواندا — اوروندي	٢٠،٥٠٠	٣،٩٦٠،٠٠٠	بلجيكا
الكمرون	١٦٦،٤٨٩	٣،٠٠٠،٠٠٠	فرنسا
الصومال	١٩٤،٠٠٠	١،٣٦٦،٠٠٠	ايطاليا
الكمرون	٣٤،١٣٦	١،١٦٠،٠٠٠	بريطانيا
غينيا الجديدة	٩٣،٠٠٠	١،٠٠٠،٠٠٠	استراليا
توغولاند	٢١،٨٩٣	٩٩٩،٠٠٠	فرنسا
جزر المحيط الهادي	٦٧٧	٥٥،٠٠٠	الولايات المتحدة الامريكية (١)
صاموا الغربية	١،١٣٣	٨٥،٠٠٠	نيوزيلاندة
نورو	٩	٣،٤٣٢	استراليا (٢)

(١) اصرت الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية على اعتبار هذه الجزر من الاقاليم المشمولة بالوصاية والمتمتعة «بموقع استراتيجي» ، الامر الذي يضعها تحت اشراف مجلس الامن بموجب المادة ٨٣ من الميثاق في كل ما يتعلق بشروط اتفاقيات الوصاية وتنفيذها او تغييرها . وقد وافق مجلس الامن في نيسان ١٩٤٧ على اتفاقية تقضي بتعيين الولايات المتحدة الامريكية وصية على هذه الجزر وبذلك تمكنت امريكا من فرض سيطرتها على هذه الجزر عن طريق الفيتو الذي تملكه في مجلس الامن .

(٢) تتولى الادارة في هذا الاقليم استراليا بالنيابة عن بريطانيا ونيوزيلاندة .

أما توغولاند التي كانت تحت الادارة البريطانية فقد كانت أول منطقة خاضعة لنظام الوصاية يجري فيها استفتاء عام تحت اشراف الامم المتحدة لمعرفة رغبات الشعب ، ولتحقيق هدف الميثاق من « حكم ذاتي او استقلال » ، وقد تم هذا الاستفتاء في شهر أيار عام ١٩٥٦ وجاءت النتيجة تطالب بالوحدة مع ساحل الذهب عند استقلال هــذا الاقليم وحصوله على كيانه كدولة جديدة مستقلة ذات سيادة ، وفعلاً انضمت توغولاند البريطانية الى هذا الاقليم عندما اعلن استقلاله كدولة باسم (غانا) في شهر آذار ١٩٥٨ .

كذلك فقد اجري الاستفتاء تدريجياً في عدد آخر من الاقاليم ، فحصل بعضها على الاستقلال وانضم بعضهـــا الآخر الى دول مستقلة ، وهكذا ومع نهاية عام ١٩٦٢ لم يبق من الاقاليم المشمولة بالوصاية سوى ثلاثة فقط هي غينيا الجديـــدة وجزر المحيط الهادي ونورو ، ولا زالت امورها تبحث في مجلس الوصاية .

وتجدر الاشارة الى ان اقليم جنوب غربي افريقية الذي كان مشمولاً بنظـــام الانتداب الذي فرضته عصبة الامم ، واوكلت ادارته لحكومة جنوب افريقية ، لم يوضع تحت نظام الوصاية ، كما لم يحصل على الاستقلال ، بسبب رفض حكومة جنوب افريقية ذلك ، كما رفضت الاعتراف بأية التزامات دولية تجاه هذا الاقليم بعد زوال عصبة الامم ، وقد استمر هذا الرفض على الرغم من صدور قرار استشاري عن محكمة العدل الدولية عام ١٩٥٠ يقضي باستمرار الالتزامات الدولية على حكومة جنوب افريقية تجاه اقليم جنوب غربي أفريقية ، واضافت محكمة العدل بان وظائف الاشراف والمراقبة على هذه الادارة تعود الى الامم المتحدة بعد زوال عصبة الامم من الوجود ، ولايزال الامر موضع نقاش مستفيض في مجالات الامم المتحدة كل عام رغم صدور قرار آخر من محكمة العدل الدولية بتأكيد رأيها .

مجلس الوصاية

لم يشأ واضعوا الميثاق ترك الامر بصورة مطلقة الى الدول الوصية لتتصرف وفق رغباتها ، فأحدثوا مجلساً للوصاية ، واعتبر هذا المجلس أحد الأقسام الرئيسية في جهـــاز الأمم المتحدة ، وكلف بمسؤولية ومراقبة ومناقشة تقارير الدولة الوصية عن تقدم أهالي الاقاليم الموضوعة تحت الوصاية ، وتلقي الشكاوى من سكانها ، والقيام بزيارات دورية لها ، ولقد نصت المادة ٨٦ من الميثاق على تشكيل مجلس الوصاية على النحو التالي :

١ — الاعضاء الذين يتولون ادارة اقاليم مشمولة بالوصاية

٢ – الاعضاء الذين لايتولون ادارة اقاليم مشمولة بالوصاية ولكنهم اعضاء دائمون في مجلس الأمن .

٣ – الاعضاء الذين تنتخبهم الجمعية العامة للأمم المتحدة لمدة ثلاث سنوات بنسبة تجعل من اعضاء مجلس الوصاية فريقين متساويين في العدد، أحدهما الاعضاء الذين يقومون بادارة الاقاليم المشمولة بالوصاية ، والآخر الاعضاء الذين لايقومون بتلك المهمة .

ويعقد مجلس الوصاية عادة جلساته في كانون الثاني وحزيران من كل عام ، ولكل دولة عضو فيه صوت واحد ، كما أن قراراته تتخذ بأغلبية الاصوات .

ولقد كان لدور الجمهورية العربية السورية ونشاطها الفعال في المجال الدولي، ومواقفها المؤيدة لتحرير الشعوب ، اثر بارز في انتخابها لعضوية مجلس الوصاية ، وعندما شارفت مدة هذه العضوية على الانتهاء في نهاية عام ١٩٥٥ ، اعيد انتخابها مرة ثانية تقديرا لمابذلته من جهد وما ابدته من تفهم وعطف على قضايا تحرير الشعوب .

ويمكن لنا ان نلخص أهداف نظام الوصاية كما جاءت في المادة ٧٦ من الميثاق بالنقاط التالية :

١ – توطيد السلم والأمن الدولي .

٢ – التقدم بأهل البلاد الواقعة تحت الوصاية نحو الحكم الذاتي أو الاستقلال .

٣ – التشجيع على احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية للجميع .

٤ – ضمان المساواة في المعاملة في الأمور الاجتماعية والاقتصادية والتجارية لجميع اعضاء « الامم المتحدة » ولرعاياهم والمساواة بين هؤلاء الأهالي في القضاء .

حصيلة الكفاح

على الرغم من وجود بعض نقاط ضعف في مجلس الوصاية ، فقد أدى هذا المجلس دوره في تحقيق استقلال غالبية الاقاليم التي كانت خاضعة لنظام الوصاية، كما كان لانتشار فكرة الحرية والاستقلال بين الشعوب الآسيوية والافريقية ، وخاصة في النصف الثاني من القرن الحالي ، بالاضافة الى الدور الهام الذي تقوم به الامم المتحدة في مساعدة الحركات الهادفة الى الاستقلال في الاقاليم المشمولة بالوصاية والاقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي اثرها الفعال في تحرر مناطق كثيرة من قيود الاحتلال والاستغلال لتصبح دولا مستقلة ذات سيـــادة ، ولقد ارتفع عدد الدول الاعضاء في الامم المتحدة الى أكثر من الضعف منذ

انشائها حتى الآن ، إذ كان عدد الدول التي وقعت في مدينة سان فرنسيسكو بتاريخ ٢٦/٦/١٩٤٥على ميثاق انشاء الامم المتحدة خمسون دولة فقط ، وخلال المدة بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٥٨ انضمت ٣٢ دولة جديدة ، في حين أنه في عام ١٩٦٠ وحده حصلت قبرص مع ١٦ دولة افريقية جديدة على الاستقلال وانضمت جميعها الى الامم المتحدة التي بلغ عدد أعضائها في نهاية الدورة التاسعة عشرة (آذار ١٩٦٥) ١١٤ دولة .

لجنة تصفية الاستعمار

وعلى الرغم من هذا التقدم والتطور السريع في استقلال العديد من الدول ، فان الكثيرين من المراقبين والنقاد والسياسيين اعتبروا حتى عام ١٩٦٠ ان اعمال مجلس الوصاية ، واللجان الفرعية الأخرى في الامم المتحدة غير كافية او مرضية ، وانه لابد من اتخاذ اجراء ما لتصفية الاستعمار في العالم بجميع أشكاله وبصورة سريعة، خاصة وان مجلس الوصاية كان واقعاً تحت سيطرة الدول الاستعمارية بحكم تشكيله اذ تملك فيه هذه الدول نصف الاصوات . كما أن كثيراً من الثورات ومعارك النضال من اجل الحرية التي يحاول الاستعمار قمعها بالقوة والسلاح في كثير من المناطق انما تطلبت تدخل الامم المتحدة ،اكثر من مرة وفي أكثر من اقليم،الطلب من الدول المستعمرة الكف عن اعمال القمع والاضطهاد لهذه الحركات والافراج عن المسجونين السياسيين وحثها على التقدم بهذه البلاد نحو الاستقلال معتبرة ان مثل هذه الاعمال انما تعتبر تهديداً للسلم والامن الدوليين .

وهكذا فقد اقترح الرئيس خروتشوف بتاريخ ٢٣/٩/١٩٦٠ خلال اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الخامسة عشرة ، اتخاذ قرار يقضي بمنح الاستقلال لجميع البلدان والشعوب المستعمرة ، ومن البديهي ان يلاقي هذا الاقتراح مقاومة شديدة في الجمعية العامة ، الا ان الغلبة كانت لصالح الشعوب التي تعاني نير الاستعمار ، اذ تبنت الجمعية العامة بتاريخ ١٤/١٢/١٩٦٠ بعد مناقشة حامية مشروع قرار قدمته ٤٣ دولة آسيوية وافريقية وذلك باغلبية ٨٩ دولة وامتناع ٩ دول عن التصويت في حين لم يصوت احد ضد القرار، وقد اعتبر هذا القرار من اعمال الامم المتحدة البارزة الكبرى في سبيل تحقيق مقاصد الميثاق واهدافه، كما عرف فيا بعد باسم « اعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة» (القرار رقم ١٥١٤ الدورة ١٥) ، ومن المفيد أن نورد ما جاء في متنه ايضاحاً لموقف الامم المتحدة من الاستعمار بجميع اشكاله :

ان الجمعية العامة

تعلن رسمياً ضرورة وضع حد بسرعة وبدون قيد او شرط للاستعمار بجميع صوره ومظاهره ولهذا الغرض تعلن مايلي :

١ – أن اخضاع الشعوب لاستعباد الاجنبي وسيطرته واستغلاله يشكل انكارا لحقوق الانسان الاساسية ، ويناقض ميثـاق الامم المتحدة ، ويعيق قضية السلم والتعاون العالميين .

٢ – لجميع الشعوب الحق في تقرير مصيرها ، ولها بمقتضى هذا الحق ان تحدد بحرية مركزها السياسي وتسعى بحرية الى تحقيق انمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي .

٣ – ينبغي الا يتخذ ابدا نقص الاستعداد في الميدان السياسي او الاقتصادي أو الاجتماعي أو التعليمي ذريعة لتأخير الاستقلال .

٤ – يوضع حد لجميع أنواع الاعمال المسلحة والتدابير القمعية ، الموجهة ضد الشعوب غير المستقلة ، وذلك لتمكينها من الممارسة الحرة السلمية لحقها في الاستقلال التام ، وتحترم سلامة اقليمها القومي .

٥ – يصار الى اتخاذ التدابير الفورية اللازمة في الاقاليم المشمولة بالوصاية او الاقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي ، او جميع الاقاليم الاخرى التي لم تنل بعد استقلالها ، لنقل جميع السلطات الى شعوب تلك الاقاليم ، دون قيد أو شرط ووفقا لارادتها ورغبتها المعرب عنها بحرية ، دون تمييز بسبب العرق او المعتقد او اللون ، لتمكينها من التمتع بالاستقلال والحرية التامين .

٦ – كل محاولة تستهدف التقويض الجزئي او الكلي للوحدة القوميـة والسلامة الاقليمية لاي بلد ، تكون متنافية ومقاصد ميثاق الامم المتحدة ومبادئه .

ورغم جميع الجهود التي بذلت لاخراج هذا القرار الى حيز الوجود ، فقد بقي عاما كاملا دونما اثر ، كما لم يوضع موضع التنفيذ ، بل ان اعمال الاضطهاد والقمع للحركات التحررية وقادتها من قبل المستعمرين استمرت في كثير من المناطق المستعمرة ، الامر الذي دعا الجمعية العامة بناء على طلب من ممثلي ٣٨ دولة اسيوية وافريقية ، الى اتخاذ قرار يقضي بتشكيل لجنة خاصة من ١٧ عضوا يعينهم رئيس الجمعية العامة وكلفت هذه اللجنة « تحري تطبيق الاعلان ، وتقديم الاقتراحات والتوصيات اللازمة بشأن تقدم ومدى تنفيذ الاعلان » ، كما طلب منهـا تقديم تقريرها الى الجمعية العامة في دورتها السابعة عشرة وقد اعلن رئيس الجمعية العامة بتاريخ ١٩٦٢/١/٢٣ تعيين اعضاء اللجنة الخاصة والتي عرفت باسم لجنة تصفية الاستعمار ، واختار الجمهورية العربيـة السورية وتونس لتمثلا البلاد العربية فيها بالاضافة الى كل من استراليا ، كمبوديا ، اثيوبيا ، الهند ، ايطاليا ، مدغشقر ، مالي ، بولونية ، تنجانيكا ، الاتحاد السوفياتي ، بريطانيا ، الولايات المتحدة الامريكية ، اورغواي ، فنزويلا ، يوغوسلافيا ، وفي مطلع عام ١٩٦٣ ، بعد

ماتقرر توسيع عضوية هذه اللجنة وجعلها مؤلفة من ٢٤ دولة مع تمديد مدة عملها ، اضيفت كل من العراق ، بلغاريا ، شيلي ، الدانمرك ، ايران ، ساحل العاج ، سيراليون .

عندما بدأت اللجنة اعمالها في شهر شباط ١٩٦٢ ،كان جدول اعمالها حافلا بالمناطق والاقاليم غير المستقلة،ولقد اتضح من قائمة وضعتها سكرتارية الامم المتحدة في نيسان ١٩٦٣ ان هناك ٦٤ اقليماً ينطبق عليها اعلان منح الاستقلال .

ولقد تناولت اللجنة بالبحث منذ انشائها حتى الآن ، الاوضاع القائمة في كل من روديسيا الجنوبية ، روديسيا الشمالية ، نياسالاند ، باسوتولاند ، بتشوانالاند ، سوازيلاند ، زنجبار ، غامبيا ، موزامبيق ، جنوب غربي افريقية ، كينيا ، انغولا ، وجميعها من الاقاليم الهامة في افريقية ، كذلك بحثت اللجنة في اوضاع كل من عدن ، مالطا ، غيانا المسماة بالبرتغالية ، فيجي ، سنغافورة ، جبل طارق ، جزر سيشيل وسانت هيلين وغيرها من المناطق .

ولم تقتصر اللجنة في اعمالها على المناقشات التي اجرتها بل عمدت الى عقد بعض اجتماعاتها في عدد من المدن الافريقية ، واستمعت الى اصحاب الشكاوى من الاقاليم التي لم تحصل على حكمها الذاتي حيث عرض الشاكون امام اللجنة الوضع الاستعماري الذي يعانيه بلدهم كما طالبوا اللجنة بالتدخل لانقاذه ، كما ان اللجنة ارسلت الوفود الفرعية المختلفة بغية تقصي الحقائق وجمع المعلومات والاطلاع على الاوضاع عن كثب تنفيذاً للمهمة الكبرى الملقاة على عاتقها (لجنة عدن الفرعية ، ولجنة روديسيا الجنوبية الفرعية وغيرها) وعلى الرغم من كل ذلك فان لجنة تصفية الاستعمار تواجه مشاكل عديدة اهمها تحديد مصير الجزر الصغيرة في المساحة والضئيلة في عدد السكان والمنتشرة عبر الاميال الواسعة في المحيط . وكذلك تحديد مصير عدد آخر من الاقاليم المتنازع عليها من قبل بعض الدول التي تدعي كل منها بحق هذا الاقليم بسيادتها، ومنها مثلاً جبل طارق وافني والصحراء الاسبانية وجزر فالكلاند وغيرها .

وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت الى اللجنة والتي تركزت على بطئها في اعمالها من جهة ، وعلى عدم وجود قوة تنفيذية لقراراتها التي لاتتعدى حدود التوصيات المقدمة الى الجمعية العامة لاقرارها من جهة اخرى ، فان بعضاً من الاقاليم التي ادرجت في جدول اعمالها قد حصلت على استقلالها فعلاً وانضمت الى الامم المتحدة ، في حين لازال بعضها الآخر يكافح داخلياً بالسلاح لكسب معركته ، ويطالب دوليا الامم المتحدة بدعمه وشد أزره في القضاء على الاستعمار للحصول على حريته ، ولازال الأمل الكبير معقوداً على لجنة تصفية الاستعمار لتحقيق مطالب هذه الشعوب .

لغة العلوم

— ٦ —

توالي (المعرفة) نشر اجوبة الأساتذة الباحثين والجامعيين في موضوع اللغة العربية ، وتدريس العلوم الجامعية ، وفيما يلي جواب الدكتور المهندس محمد بشير مكي الأستاذ في كلية الهندسة في حلب، وجواب الطبيب الدكتور عزة الطباع رئيس المستشفى العيني بدمشق .

المهندس الدكتور محمد بشير مكي

اشكر الاخ رئيس التحرير على توسيع باب النقاش في هذا الموضوع الهام لتوضيح جوانب هذه القضية ، بغية اتخاذ سياسة للتعليم الجامعي مبنية على آراء وتجارب العاملين في هذا المجال ، بما يكفل تطور المستوى العلمي وضمان تحررنا ، ودفع الاجيال نحو آمال عريضة طموحة للمساهمة في ركب الحضارة والتقدم ، دون ترك شعور بالنقص في لغتهم ، وبكفاءتهم ومقدرتهم على تذليل الصعاب وتطويعها .

لقد اخذ هذا الموضوع شطرا كبيرا من النقاش في لجنة كلية العلوم المؤلفة من بعض اعضاء الهيئة التدريسية في كليتي الهندسة والزراعة بحلب وبعض الخبراء الاجانب من مؤسسة فورد واليونسكو وغيرهم . ولم يتعنت الاجانب كثيرا تجاه التدريس باللغـــة الانكليزية ، رغم الباس هذه القضية هالة من الدراماتيكية بأن ٧٢ بالمائة من الكتب والنشرات العلمية تظهر باللغة الانكليزية وان هذه اللغة هي اللغة الاولى للمؤتمرات الدولية ، وانه نظرا للسرعة التي تتقدم بها العلوم ، فمن يقف من المتعلمين عن الاطلاع ستة اشهر ، تصبح نصف معلوماته قديمة غير صالحة ، وذلك نتيجة التحليل الواقعي للقضية والمرحلة التي تمر بها الامة العربية وصالحها ومستقبلها .

فالنظرة الواقعية للمدرسين القائمين على العمل ومن سيردون من البعثات الخارجية واختلاف ثقافاتهم وتنوعها ، وبالنتيجة اختلاف اللغة الاجنبية الاولى ، تجعل من المستحيل اتخاذ الخطوة التي يريدها الاجانب ، ويلحون في طلبها بربطنا بعجلة ثقافتهم ، وحصر تفكيرنا بالنهج الذي يسيرون عليه ، وهم ادرى من غيرهم بأنهم لايحجمون عن اغراء بعثاتنـــا للاستفادة من الخريجين وحرماننـــا منهم ونحن احوج مانكون اليهم . ان احد اهداف الاكثار من بعثاتنا الى الدول الشرقية هو ضمان عودة الخريجين ، لانه ليس في مقدورنا ان ننافس الاغراء الاجنبي ، رغم انني من الذين يرون ان الجامعة يجب ان تحظى برعاية خاصة ونظم توفر لاساتذتها الاطمئنان الفكري لكي يتوجه ذلك الفكر نحو الانتاج والابداع .

من المسلم به ان معرفة لغة اجنبية ضروري جدا ، ولا بد من ايجاد حلول منطقية معقولة للوصول لهذا الهدف . ان دولا كثيرة وقعت في هذه المشكلة واوجدت حلولا لذلك رغم ان لغاتها الوطنية لم تبلغ ما بلغته اللغة

العربية مستوى وانتشاراً ، وقد بين الزملاء في نقاشهم لهذا الموضوع الامكانيات الكبيرة للغتنا ، فالتعليم الجامعي في الدول السكاندينافية هو بلغاتها الوطنية ، وقلما تجد متعلما لايتكلم الانكليزية . فهم يدرسون اللغة الاجنبية منذ الصغر ، وتنشر بها ابحاثهم وبعض كتبهم .

مادام الهدف من التعليم بلغة اجنبية هو ضمان استمرار الاطلاع فقد اتبعت كلية الهندسة في حلب منذ عام ١٩٦٣ طريقة توصلت بموجبها لهذه الغاية ، حيث تدرس اللغة الانكليزية بمعدل ١٢ ساعة اسبوعية في السنة الاعدادية ، ثم يعطى في كل عام من سني الدراسة احدى المواد او أكثر باللغة الانكليزية حسب توفر الاساتذة الاجانب واختصاصاتهم ، كما ان الاساتذة العرب يعطون للطلاب المراجع الانكليزية للاطلاع والتوسع في محاضراتهم . وان طلابنا الآن ليسوا بأقل سوية باللغة الاجنبية من متخرجي الكليات المصرية ، حتى ان بعض الزملاء المتخرجين منها لايعرفون من اللغة أكثر من القدر الذي يعرفه طلابنا . وعند وضع برامج كلية العلوم ، المرتقب افتتاحها قريباً في حلب ، اتخذنا طريقة افضل وهي اعطاء اللغة الانكليزية في جميع سني الدراسة ، وفي السنتين الاخيرتين تعطى باعتبارها لغة علمية ، وضرورة اعطاء بعض المواد باللغة الاجنبية عند توفر من يقوم بتدريسها من عرب أو أجانب ، هذا الى ان تتخذ الوزارة سياسة تعليم اللغة الاجنبية في جميع مراحل الدراسة .

بما أن سبب هذه المناقشة هو كلية الطب في حلب وتوصيات الخبراء الاجانب ، وهي احدى توصيات اللجنة العربية التي ألفت لهذا الغرض ، لابد لي من أن اعقب على هذه اللجنة واقتراحاتها لحل أحد الجوانب المستعصية لهذه القضية ، وهي كيفية تأمين الاساتذة الاجانب للتدريس ، حيث تقترح اللجنة الاستفادة من قانون في الجامعات الامريكية يسمح للاستاذ بالاطلاع خارج الولايات المتحدة

عاماً كاملا لكل ست سنوات في التدريس (نفس القانون موجود في الجامعات السورية وهو كل أربع سنوات) ، ولا أدري حقاً ما الذي سيرغّب هذا الاستاذ لقضاء عام في سورية يدرس فيها ؟ فبالمال لانستطيع اغراءه حتماً ، بمخابر للابحاث والتجارب لايمكن ان نجاري الدول المتقدمة ، وربما الشيء الوحيد الذي قديجذب هؤلاء الاساتذة ، هو الناحية السياحية وزيارة الاماكن المقدسة ، وعند هـــذه الرغبة لايكون الاستاذ متفرغاً للتدريس والافادة ولكنه سائح مستجم .

ان كلية الهندسة بحلب مرت بهذه التجارب ، ولها من الخبرة مايجعلها تتألم لإعادة تجارب سابقة لها باءت بالفشل ، ونتمنى لو استعان هؤلاء الاطباء حديثو العهد بالتدريس الجامعي ومشاكله (لجنة كلية الطب في حلب) بزملائهم لاستيعاب جوانب القضية وحلولها .

وليس أدل على هذا من تقرير لأحد عمداء كلية الهندسة بعد جولة في اوربا استغرقت شهرين بغية التعاقد مع اساتذة أجانب لتقوية الجهاز العلمي . فلم تكن حصيلته سوى وعود من بعض الاساتذة بزيارة الكلية أسبوعاً أو أقل بشرط أن تتــــاح لهم فرصة زيارة الاماكن الأثرية ، وقد تعاقد مع مهندسين أحدهما قبل المجيء نتيجة توصية طبية بقضاء فترة استجمام في الشرق والآخر كان فاشلا استغنت الكلية عن خدماته بعد مدة وجيزة . ان لدى الكلية الآن بعض الاساتذة الاجانب ، والطلاب أدرى بكفاءاتهم ومقدرتهم وعلمهم . لأن من تستطيع جامعته الاستغناء عنه لايكون وجوده فيها ذا أثر كبير . فلسنا نحن فقط الذين نطلب اساتذة جامعيين ، وانما هي مشكلة دولية تأخذ طابعاً سياسياً في بعض الأحيان ، وليس أدل على هذا من مناقشة مجلس العموم البريطاني عـــام ١٩٦٣ واتهام الامريكيين بسرقة العلماء والاساتذة واغرائهم بالعطاءات الوفيرة .

إن ماينقصنا هو الواقعية والتفكير المنطقي بعد استيعاب دقيق لجوانب القضية بعيدين عن العاطفة والأحكام السريعة التي تؤدي غالبـــاً الى نتائج سيئة لايكون ضحاياها إلا من نحرص على حسن تهيئتهم ليكونوا الدعامة الراسخة لنهضتنا، حتى تتصل لامتنا بهم حلقـــات مجدها العلمي بين ماض ناصع عريق ومستقبل مشرق باسم .



الطبيب الدكتور عزة الطباع

هل تصلح العربية لغة علوم في التدريس الجـــامعي ؟ ام لا غنى عن التدريس باللغات الاجنبية ؟ .

هكذا جاءني السؤال : وكأنه يوحي بأن صلاح العربية لغة علوم فحسب ليس كافياً لأن يجعلها تصلح للتدريس . وما اظن ان السؤال قد جاء على هـذا الوجه وهذه الصورة اعتباطاً لاقصد من ورائه .

فمجلة المعرفة (كما يوحي سؤالها) لاترتاب في صلاح اللغة العربية للتعبير العلمي . بل انها لاترتاب في صلاح اللغة العربية لغة علوم في التدريسين الاعدادي والثانوي وانما تنصب الريبة ويقوم الشك حول ما اذا كانت تصلح لغـــة علوم للتدريس الجامعي .

واظن ان الذي جعل مجلة المعرفة تصوغ السؤال على هـذه الصورة هو مالمحته من افتقار التدريس الجامعي افتقاراً مدقعاً الى الكتب العلمية الجامعيـة الكلاسيكية والمحدثة باللغة العربية ، والى المراجع العملية باللغة العربية ، والى المعاجم العامة باللغة العربية والى المجلات العملية في شتى بقاع العروبة . فضلاً عن الموسوعات التي لاتستمر حياة لغة علمية بدونها .

والسؤال على هذا هو سؤال مبرر البواعث معروف الوجه بعيد الغاية، يعالج ادق مايعانيه الذهن العربي تحت قباب الجامعات .

اما ان اللغة العربية تصلح لغة للعلوم فهذا امر تجيب عنه اللغة العربية في تاريخ عمرها الطويل وفي شتى ادوار حياتها . فحين قدر للعرب ان يكونوا رواد النهضة الروحية العقلية التي تفجرت من صميم قوتهم الحضارية والتي كانت كامنة وراء بداوتهم الاضطرارية، وحين استحالت قوتهم الحضارية الكامنة تلك الى قدرة فعالة منفعلة، تفجرت اللغة العربية عن معجزات في الالفاظ والتراكيب والتعابير احاطت بكل منجزات تلك النهضة احاطة تأمل وتعمق وخلق . وراح ذلك الخصب المتفجر ينشق ويتشعب بقدر ماتنشق وتتشعب افانين النهضة الحضارية من علوم وفنون وفلسفة . وصار للفقه لغة وتعابير ، وللصرف لغة وتعابير ، وللفلك لغة وتعابير ، وللفلسفة لغة وتعابير ، ولعلم الكلام لغة ، وللرياضيات لغة ، وللهندسة لغة ، حتى لنستطيع القول بأنه قد صار لكل فن من تلك العلوم معجم خاص به ينطبق اكثر ما ينطبق على حدود وحاجات لذلك الفن . وحتى اقبلت الشعوب الاسلامية غير العربية تعب من ذلك النبع الثر لتغني لغتها بفيض من الالفاظ والتعابير العربية العلمية . ولاحاجة بأي مثقف الى مـــانعرضه من شواهد على ذلك فهي مائلة مشهورة معروفة لكل من يعنيه هذا المقال . وانما اقول فقط ان استجابة اللغة العربية الى جميع حاجات النهضة العربية الاولى ، ونهوضها بأمانة التعبير عن التأملات والاشراقات الروحية وعن التحليلات العقلية والاستدلالات والاستقراءات العلمية مـــا كان يمكن ان يتم على تلك الصورة الرائعة لولا مافي اللغة العربية نفسها من كمال في بنائها الفطري تناهى (من حيث سلامة القواعد وطواعيتها ودقة الضوابط وليونة الاشتقاق وسهولة التركيب) الى اسمى ماتطلع اليه اللغات الحضارية .

فاذا كانت العربية هي ام اللغات السامية وانضجها اطلاقاً (كما يقول

علماء اللغات السامية والشرقية وعلى رأسهم العالم ساباتينو استاذ اللغات السامية في جامعة روما) فانها ولاشك من امهات اللغات البشرية الحضارية قاطبة .واذا احتاجت المعرفة اليوم الى ان تطرح سؤالها المعروف فليس ذلك الا سؤالاً عنا نحن العرب المعاصرين هل نصلح نحن وهل تصلح وسائلنا لتدريس العلوم باللغة العربية ؟ .

وهنا يكمن فيما نرى لب الموضوع وجوهره، والى البحث عن هذا يجب ان تتلاقى جهود المفكرين والكتاب .

وللاجابة عن هذا السؤال لابد من ان نستعرض قبل كل شيء ، لا مقدرة اللغة العربية وكفاءتها في العلوم ، بل مقدرتنا نحن بين الامم . فاين نقف نحن واساتذتنا وجامعاتنا من سلم الحضارة العلمي ؟ اننا نقف ولا شك عند الدرجات الاولى من هذا السلم . فعمر **حضارتنا العلمية الحديثة هو عمر** الاطفال الذين لم يشبوا بعد عن الطوق ، **والذي يخلق اللغة العلمية ويطورها هم العلماء انفسهم لا اللغة بفطرتها** . ولقد اقبل علينا القرن التاسع عشر بسيول من البحوث والاكتشافات والاختراعات انهمرت علينا في اعوام متلاحقة انهماراً جارفاً لم نكن نحن بعد سباتنا الطويل مستعدين حتى لجمعه وتبويبه وتصنيفه . واخذت المدارس العربية والصحافة العربية تلهث لجمع خلاصات متفرقة في نشرات وكتيبات تشفي بعض غلة المتطلع ولكنها لاتغني شيئاً في خلق جيل علمي .

واقبل علينا القرن العشرون ويكاد ان ينصرم ونحن مانزال في دور الجمع المشتت الذي لم تستقر بعد نواظمه ، وراح التراجمة (ولهؤلاء شكر الامة العربية وعرفانها بجميلهم) يخرجون بين العام والعام عدداً من الكتب مايكاد

يتعرف اليه الناس حتى تكون الحضارة الغربية قد اخرجت بعده للعالم مستجدات ومستحدثات تعدل تلك الكتب التي ترجمناها او تجرحها او تلغيها الغاء اوتضيف عليها من الجديد مايجعلها بدونه كتبا متأخرة عن زمانها بدرجات ودرجات .

لقد درسنا نحن بالجامعات العربية ولنا اخوان وابناء يدرسون اليوم بالجامعات العربية ، ولقد اطلعت اطلاعا نهما على اكثر ماتنشره معاهدنا الجامعية من مطبوعات ومضروبات على الآلة الكاتبة ومسحوبات على الجستتر ، ولا اجد بدا من أن اجهر قائلا ان الكثرة الغالبة مما نشر لايكفي لان يخلق جيلا علميا ينطبق عليه هذا الحد ـ وليس ذلك ذنب جهاز التدريس ولكنه الاهمال المريع والتذبذب الذي اصاب الحركة العامة منذ افقنا على نهضتنا الحديثة .

الا تصلح اللغة الفرنسية والالمانية والروسية لتدريس العلوم في الجامعات ؟ فلماذا لم تكتف جامعات هذه الامم بقدرة لغتها على التعبير العلمي حتى عمدت فوقها الى الوسائل غير اللغوية التي نستعرض هنا بعضا منها :

١ ـ المتاحف العلمية والتاريخية والفنية التي تهرع اليها المدارس بأطفالها وفتيانها وشبابها وعلمائها ليشاهدوا بأعينهم ويمسوا بأيديهم مالم تستطع ان تشرحه الكتب المقررة والمراجع الكثيرة .

٢ ـ المخابر العلمية الفنية التي ترافق سني التعليم منذ الابتدائي حتى التخصص الجامعي .

٣ ـ الموسوعات المصورة بالصور الملونة التي يستطيع ان يرجع اليها

الطالب في اية مكتبة عامة لتفك له رموز الاشكالات التي ادخلتها على ذهنه الكتب الجافة الخالية من اي عرض تصويري .

٤ ـ المعاجم الدقيقة التي لاتزيد الطالب ضلالا بل تنير له بمجرد الاطلاع عليها السبل القويمة لفهم ما غمض عليه من الكتب المقررة والمراجع .

٥ ـ المراجع الكلاسيكية التي رافقت عملية الخلق العلمي في اوروبا فكانت تاريخاً حياً دائم العطاء لتطور العلوم .

٦ ـ المؤلفات الحديثة في كل فرع من فروع العلوم تتقدم بها الجامعات والمؤسسات العلمية في كل عام .

٧ ـ المجلات العلمية المصورة الملونة على مختلف مستوياتها والتي يستطيع ان يقتنيها كل طالب معرفة وهي مجلات علمية للاطفال ثم للفتيان ثم للجامعيين ثم للمهنيين اسبوعية وشهرية وسنوية .

٨ ـ افلام سينمائية لكل فرع من فروع العلم والفن والصناعة والتجارة .

٩ ـ معارض دورية تعرض احدث ما ابتكر في السنوات الأخيرة من ابداعات علمية .

فلو اتيح للغة العربية ، وهي تحمل امانة التدريس الجامعي ، ان تعيش في جو يماثل او يقرب من الجو العلمي العملي الأصيل الذي تعيشه الجامعات الغربية لكانت قد استطاعت ان تجعل من الفاظها وكلماتها وتراكيبها مدلولات عملية حية تعيش في اذهان وتفكير الطلاب والعلماء عيشاً غير مقتر او مقلقل أما الآن فان كثيرا من الالفاظ والتعابير والتراكيب تضل او تتيه دون جلاء مدلول واضح محدد الشكل مكتنه المضمون .

هذه لمحات خاطفة نستعرضها لتصوير واقعنا العلمي كما هو من غير

بهرج وتزييف . ومن هذا الاستعراض نحاول ان نصل الى الجواب الذي تسأل عنه مجلة المعرفة . ولقد شف هذا الاستعراض من الرأي الذي اراه وهو ان اللغة العربية قادرة بسهولة ويسر ان تؤدي (في ايدي العلماء الحقيقين ومع وجود الوسائل العلمية المذكورة) كل دورها في التعبير والشرح والتحليل اداء لا لبس فيه ولا غموض بل لعله ان يكون اداء لا تستطيع كثير من اللغات مجاراته لقصور فطرتها اللغوية عن فطرة اللغة العربية .

إلا أن التدريس باللغة العربية فقط ، على هذا الفقر المدقع في الوسائل والمراجع والمتاحف والمخابر والمعامل والمؤلفات العربية لايغني وحده اطلاقاً، ولايمكن ان يخلق جيلا علمياً خلاقاً ، وارى ان السبيل السريعة لتلافي هذا النص هي :

١ ـ ان يبدأ الحلم في خلق وتنمية الذوق للبحث العلمي منذ الصفوف الاعدادية وذلك عن طريق المتاحف والمجلات المصورة الدورية والافلام الملونة واغنائها اغناء لاتحتاج معه الى مدد خارجي .

٢ ـ أن يبقى التدريس العملي في الجامعات باللغة العربية على ان يكون في مقرر كل عام مرجع او مراجع (في لغة أجنبية يختارها الطالب) يؤدي بها امتحاناً تؤثر نتائجه على نجاح الطالب او رسوبه .

٣ ـ ان تخصص للجامعات مخصصات سخية لانشاء متاحف ومعارض علمية يجلب لها الخبراء في أول الامر ، واغنائها بأحدث ماتوصل اليه فن العرض العلمي التدريسي ، وان يخصص لمخابرها ومعاملها من المخصصات مايجعلها قادرة على خلق جو علمي ميسر يحبب الطالب بالمواد المقررة ويجعله يدأب راضياً قريراً بثمرات دأبه .

الآداب

الكتاب والموضوعات

- اطلالة على الأدب السويدي
حين تطلع فينوس من بحار الشمال
للدكتور جمال الفرا
ستوكهولم

- لامارتين في مقدمات ملحمته الانسانية:
جوسلان
ترجمة سعيد أبو الحسن

الشعر:

- قالت بلى
الياس فرحات
الأفق الجميل — البرازيل

- الفارس الضائع
لسليمان العيسى

- الجلباب والبحر
للدكتور صالح الأشتر

- من الشعر الحديث
لكمال محمد

حين تطلع فينوس من بحار الشمال

للدكتور جمال الفرا
— ستوكهولم

لقد تفوقت السويد ، في عصرنا هذا ، على الكثير من بلاد الله في ميادين شتى حتى أصبحت مضرب الأمثال ، فليس يضيرها ، والحالة هذه ، ان تدع بضاعة الأدب لسواها ، وان لها من صناعاتها الالكترونية مثلاً مايغنيها عن نظم القريض ، وسبحان من أحاط بكل شيء علماً وحكماً .

جال هذا في خاطري حين اهداني احد اصدقائي السويديين كتاباً بالافرنسية يتضمن ترجمة لمختارات من ديوان عميد شعراء السويد

المحدثين « هيالمار غولبري »(١) ، وقلت في نفسي ما أظن ان آلهـة الشعر تجنح الى موطن الشتاء القاسي الثقيل او ان الخيال يسمو في اجواء الثلوج والصقيع .

وأخذت اطالع بين الحين والحين هذا الكتاب فوجدت فيه ضربا من الشعر طريفاً فيه أصالة في الرأي وفن في التعبير وفيه الروح الشاعرية ، وان كان لايتصل من قريب اوبعيد بما عهدنا من بكاء على الأطلال او تغزل بعيون المها ..

وخطر لي ان انقل الى قراء العربية بعض مقاطع من هذا الديوان كلون جديد من الآداب الانسانية وان امهد له بكلمة عابرة .

* * *

والحق ان الأدب السويدي لم يبلغ مصاف الآداب العالمية : ذلك أن اللغة السويدية محدودة الانتشار وتكاد تكون مقصورة على أهلها ،وليس يكتمل الاطلاع على الآثار الادبية ويطيب حقاً إلا في لغتها الأصلية . ومهما بلغت الترجمة من الأمانة والبراعة فانها لاتحفظ للنص الأصيل كل ما أودعه فيه الكاتب من رونق وطابع فقد تضفي الترجمة على النص حيناً أو تنتقص منه آخر ولكنها تعجز عن بعثه بتمامه في لغة أخرى .

واذكر للمثال أن اول ماطالعت من الآثار الادبية السويدية « حكاية غوستا برليني »(*) للكاتبة السويدية الذائعة الصيت «سلمى لاغرلوف»(*) ولعل اسمها «سلمى»(*) العربي الصيغة والجرس — وان كان يلفظ بالسويدية«زيلما »—

(١) Hyalmar Gullbery ترجمة جان فيكتور Pellerin طبعة «نور شتت» في ستوكهولم

(*) Gosta Berliny للكاتبة Selma Lagerloff

قد قربها الى نفسي وأثار رغبتي في الاطلاع ، وكذلك كونها المرأة الأولى والوحيدة التي نالت جائزة نوبل في الآداب . وقرأت هذه الحكاية فاذا بها تستهويني وأجد فيها من خصب الخيال ودقة الوصف وعمق تحليل الحب الدفين مارفعها في نظري الى مصاف روائع الأدب العالمية . واتفق بعد سنوات ان عدت الى السويد وزرت مقاطعة « فيرملاند » — وهي موطن «سلمى» وقد جعلتها اطاراً لاكثر آثارها وأجادت في وصف مفاتن الطبيعة فيها — وطاب لي ان اتلو الحكاية من جديد فلم اعثر على الترجمة الانكليزية التي عهدتها وانما وجدت ترجمة أخرى بالانكليزية ايضاً ، ولكني فوجئت منذ صفحاتها الأولى أنها لم ترتفع الى المستوى الاعلى الذي عرفته لها ، وآثرت ان لاأتابع التلاوة ابقاءعلى ذكرياتي الأولى عن هذه الحكاية .

ومن الانصاف للمترجم ان اتساءل هل كان كل ذلك من جراء الترجمة فحسب أم ان كر السنين يبدل من المقاييس التي ينظر خلالها المرء الى الاشياء ويحكم عليها ؟

* * *

وانما أشرت الى مقاطعة « فيرملاند » التي تغنت الكاتبة سلمى بربوعها لأذهب من هذا الى بيان الطابع الريفي الذي يتسم به الأدب السويدي : ان القارىء ليتنسم رائحة هذا الريف من ثنايا الصفحات ويلمس فيها الحب العميق الذي يكنه الكاتب السويدي للمقاطعة الريفية التي عاش فيها وحرصه على احيائها في آثاره . والريف السويدي آية من آيات الله في خلقه يتداخل فيه البحر واليابسة في عبث عجيب ، وتتوالى فيه البحيرات والغابات في روعــة وبهاء ، ويسوده جو من الدعة والهدوء يدعو الى التأمل والحنين ، ولو كان نصيب هذا

الريف من اشراق الشمس أعظم لكان جنة الله في أرضه ولكن الطبيعة تلفه بأودية واسعة عريضة من الثلوج معظم العام ولا تظهره على الناس الا في اسابيع معدودات .

والسويدي شديد التعلق بوطنه الريفي ، ومهما بلغت مغريات المدن في هذا البلد المبرز في الحضارة فان السويدي يحن الى ريفه ولا تتفتح نفسه على سجاياها الا في ربوع ريفه الخضراء المستجمة حيناً والبيضاء الراقدة احياناً .

* * *

وهكذا اتسم الأدب السويدي بطابع ريفي اقليمي فيه اتجاهات « محافظة رجعية » ، ذلك ان الادباء السويديين المحدثين عاصروا الثورة الصناعية التي قامت في السويد منذ اواخر القرن الماضي فبدلت من معالم الحياة فيها ورفعت من شأن المدن والصناعة على حساب الريف والزراعة ، وعز على هؤلاء ان يشهدوا التطور الذي لاحيلة قبالته ينال من شأن الريف وتقاليده وتراثه فقاموا في ردة فعل وجدانية يحمون الريف ويزدادون تعلقاً به وتغنياً بمفاتنه .

وهذا الريف واسع الارجاء والناس فيه قلة لايتجمعون في القرى وانما تتناثر دورهم هنا وهناك منفردة متباعدة ويحول تداخل الغابات والبحيرات وقسوة الشتاء دون يسر المواصلات بينها ، ولهذا ألف السويدي حياة العزلة والانفراد .

ثم ان جو هذا الريف ، كما سبقت الاشارة ، يدعو الى التأمل والحنين ولهذا يغلب على السويدي ميل الى الاستجمام الطويل والتفكير العميق وعزوف

عن الكلام والجدل ، بل انه ليرى ان في الفصاحة والحزلقة تضليلاً للفكر ، وان الحقيقة في قوتها وفي سموها لفي غنى عن تزويق الصناعة اللفظية .

وأخيراً تغشى روح السويدي غشاوة من الفتور والبرود والكآبة ليس فيها مجال لمشبوب العاطفة او للهيب ثار الهشيم ، ولكن متى اخترقت العاطفة هذه الغشاوة الجليدية السطحية وبلغت الأعماق فان لها من القوة والاثر والبقاء مالا تعرفه قلوب اهل الجنوب المتبدلة مع الاهواء .

* * *

والأدب السويدي مرآة صادقة لكل هذه الطباع : حباً للريف وتعلقاً بتراثه ، وانطواء على النفس وعمقاً في التفكير ، وعزوفاً عن مزوق اللفظ ومشبوب العاطفة ، وميلاً الى الحقيقة العارية والحس العاطفي العميق .

وقد يعوز هذا الأدب سعة الآفاق العالمية ، ودفقة النزعات التقدمية ، وحماسة الروح الجماهيرية ، ولكنه ادب انساني صادق أصيل .

* * *

وإنما هي اطلالة على الأدب السويدي ضمنتها ما أوحت به مطالعات عابرة لبعض الآثار السويدية المترجمة فهي انطباعات قارىء لا دراسة ناقد ، واعود منها الى ما أردت التمهيد له من ترجمة بعض مقاطع لشاعرنا السويدي « هيالمار غولبري » .

* * *

قال « غولبري » في قصيدة عنوانها « حكاية الحب » وفيها يتبدى الميل الى مجابهة الحقيقة دون تزويق :

أتذكرين يافينوس الشقراء
لما طلعت ذات صباح من زبد البحار
فسبحنا معاً حتى بلغنا اقرب شاطىء
واخذت بيدك لأوسدك اليابسة ؟

* * *

وهنالك على الصخر ، لاعلى سرير من سحاب
القيت بجسدك الناعم القوي
هذا الجسد الذي اضفت عليه شموس الصيف سمرة —
وكان لك من العمر عشرون ربيعاً —
قصائد في الحب ؟ إن خيراً منها التجربة
التي تجنبنا خيبة الآمال
وان الشاب الذي تعتريه ازمات الوجدان
ليشفى حينا تقع عيناه على امرأة عارية

* * *

روميو ، جوليت ، ايزولد .. وما الى ذلك
حطام من الرومانتيكية صلح لأسلافنا
وخليق بنا ان نلقي به بعيداً
فما يلزمنا في الحب الا سرير

* * *

وقال في قصيدة عنوانها « قواعد حجتنا » وفيها يتبدى الميل الى الصمت والعزلة :

ليسر جانباً وليتمرس بالصمت
كل من يريد الانتساب الى صحبتنا
ان عدد أعضائنا العاملين لاحد له
ولكن لايعرف أحد اسماء اخوانه

* * *

ولن يقدر أحد على كتابة تاريخنا
لأن مثلنا تتقد في صميم اعماقنا
وما نحتاج لأن نتبس ببنت شفة
لكي نسري عن القلوب البائسة
وحين يقدم الليل ويخيم الظلام
تشتعل الأنوار في وجداننا
أيتها الوحدة ! يامقر الروح في هذه الحياة
ياعالماً لاحدود له ! أنت معاذنا وملاذنا .

* * *

وقال في قصيدة عنوانها « صانعة الحكايا » وفيها يبدو طرف من غشاوة الكآبة التي تحدثنا عنها :

أيتها الحياة : انك لتلهين بالناس
وتتسلين بأن تلقنينهم أبداً وسرمداً حكاياتك المعهودة
أنت وقد بلغت ولا ريب من العمر عتياً
كيف يطيب لك ان تلقنينني حكايا قديمة ومعادة تكراراً

* * *

وان ما اظنه ، ساذجاً لاهياً ، نصيبي في الحياة
وأرى فيه قدري الخاص بي
قد لايكون سوى حكاية من حكاياتك البالية
التي ترددينها على الناس منذ آلاف الاعوام .

لامارتين في مقدمات ملحمة الانسانية :

جوسلان

JOCELYN

ترجمة سعيد ابو الحسن



في محاولة ، قد تكون متأخرة ، لتذكر بعض الآراء القديمة — الجديدة ، لشعراء « القرن العظيم » في فرنسة ، القرن التاسع عشر ، طالعت مقدمات الملحمة الانسانية الرائعة « جوسلان » التي نشرها ألفونس دولامارتين ، أول مرة ، عام ١٨٣٦ ؛ فوجدت فيها مجموعة « من الآراء القيمة في الفرق بين الملاحم القديمة (الشخصية البطولية) وملاحم العصر الحديث (الانسانية) في الشعر والعمل الشعري ؛ في الخلق الشعري ؛ في الانعزال والالتزام ؛ آراء مبثوثة ، هنا وهناك ، وبين السطور أحياناً ، رأيت من المفيد أن أنقل مقدمتين منها إلى العربية : مقدمة الطبعة الأولى عام ١٨٣٦ ؛ ومقدمة احدى الطبعات اللاحقة عام ١٨٤٠ .

وقد أعيد الكرة ، فأنقل أجزاء مختارة من الملحمة ذاتها — إذا ما أتاحت لي مشاغلي ذلك — راجياً من القراء الكرام ، إذا كان أحد منهم يعلم بوجود ترجمة سابقة لجوسلان ، أن ينبهوني الى ذلك ، مشكورين .

— المترجم —

مقدمة الطبعة الأولى

١٥ كانون الثاني ١٨٣٦

الاعلانات المنشورة في بعض الصحف تضطرني الى توجيه كلمة الى القارىء . فقد تكون هذه الاعلانات اعطته فكرة خاطئة عن هذا المؤلف . انه ليس قصيدة ، ولكنه مقطع من قصيدة .

ان هذه الصفحات التي قد تكون اكثر عدداً مما ينبغي ليست ، مع ذلك ، سوى صفحات منفصلة من مؤلف شعري كان فكرة صباي ، وقد يكون فكرة عمري الناضج اذا أراد الله أن يعطيني ما يكفي من سنين وموهبة لتحقيقها . نشعر كلنا ، بالحدس وبالتفكير ، أن زمن الملاحم البطولية قد انقضى ، أنها الصيغة الشعرية لطفولة الشعوب ، حين كان الاختلاط قائماً — لعدم وجود النقد بعد — بين التاريخ والاسطورة ، والخيال والحقيقة . وحين كان الشعراء هم المؤرخون المدهشون للأمم . ثم حين كانت الشعوب التي تحتاج ، لكي تنشأ وتنمو ، الى وصاية الرجال الكبار والأبطال ، تربط مصلحتها وعرفانها بهذه الشخصيات العظيمة التي حررتها أو مدنتها . وتخص لذكراها الأناشيد الشعبية التي — عندما تدون — تصبح ملاحم ، فالملحمة شخصية وبطولية .

ولكن الشخصيات اليوم تختفي . أو هي تؤثر ، بكل حقيقتها في مأساة التاريخ . فهناك يجب أن نبحث عنها . ان حركة الأشياء سريعة ، ومأساة التاريخ هذه تتأثر بالشخصيات والنقد يعمل في هذه الصور الزمنية بمقادير من الحذاقة المتحرجة ، بحيث لا تلبث هيمنة الخيال أن تتهدم ، وبحيث لا يبقى للرجال العظام إلا هيبة قدرتهم أو عبقريتهم . أما هيبة الشعر فلم تعد لهم على الاطلاق . وفضلاً عن ذلك فان العين الانسانية قد اتسعت ، بفعل المدنية الأرفع والأوسع ذاته ، وبتأثير المؤسسات التي تتطلب تعاون عدد اكبر ، أو تعاون الجميع ، في العمل الاجتماعي وبسبب من الديانات والفلسفات التي علمت الانسان أنه ليس سوى جزء غير ملحوظ من

بوحدة ضخمة ومتماسكة . وأن عملية تكامله عملية جماعية وسرمدية . ماعاد الناس يهتمون بالشخصيات . انهم يأخذونها كما هي · وسائل أو عقبات في العمل المشترك . فصلحة الجنس البشري مرتبطة بالجنس البشري ذاته . وعاد الشعر من جديد مقدساً بالحقيقة ، مثلما كان ، فيما مضى ، مقدساً بالاسطورة . عاد الشعر دينياً بالعقل ، وشعبياً بالفلسفة . لم تعد الملحمة قومية ولا بطولية ، بل هي اكثر جداً من ذلك ، انها انسانية .

كنت مشبعاً مبكراً وبالحدس بتحول الشعر هذا ، محباً للكتابة ، مع هذا ، بلغة الشعر الموزونة التي تعطي الفكر نغماً ولوناً ، وتتردد بضعة أيام أكثر من اللغة العادية في ذاكرة الناس ، فبحثت عن الموضوع الذي يناسب العصر ، والأخلاق ، والمستقبل ، والذي يتيح للشاعر أن يكون في آن واحد ، علياً وعالمياً ، مدهشاً وحقيقياً ، عظيماً وواحداً ، وكان الموضوع يقدم ذاته بذاته : ليس لهذا الموضوع ثان ، انه الانسانية ، انه الانسان ، انه المراحل التي يجب أن يقطعها الفكر البشري ليصل الى غاياته عن طريق الله .

ولكن هذا الموضوع الواسع جداً ، والذي لايستطيع كل شاعر ، أو حتى كل عصر ، أن يكتب منه الا صفحة واحدة ، كان يجب أن توجد له شكله ، ومأساته ، ونماذج شخصياته . وهذا ما حاولته . فاذا ما أنهيته ، أو اذا ما استطعت ، قبل أن أموت أن أباشر منه على الأقل عدداً من المقاطع يكفي لاظهار صورته في تعددها وفي وحدتها ، فيحكم هل كان في هذه الفكرة برعم حيـــاة ، ويجيء شعراء آخرون أقوى وأكمل فيخصبونها من بعدي .

إن العمل ضخم . وقد انجزت منه اجزاء عديدة في أزمنة مختلفة من حياتي . ولم أرض عن بعض هذه الاجزاء فألقيتها في النار ، واحتفظت باجزاء أخرى . وهنالك اجزاء غيرها لاتنتظر لتظهر إلا الفراغ والإلهـــام . إن مشاغل الفكر ، والأسفار ، والسياسة ، وضجيج الحوادث الخارجية ، كثيراً ما اوقفتني ، وستوقفني بلا شك أيضاً ، يجب ألا تعطي هذا العمل الابداعي الا الساعات التي تتركها لنا حرة واجباتنا نحو الأسرة والوطن والزمن . انها ملذات الفكر ، فيجب ألا نجعل منها الخبز اليومي لحياة الانسان . والشاعر ليس كل الانسان ، كما أن المخيلة والشعور ليس النفس البشرية كاملة . مايكون الإنسان الذي لايكون قد فعل ، عند نهاية حياته ، الا نظم احلامه الشعرية حين يكون مواطنوه يخوضون بجميع الاسلحة المعركة الكبرى ، معركة الوطن والحضارة ؟ حين يكون كل العالم يضطرب حواليه في عملية الخلق الرهيبة ، خلق الأفكار والأشياء ، يكون

أشبه بممثل هزلي يصلح لتسلية الناس الجديين ، وكان جديراً بأن يرسل مع اللوازم في فرقة موسيقيي الجيش . ان هنالك – مهما يقال في هذا الصدد – عجزاً كبيراً أو أنانية كبيرة، في هذا الاعتزال التأملي الذين ينصحون به رجال الفكر في أزمنـــة العمل أو النضال . الفكر والعمل يستطيعان ، وحدهما ، إن يكمل احدهما الآخر : ذلكم هو الانسان .

مهما تكن الحال ، فقد اخترت، من بين المشاهد المختلفة المنجزة ، حتى الآن، من مآساتي الملحمية هذه ، واحداً من اكثرها محلية وعصرية، لتقديمه اليوم الى الجمهور، وسؤاله عن حكمه على هذا النوع من الشعر الذي لم أخضعه لنقده بعد . إنه مقطع من ملحمة نفسية: انها ليست ، كما ظنها البعض ، النوع الكهنوتي : فالكهنوت هنا ليس سوى الإطار لا الموضوع . فالكاهن ، اذا نظرنا اليه من الناحية الاخلاقية والشعرية ، أبعاده غير أبعاد جوسلان . فجوسلان رجل حساس متيّم . تلقي به في الهيكل بعض الظروف والفضائل ، فيصبح كاهن قرية . إن كاهن القرية احد تجسيدات الانجيل الاكثر تأثيراً ، واحدى صور مدنياتنا الحديثـــة الاكثر ادهاشاً . لم يكن علي إلا أن أحيط بهذا الفصل فاتحة وخاتمة لأجعل منـــه نشيداً صغيراً له بداية ونهاية .

إن القارىء ليخدع نفسه اذا هو رأى في هذا الموضوع شيئاً غير ناحيته الشعرية. ليس هنالك نية مبيتة ، ولا مذهب ، ولا محاولة مع احدى العقائد الدينية أو عليها . ليس هنالك سوى الشعور الاخلاقي والديني مأخوذاً من الناحيـــة التي يتلاقى فيها ويتحد كل ما يرتفع نحو الله ، وليس من الناحية التي تفرق فيها القلوب والافكار ، والخصوصيات والمذاهب والمجادلات .

والواقع أن هذا الفصل لم يخطر ببالي مصادفة. انه ليس اختراعاً ، انه يكاد يكون حكاية . لهنالك دائماً ، كما يقول الشاعر ، شيء من الحقيقة في كل ما نخترع . هنا ، كان كل شيء تقريباً حقيقة . اللغة وحدها مصنوعة . فليضع القارىء اسمي مكان اسم عالم النبات، فيصبح قريباً جداً من مغامرة حقيقية كلياً ، مغامرة لم يكن شاعرها ، صديق جوسلان، إلا مؤرخها . هذه المغامرة بسيطة جداً ، والأسلوب يختلف جداً عن جو الأفكار الذي يغمرنا اليوم انه لا يوجه إلا مخيلات فتية جداً . يجب ان يقرأ كما كتب . انه حلم قلب في السادسة عشرة .

فاذا ما استقبل الجمهور هذا المقطع في اهتمام وأريحية فسأنشر مقاطع أخرى تباعاً . وإذا ما تركه يسقط ويموت ، فانني ، مع ذلك ، سأتابع ، في صمت ، العمل في هذا البناء

الذي أريد أن أتركه ، ولو غير كامل ، بعدي . ولكنني لن أؤلف من هذا النوع شيئاً آخر . وسأكتفي بأن أسأل القارىء ، من وقت الى وقت ، تساهله في عدد من الالهامات الغنائية التي تفجرها الساعة أو الفكرة من قلب الشاعر أو فكره ، والتي لا تطمح في أن تعيش اكثر من الانطباع الذي أحدثها .

مقدمة (اخرى)

سان بوان في ٢٤ ايلول ١٨٤٠

ناشري العزيز

لماذا تريد مقدمة جديدة لطبعة « جوسلان » التي تزمع أن تقدمها الى الجمهور ؟ لم يبق لدي ما أعمله ، لم يبق لدي ما أطلبه من قراء هذا الكتاب . فالاستقبال الذي خصوه به تجاوز بعيداً جداً آمالي . فليس علي نحوهم إلا المزيد من الشكر . وعلي منه الكثير لك أنت أيضاً . فبفضلك وبفضل الفنانين العظـــام الذين تستمين بأيديهم ، ستزهو المشاهد الريفية من هذه الملحمة ، أمام المخيلة ، بشعر الريشة . أأعترف لك ياسيدي ؟ إنه لأجل نصر وأكمله سمحت لنفسي بأن أطمح اليه في أشد احلام صباي لصوقاً بنفسي ، أن أرى يوماً فكري المكتوب مصوراً أو منحوتاً ، أن أرى مخلوقات خيالي تتجسد تحت الازميل الشعري ، وتذيع هكذا حتى أمام عيون الذين لايقرأون ، أن يكون لي مخلوق روحي يسير في دنيا الحواس ، صورة لاحدى قصائدي تغطي الجدران العارية لأحد المعتزلين في الريف : ان افكاري الاكثر طموحاً الى المجد الأدبي لم تذهب قط إلى أبعد . والواقع أن هذا هو المجد كله . فإذا ما حصلنا عليه ، ماذا نريد اكثر ؟ الكتابة هي محاولة الخلق . فعندما تصير المخيلة صورة ، وتصير الفكرة حقيقة ، نكون قـــد خلقنا ، ونستريح .

سأذكر دائماً الرسوم الأولى للقصائد التي أدهشت عيون الطفل في . كانت رسوم بول وفرجيني (١) ؛ وعطالة (٢) ؛ ورونى (٣) ؛ ولم يكن الرسم قد وصل بعد إلى هذه الدرجة من الكمال التي تجعله اليوم موضوع اعجاب مستقل عن الموضوع . هذه

---

(١) قصة مشهورة لبرناردان دوسان بيار .

(٢) و (٣) من مؤلفات شاتوبريان .

الرسوم المستخلصة من هذه القصائد الساحرة كانت خشنة وملونة بكل قسوة الألوان المهزوزة . لقد كانت شعراً مصبوغاً ، ولكنها كانت شعراً ! لم أكن اتعب من تأملها على جدران كاهن قريتي العجوز ، وفي قاعات الخان الريفي ، حيث أشاع الباعة المتجولون برناردان وشاتوبريان . إني اعتقد بأن القليل من الشعر الذي دخل نفسي في تلك السن ، انما دخلها عن هذه الطريق . كثيراً ما كنت احلم ، ولمدة طويلة ، بهذه المشاهد ، مشاهد الحب ، والوحـــدة ، والقداسة ، وكنت أحدث نفسي قائلاً : « لو كنت استطيع أن احصل يوماً على كتاب صغير لي ، يوضع على رفوف مكتبة الأسرة ويعلق منه مشهد أو مشهدان على الجدران ليدرك الشعر الذين لايقرأون ، إذن لكنت مسروراً ، ولكنت قد عشت حقاً .

السماء وأنت ، ياسيدي ، حققتما هذه الرغبة المتواضعة الصبيانيـــة . ان مصيري الصغير ، من هذه الناحية ، قد تحقق . ستحتل لورنس (١) أحياناً اطاراً دون فرجيني بكثير ، وكذلك جوسلان الى جانب الأب اوبري وإن يكن دونه بمراحل . ولكنني لا أرغب في الاقتراب منه اكثر من ذلك . فإني اكن هاتين العبقريتين في الشعر ، السيد دوسان بيار ، والسيد دوشاتوبريان، اللذين كانا ابوينا وزميلينا، الاحترام والتعبد البنوي اللذين تشرفهما حتى دونية اكثر تواضعاً . أن أكون من أسرتها هنا يكفي كبريائي كما كان يكفي آنذاك سعادتي . فلك إذن شكري من أجل هذا .

والشكر أيضاً لقرائي الطيبين : لقد كان جوسلان اكثر مؤلفاتي استحقـــاقاً للاتصالات الوثيقـــة المتعددة مع مجهولين من جميـــع الأعمار وجميع البلاد . ماأكثر النفوس التي ما كنت لأشعر بوجودها قط ، والتي انفتحت لي منذ هذا الكتاب بالمراسلات الموقعة أو المغفلة التي تنهمر كل يوم تحت يدي . في روايات شار ، ما أن يصفر اللص ، حتى يخرج من أعمـــاق الغابات — من خلف كل صخرة ، من تجويف كل جذع شجرة — يخرج لص "شاك" السلاح، ليلبي هذا النداء ويقدّم له ذراعه وحياته .

في هذا العالم الساحر ، عالم الفكر والحب الذي نقيم فيه حتى سن الثلاثين أو الأربعين ، ينشد الشاعر فتجيبه حشود النفوس المتعاطفة ، وآلاف القلوب المتناغمة وتأتي لتطلعه على انطباعاتها . منهم من هو متجهم كئيب شبيه بالطبائع المغتربة في هذه الدنيا ، والتي أخامص أقدامها ألطف من أن تسير بلا ألم فوق أرض الحقائق هذه القاسية الباردة. ومنهم من مايزالون في سذاجة ساعات الحياة الأولى وكما لو كانوا ثملين بهذه النظرة الأولى،

(١) لورنس : الفتاة التي تدور حول حياتها ملحمة جوسلان .

التي ليست بهذا المقدار من اللذة إلاّ لكونها لاتحلل شيئاً . ومنهم ، أخيراً ، من وصلوا الى هذه السن التي نطرد فيها كل أحلام الحياة المغرية ، ونجلس على عتبة بيتنا ، كما يفعل العامل ، آخر النهار ، لنرى الآخرين يمضون ، مفكرين في جميع الذين مضوا من قبل ، وفي الله الذي لايمضي . إن الشاعر الذي يفضى اليه بسر هذه الحالات النفسية المختلفة جميعاً ، يصبح ، والحالة هذه ، من قلب عزلته ، المؤاسي غير المنظور لمتاعب كثيرة ، والمرشد لجميع المخيلات .

أود لو استطعت ، ياسيدي ، أن تشهد بعض الأحيان استقبال البريد ، وتفض الرسائل التي تراكمت بضعة أيام خلال غياب الشاعر أو انشغاله . دونك منها هذه الكدسة من جميع الأشكال ، وجميع الطوابع ، وجميع الأقطار . العناوين وحدها دليل ، يكاد لايخطىء ، على مضمونها . دونك هذه التي اصفر ورقها من الخل ، واخترقها سكين المحجر الصحي ، بحيث تنبىء بأنها اجتازت منطقة الطاعون وتحمل بعض ذكريات الشرق البعيدة الغالية . إنها مكتوبة بالعربية ولا بد من ارسالها الى باريس أو مرسيلية لتترجم . وهذه التي تدل خطوطها القائمة وحروفها الرزان على المانيا الجدية المفكرة : انها فلسفة لاتقل أثيرية عن الشعر ذاته : هاأنذا أفتحها فيتقوى ، وهذه من رومة ، ونابولي ، وفلورنسة : خطها رديء وغير مقروء . ولكنها مكتوبة بهذه اللغة الرنانة الموسيقية التي تهب للفكر أو الشعور ، الدوي الباهر المادي المعدني . إنها جميعاً أشعار غنائية منطلقة من بعض النفوس الشابة القوية التي ينقصها الهواء في تلك البلاد الآسنة فتجيء لتتنفس وراء ألبنا . وهذه الأخرى تجيء من انكلترة : جميع العناوين تتصف بهذه السرعة ، والركض ، ووحدة النسق ، التي تدل على تعدد المواضيع وانتظام السلطة عند هذا الشعب . انها اقتصـــاد سياسي ، أو تهييج صوفي ، أما الشعر فلا وجود له . لا يرد منه شيء من هنـــاك منذ بعض الوقت . فالانجليز أكثر انشغالاً من أن يحلموا ، انهم يعملون أو يصلون . عمـــل الجسد ، عمل الروح ، الشيء ذاته ، ولكن دائماً عمل .

وأخيراً هذه تأتي من جميع الجهات المختلفة من فرنسة ، وهي متنوعة في احجامها ، مختلفة في خطوطها ، وحتى في ورقها ، بقدر تنوع الولايات ، واختلاف العنـــاصر الانسانية والظروف الاجتماعية للأشخاص الذين كتبوها . نفض الرسائل . يا للفوضى على المنضدة ، لغات ، شعر ، نثر ، أرقام ، كل شيء يختلط ، كل شيء يتصادم . نلقي اليد لا على التعيين في هذا الخليط من اللغات ، والاعمال ، والمشاعر والافكار . الاعمال أولا : يجب التخلص مما يزعج . ثم السياسة ؛ انها تشغل مكاناً ضخماً . انها من صنع هذا العصر .

كل الناس يشتغلون بها او يفكرون فيها ، حتى الذين يتظاهرون باحتقارها . انها انظمة ، او تشجيعات ، او ابتهاجات ، اونصائح ، اوملامات ، وفي بعض الاحيان شتائم ، وكثيراً ما تكون سوء تفاهم . لسنا هنا لنصحح فكرتنا او اعمالنا ونشرحها ، او نبررها . يجب التسليم بأن نكون قد أسيء فهمنا ، أوأسيء الحكم علينا ، او حتى أفتُري علينا . انها طبيعة الحياة العامة وصراع الآراء . كل هذا الغبار لا يتساقط إلا عندما نتوقف . فلنسر دائماً . السياسة العاملة هي مزاحمة الجمهور بالمرافق في طريق صعبة مسدودة . اننا نمزق فيها جنوبنا . ولكن هذا الجمهور هو البشر ، وهذه الطريق تقود الشعوب الى الله .

ولكن تعزينا عن كل هذه الخيبات بعض هــــذه الاصوات التي تقول لك : « تشجع ! إننا نساعدك بقلوبنــــا ، ونصلي من أجلك . » خاصة ، عندما نفتح ، في سرعة فائقة ، بعضاً من هذه الرسائل الصغيرة ، رسائل الاصدقاء ، التي احتفظنا بها للأخير ، كاننا نريد أن نعطر اليدين والروح بهذا العطر العذب لعــــاطفة مكبوتة التيبت في الصبا ، وما تزال تتأجج في العزلة النائية ذاتها ، في البيت عينه ، في القلب نفسه. هذه الرسائل نتذوقها ، وبعد أن نكون قد قرأناها ، وأعدنا قراءتها ، نفصلها عن المجموع كما هي مفصولة في الفكر : انها بركات اليوم ، انها عصافير الفأل التي رأيناها تمر تحت كثير من الغيوم وبين كثير من الاوراق اليابسة .

وأخيراً نفتح رسائل المجهولين . انها لحظة اللذة . أستلذ في حزن تلك التي تطالب بمعونة لا أملكها ، وبنخوة كنت أود لو كانت ما تزال لي . واقرأ هذه النابعة من القلب والروح والتي لم تكتب إلا لتقرأ . يا للأشياء الساحرة ! يا للكنوز المخبأة ! يا لهوة المشاعر والانطباعات الصميمية ! يا للتنوع ، بالجدة ، بالغير المنتظر في طريقة الشعور بالحياة ، والطبيعة ، والفن ! بالبوح المؤثر بالاوضاع ، والانطباعات ، والعواطف ، الذي لا تجرؤ على القيام به بوجه مكشوف . يا للإسراف في الهبات ، وفي النعم وحتى في العبقرية ، في الطبيعة الانسانية .

هنالك كثير من الصفحات الصبيانية ، التي حاولت كتابتها يدا طفل . ولكن كم هنالك ايضاً من الصفحات الرائعة التي نود لو نقرؤها في وضح النهار ! كم هنالك من اشعار حنونة أو رائعة تموت هكذا مخفية بين الذي ينشدها والذي يسمعها ، وكان يمكن أن تكون ثروة لكتاب ، أو مجداً لاسم ! قليل من هذه الكتابات سيرى نوراً غير نور مصباحي . هنالك طبائع معتكفة ، وهي الأحسن، وكأنها تخجل بعبقريتها ، وتعتقد أنها تفقدها عندما تكشفها . هنالك فتيات صغيرات من الشعب ، شبيهات بتلك التي غنّاها

هوغو فأجاد أيّما إجادة ، يعشن من الأبرة نهاراً ومن أندى إلهامات الفكر ليلاً . والآن ، وقد اصبحن يعرفن القراءة ، يحاولن أن يقلدن ما قرأن . إنهن لم يرين شيئاً ، انهن يصفن روحهن ؛ وفيها الكثير من اسرار البراءة والسذاجة التي لم يسبق أن وصفت مطلقاً . هنالك عمال يحبسون انفسهم ليلاً بعد أن يكونوا قد بردوا الحديد أو صقلوا الخشب نهاراً ويشعرون ويفكرون بطبيعة تساوي طبيعتنا وبأصالة تفوق أصالتنا .

هنالك نساء منفيات في أقاليم بعيدة ، داخل قصور قديمة ، في اكواخ ، في مدن صغيرة ، في كل المصاعب ، في جميع تفاهات الحياة المنزلية المظلمة ، وهنّ يطلقن صوت ملاك ، صوتاً من هذه الأصوات التي نتوقف لنسمعها مساء ونحن نمر تحت نوافذ شارع معتم ، فتجعلنا نقول : « إن هنالك لصدى من السماء » . وأخيراً هنالك مرضى ، فتيان مساكين فقدوا نعمة الطبيعة والحظ فاذا الشعراء اصدقاؤهم الوحيدون . هنالك كهنة شبان خرجوا لتوّهم من المدارس الاكليريكية ، وتُركوا ، مثل جوسلان ، في كوخ ، على جبل أو في صحراء . يقع كتابنا مصادفة بين أيديهم من البائع المتجول أو من الجار ، فيمزجون اعمالهم الصالحة ودموعهم وصلواتهم باعمال كاهن فالنيج (١) — الذي عزّاهم لحظة ما — وبدموعه وصلواته .

هؤلاء هم قراؤنا ، أصدقاؤنا ، مراسلونا الدائمون ، انهم لا ينفدون ، ففي كل سنة نجدونهم ، واذا اختفى منهم واحد جاء الآخر : اذا سكت واحد بدأ الآخر يتكلم . كما توقد الشعلة من الشعلة . هنالك جيل لاينتهي من العقول ، تجديد ابدي لشباب الانطباعات والعواطف على الأرض . عالم الشعر ينتهي ويبتدىء كل يوم كالعالم الآخر .

آه ! عندما يكون الانسان ، مثلي ، مطلعاً على اسرار هذا العدد من النفوس الفتية التي تصل يوماً فيوماً الى الحياة العملية بعذرية العطور هذه ، بتدفقات الفضيلة هذه ، بنسغ العواطف السخية هذا ، كل هذا الذي غالباً ما اكون شاهده . لا يسعنا اطلاقاً أن نفقد شجاعتنا ، بل لنا أملنا وثقتنا بالأنسانية . أما الذين يشكون عصرهم فإنهم لايعرفونه : فالموجة القادمة أطهر من الموجة الذاهبة . فلا تلعنوا ، بهذا المقدار ، الحياة والإنسان . لاشك في أن هنالك انحطاطات مؤسفة : هنالك نفوس تتعب فتسقط لتنهض من جديد ؛ هنالك أخرى تسقط نهائياً ؛ هنالك غيرها تتمرغ في العبودية والفساد ؛ ولكن كلما توارت

---

(١) كاهن فالنيج هو الكاهن الذي تروى ملحمة جوسلان على لسانه وكأنها مذكراته التي خلفها بعد موته .

منها واحدة برزت غيرها مفعمة بالنسغ ، مغطاة بالزهور ، لتطهر هواء الحياة وتجدد شبابه ، هذا الهواء الذي بدونه يموت الانسان . مع انه يجب أن يعيش . الذي يفقد أمله بالناس لايعرف الله . لأن الله ، في ازمنة النور ، اسمه ايمان . وفي ازمنة الظلمات ، اسمه أمل .





قالت : بلى !

شعر : الياس فرحات
الافق الجميل — البرازيل

قالت : أوَحدك ؟

قلتُ : لا

انا من رفاقي في ملا

قالت : ومن هم ؟

قلت : من خلدوا على رغم البلى

وتتبعوا بذكائهم ليل العمى حتى انجلى

أفلا تريدين الدخول عليهمُ ؟

قالت : بلى

قلتُ : ادخلي تتذوقي شهد المعارف والطِلا
وتري مصابيح العقول تنير ليلاً أليَلا
ليل الجهالة كلُّ سارٍ فيه سارٍ في الفلا
ان لم تلُحْ شهبُ النجوم لناظريه تضلّلا

قالت :

وهل هم يعقدون اليوم عندك محفلا ؟

قلتُ : الذين عنيتهم لايبرحون المنزلا
هم منذ ان نزلوا عليَّ تملّكوني بالولا
هم يسهرون اذا سهرت ويذهبون معي الى ...

قالت : ولكن ...

قلتُ : كفي ، لن تحلي المشكلا
هيَّ ادخلي ... ودفعتها مترفقاً متمهلا

فتلفّتت حيرى فلم تبصر سوى كتبي على ..
قالت : أتهزأ بي ؟ فأين رفاقك الغرُّ الألى
فأجبتها : لاهزء بل هزلٌ ولي ان اهزلا
أفلم اقل لك انهم خلدوا على رغم البلى ؟!
أفلوا وقد بقيت عقولهم التي لن تأفلا
ذهبوا وقد ظلت لتهدينا الى سبل العلى
ان الذي اختصر الكتاب هو الكتابُ مطوّلا
هذا (الامينُ) اراه بالغار النضير مكللا (١)

(١) امين الريحاني وكتابه : ملوك العرب

كالروضة الغنـــاء بل أزهى وأصفى منهلا
أصغي اليـــه وأستعيد حديثـــه المتسلسلا
زار الجزيرة حامـــلاً لملوكها ما امّـــلا
وأطاف ينتجع الوفاق لهم كمنتجع الكلا ...
وضـع الاساس لوحدة بصلاتنـــا لن تكملا
فعَـــلى امرىءٍ يبغي كمال بنائها ان يعملا !

* * *

وتصفحي (العقاد) تلقَي في الدجنة مشعلا (١)
وتَري خضماً زاخراً طوراً وطوراً جدولا
وتَري هنـــا دراً غلا وتَري هنا زهراً حلا
وتَري هنا (الرومي) حياً هاجيـــاً متغزّلا !
وكما ترين (ابن الحسين) (٢) ترين ثم (ابا العلاء) (٣)
ذا يعشق الدنيـــا وذا غضبان يشبعها قلى
فترَين هـــذا مدبراً عنهـــا وهذا مقبـــلا
ياليت شعري كان ايّ العاملين الأعقلا ؟!

* * *

واليك من هذي « الجداول » مايهيـــج البلبـــلا

---

(١) عباس محمود العقاد وكتـــابه عن ابن الرومي ومقالاته عن المتنبي وابي العلاء المعري
(٢) المتنبي
(٣) المعري

ومن (الحمائل) نفحةٌ غير الشذا ان تحملا
التوأمان ابوهما ربُّ البيان ابو الحلى !
سمّي (ابا الماضي) فونّح باسمه المستقبلا
اني لأسمعه يغرّد فيهما مسترسلا
فيكاد يجعل كلَّ وجهٍ عابسٍ متهلّلا ! (١)

* * *

واذا الغريبُ أقلَّ ضيمٍ بالعروبة أنزلا
زأر (الرشيد)(٢) وقد ثنى من كان يزأر أوّلا..
وعلا الزئير كأن هذي الكتب صارت أشبُلا
وسوى الذين عددتهم من لا اعدُّ تمحّلا
فلديَّ جيشٌ عدّه يوهي ويؤذي المعولا
جيشٌ يثير المشكلات ولا يثير القسطلا
جيشٌ يكبّلني وأحسبُهُ لديَّ مكبَّلا !

* * *

أيكون مثلي في جماعته وحيداً أعزلا ؟
عجباً ! وهل تبغين لي صحباً أعزَّ وأنبلا ؟!
أمرافق الأعلام يحلم ان يرافق أفضلا ؟
أومن يعاشر من اعاشرهم يكون مغفّلا ؟!

---

(١) إيليا ابوماضي وجداوله وخمائله .

(٢) الشاعر القروي .

أفلا يساوي كلُّ فردٍ من صحابي جحفلا ؟!

قالت : بلى !

وأراكَ أصدق من أبان وعلّا

وأرى مقرّك كالحديقة بالاطايب مثقلا

وأراكَ كالعصفور بين غصونها متنقلا

وأرى صحابك كالنجوم الزاهرات وأجملا

وأرى حديثك عن صحابك في حياتك منزلا

فاهنأ بهم ولتبق دارُك للعروبة معقلا !



من الشعر المسرحي



الفارس الضائع

لسليمان العيسى

« الليل يهبط بارداً على المدينة بعد نهار قائظ .. أبو محجن يترجل عن جواده قرب بستان .. يبدو متعباً كأنه عائد من مكان بعيد .. يترك جواده الى جوار شجرة في الطريق غير بعيد عنه .. يركز رمحه الى جانبه ثم يخرج زجاجته من جيبه .. يجرع منها قطماً حتى تكاد تفرغ .. يتطلع بين الفينة والفينة من خلال قضبان الباب المغلق للبستان كأنما ينتظر قادماً » .

 صدىً .. صدى

حياتنا صدى

وتلتهب الرمضاءُ أقدامَ الذين عشقوا السفرْ

ويوأد القمرْ

وننتهي ..

لاريَّ غيرَ الوهم .. لاقطرةً من ندى !

* * *

صدىً .. صدى

فلا أقتنصها لمحةً .. ضائعةَ المدى

مجهولةَ العقبى ..

كهذا الليل .. كالرمالْ

يحترق الخيال

على شواطيها .. ونُزْجي عبرَها الركابْ

وننتهي .. ويهوبُ الشبابُ ..

وفي يدينا ..

في يدينا .. قبضتَنا سرابُ ..

* * *

صدىً .. بأعماقي ..

بأعصابي ،

وفي دمي

سأشربُ اللحظةَ .. أمحو ظلَّها على فمي ..

حسبي أني قد عبرتُ مثلَ من عَبَرْ
وكانَ في صحرائهم لِقَدَمي أثَرْ

لَنْ يلمسوا عذابيَ العميقْ
ولن يروا ظلي على الطريقْ

المُغمضون القلبَ يفعلونْ
ما أمِروا .. يَسعون ، يَغْنَمُونْ

شَتّان نحن ..
والوجودُ بيننا نَهَرْ !

هيهاتَ ..
لن يلمسَ جرحي مرةً عُمُرْ !

* * *

« يعلو صوته بالتدريج .. ولكنه يظل عميقاً مؤثراً .. »

ملءَ دمي جوعٌ الى ضَبابْ
الى نجومٍ لم تُضِىءْ يوماً ..
الى سَرابْ ..
الى سماواتٍ كهذي —
تغفر السماءْ
لي شَططي .

كهذه القبةِ في العَلاءْ !

يَشع فيها عالَمٌ غريبْ

مزدحمٌ بالنور ..

مخضّلُ الرؤى ..

حبيبْ ..

ملءَ دمي جوعٌ .. فهل أسيرْ ؟

كالآخرين .. مُغمَضاً .. أسيرْ !

مُكبّلاً بظل غيري ..

طيِّع الخطى ؟

اذن .. فلا شدَّ الهوى سرجاً ..

ولا امتطى !

* * *

لي صخرتان كلما الظما

أرهقني .. فملجآيَ أبداً هما

لي قدَحي .. يملي علي الشعرَ والألمْ

وصارمٌ .. ماسلٌ في مُعضلةٍ حسَمْ

لو سبرَ الغورَ الذي في نشوتي عمر (١)

اذن سقى من كرَمي ..

من طُهْرِيَ

(١) اشارة الى الخليفة عمر بن الخطاب .

السَّحَرُ ..

من نجدتي .. اذا الكماةُ نكصوا غدا
وكنتُ وحدي صرخةً على فم الودى

لو سبَّو الغورَ ! وما باليتُ أن سبَرَ
اوضاعَ في غضبته عن معدني عمر !

* * *

« يمد يده الى جبينه بابتسامة رقيقة » ..

اليَّ يازُجاجتي ..
اليَّ بالعزاءْ !

ستفرشين الليل لي ، بالعطرِ والضياءْ

« يفرغ الزجاجة .. يسمع وقع أقدام الى جوارها .. يلتفت ملهوفاً .. تظهر شموس(١) فجأة أمامه مضطربة » ..

أبو محجن : شموس !

يا ريحانة الالهْ !

« يغيبان في عناق » ..

تمدني بالشعر والحياة ..

« يقبلها من جديد .. »

يافطرةَ الروعة .. في كأسي ، وفي دمي !
ياسكرةً مجنونةَ الكوبِ عـــلى فمي !

لم تبخلي بهمسة الوداعْ (٢)

(١) شموس : المرأة التي أحبها أبو محجن .
(٢) جاء ليودعها قبل ان يذهب الى منفاه .

لفارس الغربةِ والضياعْ

لم تبخلي ..
سأحمل الدُّنَى
في شفتي .. مادمتِ لي هنا ..

لاتغضبي .. غداً ، غداً أغيبْ
خلفَ الكُوى .. والافقِ الخضيبْ

لاتغضبي مني .. غداً أروحْ

شموس : « تدير ظهرها لتخفي الدموع في عينيها » ..

أبيتَ الا نَكْأَةَ الجروحْ

أبيتَ الا موقفَ الخطرْ
أكانَ رهنَ القبلة القبلة السفرْ ؟

* * *

« تصمت لحظة .. ثم تلتفت بهدوء .. وتحدق في عينيه »

اهواكَ .. أهوى الرملَ والحصَى
لفارسي يابسُ أخمَصا

أهواكَ ..
ياجنونيَ الحبيب !
ياعلقماً يعذُبُ لي ..
يَطيبُ !

يحزني بُعدكِ كالمُدى
كشهقة القحط الى الندى

أعرفُ ماحاكَ لكَ القدرْ
أعرفه .. سومِحْتَ ياعُمَرْ

* * *

لاتلتفتْ .. دعني على حُرقْ
أجرعُ هذا العمرْ
هذي النصالَ الحمرْ
أجرعها .. بالصمت والأرقْ !

* * *

أبو محجن

أتيتُ شوقاً لائباً يجوسْ
أتيتُ ، حلماً مجهداً ، ينوسْ
هل يغفرُ الحبُّ ليَ الظما ؟
هل تغفرين ؟ جئتُ مرغما
أتيتُ .. « يغص بالكلمة .. »
والوداعَ ياشموسْ !

الجلباب والبحر



شعر الدكتور صالح الاشتر

تطوان – المغرب الأقصى

« قبيل الظهر من كل يوم خميس كانت تجيء الى الشاطىء في مارتيل – مصيف تطوان – وهي تخطر كالرمح في جلبابها الصيفي ، ثم تخلعه عنها فوق الرمل ، وتنزل الى الماء، ويبقى في انتظارها على الشطآن: جلبابها ... وأنا »

– ١ –

أنتِ في الجِلْبـــابِ والقَدُّ يَميسْ
خَمْرَةٌ تَجْلُو حُمَيَّاهـــا الكُؤوسُ
لم تَذُقْهـــا الأعيُنُ الظَمأى الى قَطْ
وتيهـــا حتىّ انْتَشَتْ منها النُفوسُ

لو تعرّيتِ هنا جُنّتْ قلوبٌ
مِنْ وَراءِ الحُسْنِ أو مالت رُؤوسُ
فالزمي الجلبابَ ياخمرُ وصُوني
حُسْنَكِ العاريَ منّي ياعَروسُ !

– ٢ –

أنا والجلبابُ والشطُّ (بيروتيـ
ـلُ) على وعْدٍ اذا عادَ الخميسُ
أوْدعُ الجلبابَ أنّاتٍ منَ الشّوْ
قِ وعيْني في ثناياه تجُوسُ
لودرى الجلبابُ أينَ الدُّرُّ فيه
عادَ للبحرِ ولاّهُ العبُوس
صدَفٌ مُلقىً على الرمل بلا رِفْـ
قٍ وقد غادرَهُ الدرُّ النفيسُ

– ٣ –

أنا والجلبابُ يُشقينا انتظارٌ
فوقَ سافي الرّمْلِ ، يُضْنينا الجلوس
شخَصَتْ أعيُنُنا بالشّوْقِ للبَحْـ
ـرِ وفوقَ الماءِ حَسْناءُ لَميسُ
صفّقَ الموْجُ بجنْبيْها انتشاءً
وغدَا ألْيَنَ ، والموْجُ شَمُوسُ

هـدأ البحرُ ، وفي صدريَ والجلـ
ـبابِ من لهفتينا حرْبٌ ضروسُ

- ٤ -

لا تقومي ! انّ موجَ البحر في صد
ري هديرٌ عاصفُ الرّيحِ شريسُ
قسماً بالبحرِ والجلبابِ والشط
ـِ ومالي بينَ أيماني الغموسُ
لو نزلتِ البحرَ في عريي غدا فيـ
ـكِ غريقاً والهوى فيهِ حبيسُ
ولذابَ الماءُ في بللورك الصا
في كما ذابَتْ بعينيك الشموسُ

- ٥ -

عُـدْتِ للجلبابِ بعدَ العَوْم ، يا نشـ
ـوةَ عطفيهِ ، انا وحدي التعيسُ
نالَ منكِ البحرُ والجلبابُ حظاً
وانا لم يبقَ لي الا النحوسُ
وفؤادٌ شفّهُ الحرمانُ شوقاً
وبجنبي من الحبِّ رسيسُ
وشكاةٌ صاغها الشِّعرُ دموعاً
فجرتْ من حرقةِ الدمعِ الطروسُ !

من الشعر الحديث

لكمال محمد
— باريس

الكسوف

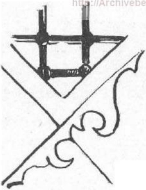
نَظْلِمُ كي نُضيءَ ،
في صالة المرايا
في شاشة الفصاحة البيضاءْ .
نظلم كالحروفْ
بين حقول الورق العذراءْ
من أجل أن نَقْرَأَ .. أن نستفيءْ
بظلّنا الزوايا
في زمن الكسوفْ .

قاطرة المساء

أنام في حقيبة النهارْ
أنا وأشيائي
أنام بانتظارْ
قاطرة المساء .

* * *

رحلة الليل والنهار



نسكن عينَ الليل في النهارْ
وحين يأتي الليلْ
نسقط كالدموعْ ،
نهطل فوق وجنة النهارْ .

نحن سبايا الشعر والضجَرْ
في صدرنا ، الحزن والسفَرْ ،
أكثر من ينبوعْ .

* * *

اللعبة الصغرى

هاجرت نجمة شعري
في سماء الآخرينْ
فانطفأتْ .
دخل العالم صدري
فخرجتُ ،
وتبللّتَ بأمطار الحنينْ
فاحترقتُ .

اللعبة الكبرى



فجأةً ينتحرُ .
وفجأةً :
يدرك أن الموتْ
خديعةٌ كبرى
أنّ الصدى
خيانةُ الصوتْ .

سلسلة

التراث القديم

تصدر عن وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ، سلسلة التراث القديم ، لنشر الكتب المخطوطة التي لم يسبق نشرها ، والتي تكشف عن غنى حضارتنا العربية في مختلف الميادين ، وذلك بعد تحقيق هذه المخطوطات تحقيقاً علمياً وافياً .

يطبع في هذه السلسلة الجزء الرابع من مخطوطة (مجمع الآداب في معجم الألقاب) لعبد الرزاق بن الفوطي . قام بتحقيق **هذا الجزء العلامة المعروف الدكتور** مصطفى **جواد . صدرت** حتى الآن **الأقسام الثلاثة الأولى من هذا** الجزء والرابع كل منها يجاوز ستمائة صفحة . **ويباع في جميع المكتبات المشهورة** . ثمن القسم الواحد ٦٠٠ قرش سوري .

اعتمد الفوطي ألقاب الرجال ورتبها ترتيباً معجمياً وقد جعل فيه اسم العلم مقسماً الى ستة أقسام : أولها اللقب وثانيها الكنية والثالث للاسم والرابع لاسم الأب والخامس النسبة والسادس لاختصاص العلم المترجم بفن أو بمهنة . ثم يترجم للعلم ترجمة مكثفة لاتعدو أحياناً ثلاثة أو أربعة أسطر يوفي بها الغرض من التعريف بالعلم .

وتضم هذه التراجم أعلام الأدب والفكر في التاريخ العربي في عصر ازدهار النهضة العربية حتى أواخر القرن السابع الهجري .



الفنون

الكتاب والموضوعات

- الفن والعلم والحقيقة
  الباحث الناقد رتشموند ووكر
  ترجمة ياسر الفهد

- دراسات فولكلورية
  أعياد شعبية على طريق الزوال
  بقلم نزار العظم

الفن والعلم والحقيقة

للباحث الناقد تشموندووكر

ترجمه عن الانكليزية ياسر الفهد

صحيح ان المعرفة التي يمدنا بها العلم هي ارقى مرتبة من تلك التي يمدنا بها الفن ، لأن الاتفاق على الحقائق والمقاييس المتصلة بالعلم ، اعم منه على القيم والمشاعر المتصلة بالفن إلا ان الفرق يبقى في الدرجة وليس في الطبيعة لأن المقاييس نفسها ليس لها صفة الدقة المطلقة . ولابد ، اذا اردنا تعميق الحب والتفاهم بين الشعوب واشاعة الاستقرار والسعادة في ربوع العالم ، من تضافر جهود الفنان والعالم معا وتعاونهما ، كل حسب طريقته الخاصة ، للوصول الى الحقيقة وكشفها .

ان القول بأن للفن نفس قيمة واهمية العلم من حيث انه يمدنا بمعرفة الحقيقة لم يجد قبولاً لدى الفلاسفة المعاصرين . وقد رفض جون ديوي ، على وجه الخصوص ، التسليم بهذا المبدأ بينما يقبل اصحاب المدرسة التحليلية ، بوجه عام ، بمجرد اعتباره موضوعا مناسبا للتحقيق الفلسفي ، وفي رأي هؤلاء أن الخبرات المرتبطة بالمعرفة تخص العلم وحده . وهم يعتقدون ان مهمة الفيلسوف هي تحليل طرق واصطلاحات وقوانين العلم بغية توضيح تركيبها المنطقي ومحتواها التجريبي . وقد دأب الفلاسفة ، وبمساعدة العلماء أنفسهم ، على القيام بهذه المهمة على مدى نصف قرن أو يزيد ، فوسعوا أو حتى غيروا من مفهومنا للعلم وللكون . والواقع أن النظرة الحالية حول طبيعة الحقيقة التي يكشفها العلم تختلف تماما عما كانت عليه في الماضي حتى لكأنه يبدو ان الوقت قد حان لاعادة النظر في الصلة ، ان وجدت ، بين العلم والفن . ونقول « اعادة النظر » لان مفكرين كثيرين في الماضي كانوا يؤكدون او يفترضون ان الفن كالعلم يكشف جانباً من طبيعة العالم الحقيقية . فارسطو اعتبر أن الفن هو احد اشكال المعرفة . وقال افلاطون : « ان الانسان من خلال رؤية الجمال بعين العقل يكون قادراً ليس فقط على استحضار صور الجمال وانما الحقيقة نفسها . » ومن الوجهة التاريخية اقترن الفن بصورة وثيقة بالدين ـ الوثنية ، المسيحية ، الهندوسية ، البوذية .. الخ ـ وفهم الدين وما يزال على انه متصل بالحقيقة بشكل ما .

قال الشاعر وردسوورث : « ان الشعر هو روح المعرفة . » وقال شيلي : « الشعر هو مركز ومحيط المعرفة بآن واحد . »

ان امكانية الدفاع عن العلم واضحة لاريب فيها فالعلم يمدنا بالحقيقة

وبمعرفة الكون وبماهية الاشياء . كما يزيد العلم التطبيقي من سيطرة الانسان على بيئته ويمده بالآلات والعقاقير المدهشة والقنابل الذرية . اما الفن فلا يمكن الدفاع عنه بنفس الدرجة فهناك في هذا المجال شروح عديدة . وبمجرد كونها عديدة يقودنا الى الشك بشرعيتها وصحتها : **الفن خبرة . الفن هروب من العالم الواقعي . الفن انعتاق . الفن تمثيل . الفن تعبير . الفن اتصال . الفن ساوى .**

ولن نقول أن كثيراً من النظريات الخاصة بالفن ، منفردة أو مجتمعة ، هي خاطئة تماماً ولكنها غير كافية . فهي تعجز عن التعبير بشكل كاف عن المنزلة التي كان الفنانون العظماء دائماً يتمتعون بها . أليست منجزات ميكيل أنجلو وبيتهوفن وشكسبير بنفس قيمة وأهمية منجزات غاليليو ونيوتن وداروين ؟ لقد كان ليوناردو وغوته فنانين بقدر ما كانا عالمين . ومن الواضح أن تعلقهما بالفن لم يكن أضعف منه بالعلم . والسؤال الآن : كيف يمكن تفسير هذه الحقيقة ؟

ولا شك ان السؤال من النوع الذي يجب ان ينظر فيـــه الفلاسفة . أن اساس ومنطلق الفلسفة هو الادراك والفهم . وكما اننا جميعاً نحاول ان ندرك - اي ان نجد التناسق والترتيب والمعنى - خبرات حياتنا العادية فان الفيلسوف ايضاً يحاول ان يجد التناسق والترتيب والمعنى في الخبرات الاكثر عمقا واتساعا والتي يعرضها الفنانون والعلماء والقديسون والحكماء والاشرار . ان التنقيب هنا هام لاننا جميعا ، والفنانين خاصة ، نحتاج الى تفسير معقول لنشاطاتنا الظاهرة منها والمستترة . واذا كان الكثير من انتاج الشعر والرسم والموسيقى في العصر الحديث يبدو ، اذا قورن بالانتاج الفني في الماضي ، غامضا ودنيوياً فان بعض السبب يعود الى ان كثيرا من الفنانين اصبحوا غير واثقين

من آدابهم وغير واعين لواجباتهم . وبدلا من ان يكشفوا لنا العالم كما يشعرون به ويتبينونه من خلال خبراتهم الواقعية فانهم يبدون غالباً وكأنهم يتفاعلون بيأس مع العالم الذي يصفه الفيزيائيون والفلكيون،ومع الرجال كما يحللهم العلماء النفسيون ، ومع الجنس البشري كما يعرض في أطروحــات علم الاجتماع والانثروبولوجيا . لقد اصبحهذا التفاعل اليائس واضحاً في آراء الفنانين الوجوديين والكتاب الذين حاولوا بقنوط أن ينقذوا كرامة وحرية الانسان من مادية العلم الميكانيكية . وعلى كل حال فاذا بدا العلم غريباً على الانسان ومتنافراً مع الفن فلأن طبيعة العلم والفيزياء الحديثة خاصة قد اسيء فهمها .

المفهوم المتغير للحقيقة :

ان الرأي الذي ساد حتى الى ماقبل خمسين أو ستين سنة ومازال يلقى التأييد من الكثيرين ، يقول بأن الانسان بالملاحظة العلمية والتجربة واستخدام الرياضيات يستطيع أن يتوصل الى معرفة العالم الخارجي على نحو موضعي . فالكون ، من النجوم الى الذرات ، كان شيئاً مادياً يسير وفق قوانين الميكانيك النيوتونية . وقد وجد بشكل مستقل عن الانسان ومن المقدر له ان يبقى كما هو وكما نعرفه ولو اختفى الجنس البشري من على وجــه الأرض . وقد كان للانسان عقل وخبرة حسية طبعاً ، ولكن هذه الخبرة كانت شخصية ولم تنبئنا الاعن طبيعة الانسان وليس عن طبيعة العالم الخارجي الحقيقي . وكان من الممكن تقدير القيم والتعبير عن العواطف بواسطة الفنانين والطقوس الدينية . **لكن معرفة العقل الانساني والعواطف والسلوك كانت تتطلب منا الرجوع الى علم النفس والعلوم الاجتماعية . وهكذا تميزت الحقائق عن القيم واصبح العلم هو مصدر معرفة الحقيقة** .وبتطور ميكانيكية الكوانتا ونظرية النسبية بدأت فلسفة

العلم تتغير فكشف انشتين عن ان الفراغ ليست له حقيقة موضوعية وان ليس للوقت وجود مستقل منفصل عن نظام الحوادث الذي نقيسه به . لقد انحلت مكونات الطبيعة الاساسية وانصهرت في سحابة من العلائق الرياضية فهي لذلك لاتملك وجوداً مادياً ولا يمكن مجال اعتبارها « مادة » بالمعنى المألوف للكلمة . وليس هناك من سبب يدعونا للشك بأن الفيزياء الحديثة تمدنا بمعرفة الحقيقة . ولكن الواقع أن مفهومنا للحقيقة هو الذي يتغير . ويبدو أن الفيزياء لاتستطيع أن تنبئنا بشيء عن التركيب الاساسي للعالم المادي . فحقيقة الفيزياء هي رياضية وتتصل بالأرقام والابعاد . وهي بالطبع تجريبية تتوقف في النهاية على الخبرات الحسية ، المباشرة وغير المباشرة ، للكائنات التي تقيسها ، وتعبر عن المعرفة التي يطلق عليها اسم « قوانين الطبيعة » وتعطى بشكل معادلات . ويبدو اننا لانستطيع ان نعرف شيئاً عن الكون الخارجي الموضعي بصورة منفصلة عن الانسان . ويرى وايتهد أنه لا الطبيعة الفيزيائية ولا الحياة يمكن ان يفهما مالم نمزجهما معاً كعاملين اساسيين في تركيب الاشياء « الحقيقية بكل معنى الكلمة » والتي تنظم الكون بارتباطاتها المشتركة وصفاتها المستقلة . وهو يلح على ان الحقيقة هي ذات وجه واحد لا وجهين وان من الخطأ التكلم عن العقل والجسم أو الشخصي والموضوعي او المادي والروحي وكأن هذه الاشياء متناقضة بعضها مع بعضها وتخص كل منها بمملكة منفصلة . انها جميعاً من نفس المملكة فلا يمكن لذلك ادراكها وهي مستقلة وانما فقط بالتئامها والتحامها . اننا في العالم والعالم فينا ، وليس من امل لنا بفهم طبيعة العلم والفن والدين إلا على اساس « الاقتناع » كما يسميه وايتهد . وتستمد معرفة الحقيقة من الخبرة كما ان الخبرة تتولد بالتفاعل بين العضوية البشرية وبينها . فهي لذلك تتعين بطبيعة العالم الخارجي وبطبيعة

العضوية البشرية . ولو أن اعضاءنا الحسية اختلفت عما هي عليه لاختلفت بالتالي خبراتنا ولاختلف مفهومنا عن الكون . وكذلك لو ان الوظائف البيولوجية التي تتضمنها الخبرات الفعالة اختلفت لاختلفت بالتالي مشاعرنا تجاه الطبيعة ولكانت لدينا مجموعة مختلفة من القيم .ولو اختلف اساوب محاكمتنا لاختلفت نظرتنا الى القانون الطبيعي وتركيب وعمل الكون . يقول ب . و . بردغمان : « من الجلي ان طبيعة آلية تفكيرنا تصبغ بشكل اساسي ابة صورة نستطيع ان نكونها عن الطبيعة » .

ويظهر الدليل على ذلك في تطور العلم نفسه كما يعرضه ت . س . كن في كتاب تركيب الثورات العلمية . ان طبيعة الكون نفسها تغيرت كما يبدو بالتحول من الفلك البطليموسي الى الفلك الكوبيرنيكي او من ديناميكية نيوتن الى ديناميكية انشتين ، والتغير في كل حالة يبدل من مفهومنا الأساسي للحقيقة ويكشف عن مجموعة جديدة من المشاكل التي تتطلب الحل وتعدل مجرى لاستقصاء العلمي بأسره . ولكن لنتساءل : ألسنا نسير نحو معرفة حقيقية للكون ، كما هو ، وبشكل مستقل عن الانسان ؟ اننا لا نستطيع ان نعرف ما نحن مقدمون عليه ولكننا نعرف انه لا يمكننا ان نتجنب كوننا بشراً . لنفرض أن هناك كائنات على كوكب آخر تختلف عنا بشكل اساسي ولها اعضاء حسية وعقول وطرائق تفكير مختلفة . في هذه الحالة لابد ان تكون مفاهيم هذه الكائنات عن الكون مختلفة بالضرورة عن مفاهيمنا . فهل يكون الكون عندئذ كما يقولون هم ام كما نقول نحن ؟! ليس لهذا السؤال في الواقع اي معنى ، فلا هم ولا نحن قادرون على التوصل الى المعرفة المطلقة . فالمعرفة نسبية بمعنى انها دائماً تتضمن مراقباً ومراقباً . وهي تشتمل على الطبيعة والعضوية

البشرية فهي لذلك شخصيــة ، وموضوعيـــة في آن واحد . وينبغي ان تكون معرفة الانسان للكون معادلة لمعرفتـــه لنفسه . وهكـذا يتضح لنـــا ان موضوع التساؤل الانساني الكبـــير لا يتعلق ، كما دفعنا الفلاسفة الماديون للظن ، بكون مستقل مطلق موضوعي وانمـــا بالعلاقات المعقدة الموجودة بين الانسان وبيئته ، والمتطورة باستمرار . وتكشف طبيعة هذه العلاقات بالتدريج عندما نتوصل بواسطة العلم والفن الى فهم طبيعة خبرتنا بدقة ووضوح .

العلم والفن :

هل نستطيع القول : ان الفنون ـ المتصلة بالخبرات الفعالة والمشاعر والقيم ـ تمدنا بمعلومات ثابتة عن الحقيقة ؟ من الواضح ان المعرفة التي تزودنا بها الفنون ليست كالمعرفة التي تزودنا بها العلوم فهناك اتفـــاق اعم واشمل حول الحقائق والمقاييس منه حول القيم ، ولكن الاختلاف على اية حال هو في الدرجة فالمقاييس لا تحمل صفة الدقة المطلقة كما وان هناك خلافاً كبيراً حول المغزى النسبي للحقائق . ويعود الخلاف الى تعدد فرضيات ونظريات المحققين الذين يحاولون اخضاع الحقائق للنظام . ورغم ما يوجد من اختلاف في تقدير القيم فان هناك مجالات واسعة للاتفاق حول ما هو خير وشر وما هو قبيح وجميل . وهناك ايضا اتفاق اساسي ، حتى بين الثقافات المختلفة ، حول اعظم الفنانين والانجازات الفنية .

وثمة اختلاف آخر بين الفنون والعلوم يتجلى في ان المعرفة العلمية يعبر عنها بالاصطلاحات الرياضية والكلامية بينما تعتبر المعرفة التي تمدنا بها الفنون ، فيما عدا الآداب ، غير كلامية . وقد سبب هذا بالطبع مصاعب للفلاسفة الذين

يفترض ان تتصل مهمتهم بالتحليل الكلامي والمنطقي . ان السمفونيات الموسيقية والرسوم والقطع المنحوتة يمكن ان يكتب عنها وان تحلل وتنتقد ، ولكن من غير الممكن التعبير كلاميا عما تعنيه . ولا يمكن ادراك معنى انجاز فني الا بالخبرة الواعية الحكيمة للانجاز نفسه . وعندما يهزنا هذا الانجاز نصبح عندها على معرفة ببنائه ومعناه ويصبح لدينا تفهم اوضح للخبرة التي يتصل بها ونحصل على معرفة جديدة عن انفسنا وعن العالم .

تعاون الفنان والعالم :

ان الفرضية القائلة ان الفن كالعلم يزودنـــا بمعرفة الحقيقة هي التعبير الأصح عن المنزلة السامية التي يتبوأها الفن والفنانون . وستجد هذه الفرضية مزيدا من الصدى والقبول لدى العلماء وخاصة منهم المعنيون بقضية السلم العالمي . ورغم ان كل امة تعيش في عالم خاص بها ، فان بني البشر يتقاسمون الانسانية الواحدة وحب الحقيقة وتقدير الجمال واحترام المبادىء الاخلاقية التي يبشر بها الحكماء . ولا يمكن ، في النطاق العالمي ، لاتفاقيــــات ان تدوم او لخطط سياسية ان تنجح ، ما لم يتعمق اساس التفاهم ويزداد ترسخاً عما هو عليه الآن . وتكمن الطريق المثلى لزيادة التفاهم وتعميق جذوره ، في تعاون الفنان والعالم ، كل حسب اسلوبه ، على كشف الحقيقة كشفاً تدريجياً .



دراسات فولكلوريّة



أعياد شعبيّة على طريق الزوال

بقلم نزار مؤيد العظم

اعتاد اهالي مدينة حمص في سورية ، حتى عشرين سنة خلت ، احياء موسم ديني سنوي ، كان يعرف باسم « خميس المشايخ » يبدأ مع اطلالة الربيع في شهر نيسان ، مع تباشير الخصب ونفحات الخير ، حيث يجتمع مشائخ الطرق ومريدوهم وتلامذتهم في صبيحة اليوم الأول من العيد الشعبي ويتجهون في مواكب متفرقة ، تتجمع تدريجياً وتتوافد من الاحياء لتكون ماكان يدعى بالسيّارة ، يحملون سناجقهم المطرزة بالخيوط الذهبية ، والشبيهة

بقلوع المراكب ، وصناجاتهم النحاسية الكبيرة ، وطبولهم ومزاميرهم ، وتلحق بهم جموع غفيرة من الشعب ، الى مقام الولي ، وهناك يقوم المشائخ بالتهاليل والادعيــة والتكبيرات والطقوس الدينية حتى الظهر ، ثم تتوجه السيارات ، الى قلب المدينة ، يتوسطها مشائخ الطرق على خيول ذات سرج زينـــة بأنواع المرايا الصغيرة المدورة والمكعبة وبالودع والزخارف والشناشيل الصوفية ذات الالوان الفاقعة ، وكان المشائخ يتشددون في سيرهم ، ليتيحوا المجال امام النسوة والاطفال اصحاب الأماني والآمال ، للاقتراب منهم ، والتماس بركاتهم ودعواتهم ، فهذه عاقر دخل في روعها ان بركات الشيخ كفيلة بازالة العقم ، وهذه أرملة تتمنى على الشيخ ان يدعو الله العزيز ان يمنحها زوجا ، وتلك صبية تلتمس عودة خطيبها من مكان بعيد ، وهذا يتيم ينشد الأمن في كنف انسان عطوف ... ثم تبدأ بعد ذلك عمليات « الدوسة » و « الشيش » فترى اتباع المشائخ ينطرحون ارضا على ظهورهم ، لتمر قوائم حصان الشيخ فوق بطونهم وسط التهاليل والتكبيرات ، ويتناول الشيخ « شيشا » وهو سيخ حديدي دقيق قوي ، فيقرأ عليه ويتمتم « ثم يعطيه لأحد اتباعه فيغرزه في بطنه لينفذ من ظهره ، وتمتد يد الشيخ من بعد ذلك فتسحب الشيش ، وتمر فوق الثقبين اللذين احدثهما انغراز السيخ ، في بطن التابع ، فلا دماء تنبثق ، ولا آلام ... ويحدث هذا على مرأى ومسمع من الجموع الغفيرة المهللة المكبرة .. وهذه الطقوس بدعة لا أصل لها في الاسلام . وتتابع المواكب سيرها في المدينة ، ويمتد العيد أياما ، يجتذباً اليــه عددا كبيرا من السياح وخلقاً كثيراً من المدن والقرى القريبة ، فتنشط الحركة التجارية في حمص ، ويدور دولاب العمل فترة غير قصيرة .

وكان أهالي حماة ، وهي مدينة تقع الى الشمال من مدينة حمص ، وتبعد عنها قرابة الاربعين كيلو مترا ، يضيقون ذرعا بهذا العيد ، لما طبعوا عليه من حنق قديم متوارث على الحماصنة ، ولما كان بين الطرفين من خلافات على مياه نهر العاصي ، كانت تؤدي في اغلب الاحيان الى اصطدامات دامية ، فكانوا يتوافدون على حمص ابان خميس المشائخ هذا ، سيرا على الاقدام ، او على صهوات الخيل والبغال والكدش ، للتحرش بأهالي حمص وتعكير صفو عيدهم الديني ، وعرقلة مواكب السيارات ، وكانوا يقومون بمضايقات ، كثيرا ما أدت الى وقوع عراكات ومماحكات بين الشبان ، سرعان مايطفيء نارها الرجال المسنون واصحاب الوجاهــة ، وتنتهي بتقبيل الشوارب ، وعودة فرسان حماة الى مدينتهم .

وارتأى بعض الحريصين على تجنيب المدينتين مثل هذه الصراعات والمماحكات ، اقامة عيد موسمي مماثل في حماة ، يشغل الشبان عن حمص ويجتذب السياح والزوار ، وينشط حركة العمل ويفجر طاقات اجتماعية ويحيي عادات قديمة شعبية متوارثة .. فكان عيد الربيع .

وعيد الربيع هذا ، كان يأتي في جملة أيام خميس ، كانت تدعى بالخمسانات ، فهناك خميس البيض ، وفيه يسلق البيض على نطاق واسع ، في موسم اخصاب الدجاج ابان الربيع ويلون بألوان زاهية ، ويدور الصبية والشبان يحملونه بأيديهم ، ليتباروا في عملية كانت تدعى بعملية (التطقيش) ، حيث يعرّض رأس البيضة المحبوسة في راحة احدهم الى نقرات قوية من بيضة ثانية فينال صاحب البيضة الأقوى والتي كسرت الثانية البيضة المكسورة . وهناك خميس « مريم » يجري وقت تفتح الورود والزهر ، فيدور الصبية على المنازل يقرعون ابوابهـــا ويرددون هتافات تطلب منحهم زهرا من حدائق البيت ، والا كسروا باب الدار . . فتخرج ربة البيت اليهم تحمل طاقة من الزهر ، فاذا ماأقبل الليل ، وضع الصبية الزهر الذي جمعوه وسط اطباق فيها ماء ، اعتقادا منهم ان السيدة مريم ، ستمر على الطبق ليلا فتباركه بماءه ، ويهبون فيغسلون وجوههم وايديهم من الماء المبارك ، وثمة خميس آخر كان يدعى بخميس « شعنونة » وبه ينتظم الطقس والجو ويخرج الرجال والنساء في نزهات الى الضواحي تطبيقا للمثل الذي كان شائعا آنذاك « في خميس شعنونة بتطلع العاقلة والمجنونة ، والل ماعندها ملاية تتغطى بفردة طاحونة » وهذا المثل لاينطبق اليوم على النساء بعد ان زال الحجاب وانقرضت الملاءة . وقـــد اتفق هؤلاء الرجال مع اركان الحكومة في المدينة والبلدية على ان يجري هذا العيد سنويا ، وان تتولى البلدية اعمال الزينة وأقواس النصر وانارتها بالمصابيح والبيارق ، ويفيق الناس صبيحة العيد فاذا بمدينتهم قد اكتست حلة رائعة من الزينة ، وفرشت الجدر والشرفات بالسجاجيد العجمية ، واقيمت السرادقات في الشوارع الرئيسية ، وعلى أسطحة الدكاكين التي تقع في الشوارع التي يمر منها موكب العيد . ويفتح أهل المدينة ابواب بيوتهم على مصاريعها ، وينادون الزوار القادمين من خارج المدينة ، أن هلموا فهذه بيوتنا مفتوحة لاستقبالكم تحلون بها ضيوفا مكرمين ، تنامون وتطعمون وتسقون طيلة أيام العيد ، وينشط سوق الحدادين لصنع السيوف والرماح للشبان والصبية ، وكذلك سوق الخياطين لخياطة ما كان يعرف بالقصيرة والقطشية والدامر والشروال ، وهي البسة عربية فضفاضة ، الأولى منها من الكتان الابيض ، ذات أردان واسعة تربط وراء الظهر ، ويتمنطق الصبية بنطاقات

فوقها تحمل اغمدة السيوف والخناجر . والدامر « جاكيت » عربي الطراز من الجوخ الاسود او الكحلي ، تطرز اطرافه واكمامه وياقته بالخرج الحريري ، كما ينشط سوق الاسكافيين ، لصنع ما كان يدعى بالصرامي الحمر ، وهي احذية عربية الطراز بلا كعب ، حمراء الجلد ، تلبس تحت البسة العيد، والشروال « بنطال »ضيق جداً عند القدمين فضفاض ذو انتفاخ يشبه إلية الخروف عند القفا ، يخاط من الجوخ النفيس ويطرز بالخرج الحريري ليلبسه الفرسان . وتبدأ جموع كل حي بالتجمهر قرب دار وجيه الحي أو «شيخ شبابه» بالبستهم التقليدية واسلحتهم وبيارقهم وطبولهم وصناجاتهم، كما يتجمع ايضا مشائخ الطرق ومريدوهم بسناجقهم وصناجاتهم وشبشهم ومزاميرهم. ويتميز «حي السخانة» من الجميع واهله فخذ من إحدى القبائل العربية – بطوطم خاص بهم ، كان يدعى «العمارية» وهو دمية كبيرة على شكل امرأة متبهرجة مزوّقة، يكلل رأسها بأشرطة القصب الفضي، وتلبس عباءة خضراء او حمراء .. وتحمل على جمل، وتختبئ وراءها تحت العباءة شاب، يحركها حركات رتيبة راقصة على قرعات الطبول .. ويتحلق بها فرسان الحي برماحهم وسيوفهم، يهللون ويهتفون هتافات حماسية كقولهم : « الله الله يامفرّج المصائب .. الله الله دين محمد ياصائب » ، او كقولهم « مكتوب على سيوفنا أهلا وسهلا بضيوفنا » او كقولهم « وان هلهلت هلهلنالك فجرنا البارود قبالك .. وان هلهلت يا أم عصابة خلي تنطح البابة .. وان هلهلت يافديوية، واحد منا يسوق المية». اما خيولهم فتزركش سروجها ولجاماتها بالمرايا والودع والشناشيل وتحاط رؤوسها بما يسمى بالرشمة ، وهو نطاق جلدي او صوفي او من حلقات فضية ، وتكون ذيولها معقوصة واجسادها نظيفة . ويتجمع اهل المنطقة الشمالية الواقعة شمال نهر العاصي في مكان كان يدعى الحسنيات ، ويتجمع أهل المنطقة الجنوبية الواقعة جنوب العاصي في مكان خارج المدينة يقال له قبة الشيخ مهران ... ثم ينطلق المركبان باتجاه قلب المدينة ، يتقدمهم الفرسان ، ومن ورائهم المشاة يشكلون ما كان يدعى بالعراضات ، حيث يعتلي الشبان اكتاف بعضهم ، مكونين عموداً بشرياً ، قد يتألف من خمسة او ستة شبان وقوفاً فوق بعضهم ، وفي ايديهم السيوف ، ويهللون ويهتفون ، بينما يقوم الفرسان بجولات وصولات .. استعراضية ، في ترتيب رائع ، فالخيل الشقر على انساق ، والحمر على انساق .. وكذلك السود .. يتقدمهم عرفاء الاحياء ووجهاؤها..ومن وراء هذه المواكب مواكب السيارات لرجال الطرق .. وتلتقي الجموع كلها في ساحة ابي الفداء ، حيث تحيط برجل يمتطي جواداً مميزاً ، كان يدعى ملك الربيع ، يزين رأسه باكليل من المصابيح الكهربائية الصغيرة تستمد طاقتها من بطارية في جيبه . ثم ينقسم الفرسان فئتين ، تنطلق

كل فئة الى مسافة تبعد عن الاولى قرابة سبعين متراً ، ثم يخرج فارس من إحدى الفئتين ويتحدى فرسان الفئة الاخرى ويدعوهم للمبارزة ، فيخرج اليـه فارس ، ويجولان ويصولان ويتبارزان مبارزة «حبية» ثم ينضم الفريقان الى بعضهما ويهللان تهاليل الاخاء والمحبة . وتنطلق العيارات النارية تشق الفضاء ، وتضج الساحة بزغاريد النسوة المطلات على المواكب من الشرفات والسرادقات المنصوبة على أسطحة الدكاكين .. وتمتد الايدي الرقيقة الناعمة بشربيات ماء الورد وماء الزهر لترشق به مواكب الفرسان وعراضـات المشاة . ويشكل رجال القرى الوافدين على حماة مواكب خاصة بهم ، ويعقدون حلقات الدبكة على انغام المزامير التي كانت تسمى « ماصول » المنسجمة مع قرعات الطبول . وتستمر الاحتفالات ثلاثة أيام ، تشهد فيها المدينـة أروع مظاهر الفروسية ، فتعقد مباريات « الجريد » وهو سباق للخيل يقام في ضاحية الحسنيات لأهل منطقة الحاضر ، وفي باب طرابلس ، لأهالي منطقة السوق .. وحين تنتهي هذه الاحتفالات كانت جموع الوافدين من السياح والزوار تغادر المدينة تحمل احلى الذكريات وأنبل أثر في نفوسها عن الكرم العربي وحسن الضيافة الحموية .. تترقب بفارغ صبر حلول عيد الربيع الثاني .. لتهرع من كل حدب وصوب ، كي تنعم بما نعمت به في العيد السابق .

تلك اعياد شعبية كانت تشهدها مدينتا حمص وحماة كل عام ، عفا عليها الزمن ... وغابت وراء صفحات التاريخ .. وكاد النـاس أن ينسوها .. فاذا لم يقدر لنفر من كتابنا الاجتماعيين ملاحقتها وتقصي أنبائها من الرجال الذين عاشوها ومارسوها ، فان غبار الزمن سيتراكم فوقها وسيأتي حين تضيع ذكراها ، وتمحي صورها ، وان ذلك لأمر محزن .. والامم الحية تحرص كل الحرص على تراثاتها الشعبية واعيادها التقليدية ، كهمزة وصل بين الماضي والحاضر والمستقبل .

كتاب المعرفة

تاريخ المكتبات عند العرب في القرون الوسطى

تأليف وتلخيص الدكتور محمد ماهر حمادة

قضية ادبية قومية

الأدب المهجري «معجزة العروبة في العصر الحديث»

عرض وتحقيق فريد جحا

مقابلات المعرفة

مع الأستاذ أنور الجندي

في المكتبة العربية

الفن والأخلاق لشارل لالو ترجمة الدكتور عادل العوا

عرض وتلخيص محمد الراشد

القصة العربية

رواية حسن جبل لفارس زرزور عرض حسام الخطيب

زورق من دم ليوسف شرورو

عرض وتحليل ياسين رفاعية

المسرح

الطرواديات **عرض احسان الهندي**

فنون

معرض الفن الاسباني المعاصر **تقديم غازي الخالدي**

منجزات العلم

البشرية تقترب من مرحلة غزو القمر **ترجمة حسين الحكيم**

كتب جديدة

أخبار ثقافية

كتاب المعرفة

تاريخ المكتبات

عند العرب

في القرون الوسطى

تأليف وتلخيص
الدكتور محمد ماهر حمادة

ان ما كتب ونشر عن الحضارة العربية الاسلامية وعن العرب والمسلمين ولاسيما في عصر ازدهار الحضارة العربية كثير . وقد تناول البحاثة ،في الغرب والشرق ،من العرب ومن سائر الأمم هذه الحضارة وهذا التراث بالبحث والتحليل والتمحيص وخرج بعضهم بآراء مثيرة حول عدد من المواضيع التي لها اتصال بهذه الحضارة . ونحن قد نقبل آراءهم هذه او نرفضها حسب ما نفهم هذه المواضيع، اذ ان العرب عامة لهم فهم خاص لحضارتهم قد يختلف او يتفق الى حد كبير او صغير مع آراء المستشرقين في هذه الحضارة . ولكن رغم غزارة ما نشر عن هذه الحضارة ورغم ما كتب عنها ما تزال بعض النواحي غير مجلوة تماما وغامضة الى حد ما ودور العرب مايزال فيها غير محدد . من هذه النواحي التي ألمعت اليها، تاريخ المكتبات عند العرب ودور العرب في بناء المكتبات وتشجيعها والعناية بها. فالكتب المخصصة لهذا الموضوع ضئيلة جدا والكتـــاب سواء كانوا غربيين أو عربا لم يولوا هذا البحث مايستحق من العناية رغم ان عدداً من الباحثين العرب بدأوا حديثا العناية بالموضوع والكتابة به . وقد كتب المؤلف رسالته هذه مساهمة منه في خدمـــة التراث العربي عامة وليعرف الناس بقيمة المكتبة العربية وأثرها في ازدهار الحضارة العربية إبان نضجها وسموها.

تقع الرسالة في حوالي تسعين صفحـــة مضروبة ومنسوخة على الآلة الكاتبة ،وقد قسم المؤلف الرسالة الى مقدمـــة وتسعة فصول وزودها بهوامش كثيرة وبلائحة تشمل اسماء مصادره ومراجعه في تحضير الرسالة . ولقد حاول المؤلف تبسيط الموضوع كثيرا وأعاد فيه ذكر كثير من الحقائق الدولية التي يعرفها كل مشتغل بالتاريخ العربي وماذلك إلا لان الأساتذة المشرفين على تحضير الرسالة ليسوا على معرفة جيدة بحقائق التاريخ العربي فاضطر المؤلف لشرح ذلك في رسالته. كذلك استعان المؤلف بالمصادر الأولية العربيـــة وبالمصادر الثانوية في تحضير هذه الرسالة .

حاول المؤلف في المقدمة اعطاء لمحة عاجلة عن جزيرة العرب والحضارات التي تعاقبت عليها وخـــاصة في الجنوب، ثم ذكر ظهور الاسلام وأثره في توحيد العرب وجعلهم أمة واحدة ثم تحدث عن الفتوحات الاسلامية وامتدادها على العالم القديم من حدود اسبانيا وفرنسا حتى الهند وحدود الصين . وبين كيف أن محمداً الرسول والقرآن الكريم واللغة

(*) تقدم للقراء تلخيصا بالعربية للرسالة التي تقدم بها المؤلف الى جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة لنيل درجة الماجستر في علم المكتبات في عام ١٩٦٢ ، والرسالة ماتزال غير منشورة ، ومكتوبة باللغة الانكليزية. — المؤلف —

العربية، هذه المقومات الثلاثة اصبحت الرابط الذي يربط بين شعوب هذه المنطقة الشاسعة من الارض ، وقد اثبتت هذه الرابطة انها اقوى من الخلافات التي كانت موجودة بين هذه الشعوب وهذا لايعني القول بأن هذه المقومات قد ازالت كل الخلافات الموجودة سابقا ولكنها قدمت جميع العناصر الضرورية والاساسية لبناء امبراطورية عظيمة هي الامبراطورية العربية الاسلامية ولبناء حضارة رائعة هي الحضارة الاسلامية العربية .

عندما فتح العرب سورية، مصر ،العراق، فارس ،شمالي افريقيا ..الخ احتكوا بالتقاليد الثقافية والحضارية العائدة للحضارات السابقة لهم وامتصوها بسرعة عجيبة ثم ابدعوا بعد ذلك حضارتهم الخاصة بهم ونشروها في كل العالم المعروف آنذاك وحققوا في حضارتهم وحدة حضارة البحر المتوسط مع حضارة غربي آسيا وكانوا هم التعبير الاسمى عن تلك الوحدة .

ان تاريخ الكتب عند العرب مهم جداً وذلك من اجل معرفة تطور الثقافة العربية. ليس هناك الا عدد قليل من الشعوب التي قد توازي العرب في اهتمامها بالكتب والتقاليد الأدبية التي كانت لها أهمية كبرى في حياتهم الثقافية والعربية . انه يبدو عجبا ان شعبا كالشعب العربي خرج من جزيرته وامتص في فترة وجيزة اراضي الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية الساسانيــــة وتمثل في حضارته الحضارات السابقة له بسهولة ويسر ثم أبدع أروع حضارة عرفها العالم حتى ذلك الوقت . قد فعل ذلك في فترة وجيزة جدا مما جعل بعض الباحثين يعتبرون ذلك نوعاً من المعجزة. ولكن العجب يزول اذا تذكرنا ان الحضارة العربية الاسلاميــــة هي حضارة انسانية في جوهرها تساوي بين الجميع وتحترم جميع الآراء والمذاهب وان العرب كانوا حملة رسالة وانهم نشروا هذه الحضارة وهذه الرسالة بوسائل سلمية انسانية وكان رائدهم في هذا النشر الكتاب والمكتبة الى جانب غيرهما من الوسائل الأخرى .

خصص المؤلف الفصل الاول من رسالته لبحث التأثيرات الثقافية التي اثرت في تطور ونمو المكتبات عند العرب وكذلك حاول في هذا الفصل تحديد موضوعه ومجال بحثه . أما الموضوع فهو تاريخ الكتب والمكتبات عند العرب وذلك خلال الفترة الواقعة بين ظهور الاسلام واواخر القرن الثالث عشر الميلادي. ويشمل البحث الامبراطورية العربية الاسلامية إبان ازدهارها اي الارض الممتدة من حدود فرنسا غرباً حتى الهند والحدود الصينية شرقاً وتشمل اسبانيا وشمال افريقيا بكامله وشبه جزيرة العرب والهلال الخصيب وفارس وما وراء النهر حتى الهند والصين .

عند بحث التأثيرات الثقافية المختلفة السابقة

لظهور العرب على مسرح السياسة في الشرق الاوسط ذكر المؤلف النهضة العظيمة التي حمل مشعلها في الشـرق كسرى انو شروان (٥٣١ – ٥٧٩) الذي أحيـا اللغة الفارسية القديمة وأسس المدارس والمكتبات وادخل الفلسفة اليونانية والعلم اليوناني الى بلاد فارس . «و يمكن القول بأن تاريخ المكتبات الشرقية في القرون الوسطى قد بدأ في ذلك الحين » وكان سكان سورية هم الوسطاء في نقل العلم اليوناني والفلسفة اليونانية الى الفارسية حيث تم ذلك في مدارس انطاكية وبيروت وخاصة اديسا (الرها) .

كذلك بحث المؤلف اهمية طرد الفلاسفة اليونانيين في أثينا على يد جوستنيان وكيف أن كسرى انوشروان آواهم وأكرمهم وسمح لهم بمتابعة تعاليمهم وبنى لهم مدرسة جنديسابور التي ظلت نشيطة وفعالة حتى زمن العباسيين . كذلك بحث المؤلف المدارس اليونانية التي في الشرق من عهد الاسكندر وبحث انتقال وانتشار الافكار الهيلينيـة والبيزنطيـة في الشرق بواسطة المدارس والمكاتب المختلفة . والكلام عن الثقافة الهيلينية والبيزنطية في الشرق يقود طبعاً إلى الكلام عن مكتبة الاسكندرية الشهيرة التي يتهم بعض المؤرخين ظلماً العرب باحراقها عندما احتلوا المدينة سنة ٦٤٢ م . بعد ان بحث المؤلف قصة هذه المكتبة الشهيرة بحثاً وافياً توصل الى اثبـات ان «قصة احراق العرب لمكتبة الاسكندرية قصة خيالية وهي تحمل في طياتها البرهان على كذبها » . استند المؤلف في البرهنة على براءة العرب من التهمة الى النقاط التالية :

أولاً – لم يكن هناك مكتبة في الاسكندرية عند قدوم العرب اليها لأن المكتبة كانت قد اختفت من عالم الوجود قبل قدوم العرب الى مصر بزمن طويل .

ثانياً – ان اتهام العرب بحرق مكتبة الاسكندرية يناقض روح العرب البناءة التي كانت تضطرم فيهم خلال الفتح ويتناقض مع سلوكهم واخلاقهم ومبادئهم وما قاموا به من اعمال في جميع البلاد التي فتحوها .

ثالثاً – لقد رويت هذه القصة اول ما رويت في القرن الثاني عشر الميلادي أي بعد فتح الاسكندرية باكثر من خمسة قرون وان غياب اية رواية معاصرة للحادثة أكبر دليل على كذب تلك الرواية .

كذلك اشاد المؤلف بدور مكاتب القدس وقيصرية وحران – التي وجدت في سورية قبيل الفتح – في حفظ الكتب والمساهمة في نشر التراث الهيليني بين العرب .

يتناول المؤلف في الفصل الثاني موقف العرب من الكتب والمكتبات خاصة ومن التعليم عامة ثم يثني بذكر الادوار التي مرت بها المكتبات في العالم العربي ثانياً .

عند ذكر الشق الاول يلح المؤلف على موقف العرب العظيم من التعليم والفكر عامة ويلمح الى النهضة التي كان قد بزغ فجرها في جزيرة العرب قبيل الاسلام ثم يذكر ظهور الاسلام واثره في التوجيه الى النور والعلم مستشهداً بعدد كبير من الآيات والاحاديث النبوية والامثال العربية والحكم التي تدعم وجهة نظره .

عند ذكر ادوار المكتبات العربية يتجنب المؤلف تحديد الادوار بالسنين لانه يعتقد ان مثل هذا التحديد غير صحيح ومضلل وهو يقسم هذه الادوار الى ثلاثة ادوار : دور الحضانة ويمتد من ظهور الاسلام حتى منتصف القرن الثامن الميلادي ، دور الازدهار ويمتد حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، دور الانحطاط الذي يمتد حتى مطلع العصور الحديثة .

في دور الحضانة نجد العرب مشغولين اكثر مايكون بالتوسع والاعمال العسكرية ولكن ذلك لم يمنع من ظهور حركة ادبية وظهور ادباء ومؤلفين ومترجمين ، فأول كتاب كتب في ذلك العهد هو القرآن الكريم ، ورغم عدم وجود مخطوطات تعود الى ذلك العهد الا ان الطقس هو المسؤول الى حد كبير عن فقد مثل هذه المخطوطات ذلك ان الطقس الحار الجاف في مصر حفظ لنا عدداً كبيراً من المخطوطات المكتوبة على اوراق البردي واغلبها عبارة عن وثائق او رسائل ، واقدم مخطوط عربي هو مخطوط مؤلف من سبع وعشرين صفحة يعود تاريخه الى سنة ٨٤٤ م وهو جزء من سيرة الرسول مكتوبة بقلم وهب بن منبه . وهناك اخبار كثيرة عن علماء وفضلاء جمعوا عدداً كبيراً من الكتب في ذلك الزمن . كذلك يذكر المؤلف النهضة التي اوجدها خالد بن يزيد بن معاوية (٦٦٥ — ٧٠٥ م) عندما افتتح دور الترجمة في العالم العربي وامر النقلة بنقل الصنعة والكيمياء الى اللغة العربية .

اما دور الازدهار فهو الدور الذي شاهد الامبراطورية العربية في ذروتها وعصرها ابان مجدها واعلال قوة العرب . ولكن الملاحظة الجديرة بالاعتبار هو ان الانهيار السياسي رافقه رقي وازدهار حضاري لان مراكز النور في العالم العربي تعددت كثيراً . فعوضاً عن مركز او مركزين وجدت مراكز كثيرة للاشعاع . وقد انتشرت المكتبات في ارجاء الوطن العربي وكانت هذه المكتبات مراكز للترجمة والتأليف والدرس والبحث . في هذا الدور نجد خطة كاملة مدروسة من اجل النقل والترجمة من جميع اللغات الى اللغة العربية ، وكذلك نجد التأليف والابتكار قد ازدهرا ووصلت فيه العبقرية العربية الى دور القمة والاوج . لعل اهم ملاحظة تلاحظ حول المكتبات في هذا العصر هي

الدور العظيم الذي شغلته واحتلته في الحياة العقلية والثقافية عند العرب ، فلم تكن هذه المكتبات بحال من الاحوال مخزناً للكتب بدون حياة ولكنها كانت مراكز يتقاطر اليهـا رجال العلم والادب ويتناقشون في رحابها وينهلون من محتوياتها المعلومات المفيدة .

اما دور الانحطاط فهو الدور الذي الح على العـالم العربي فيه العدوان الخارجي (من صليبي ومغولي) وفرقت العرب فيه الخلافات الداخلية ودمر فيه قسم كبير من معالم الحضارة وسيطرت على العرب فيه روح محافظة رجعية جمدت كل شيء . في هذا العصر نجد مكتبات ولكنهـا كانت مخزناً لجمع الكتب لاروح فيها ولا حياة ولم تؤد اية خدمة .

اما الفصل الثالث فقد خصص لذكر انواع المكتبات التي وجدت في العالم العربي . بعد ان ذكر المؤلف ان المكتبة وجدت اول ماوجدت في الجوامع من اجل غايات دينية انتقل الى ذكر انواع المكتبات : فهنـاك المكتبات العـامة التي كان الامراء والخلفاء والحكام يرون ان واجبهم يقضي عليهم بانشائها وقد انتشرت هذه المكتبات في ارجاء الوطن العربي وخاصة في مراكز الاشعاع فيه بغداد ، القاهرة ، قرطبة ، شيراز ، بخـارى ، طرابلس الشام ، حلب ، دمشق ... الخ .

فقد ذكر المؤرخون ان بغداد حوت ابان ازدهارها ستاً وثلاثين مكتبة كانت مباحة للجمهور دون مقابل . واغلب هذه المكتبات دمر على اثر سقوط بغداد بيد المغول سنة ١٢٥٦م . ولم يستطع المؤلف ذكر جميع هذه المكتبات وانما انتقى بعضها ووصفها كنموذج للبقية . من اشهر مكتبات بغداد مكتبة الوزير ابي نصر سابور التي بنـاها سنة ٩٩١ م . وابو نصر هذا كان وزيراً لبهاء الدولة البويهي . وكان لها بناء خاص بها في محلة الكرخ وبلغ عدد كتبها ١٠٤٠٠ مجلد . وقد استفاد من هذه المكتبة جل الفائدة حكيم المعرة ابو العلاء الذي زارها وسمر مع الادباء والفقهاء فيها . وكان امناء المكتبة فيها رجال ادباء امثال عبد السلام البصري اللغوي وابي منصور صديق ابي العلاء المعري . ولكن هذه المكتبة دمرت سنة ١٠٥٥ عند احتلال السلاجقة بغداد .

وكذلك اشاد المقدسي بالمكتبة التي بناها عضد الدولة (توفي سنة ٩٨٢) في شيراز فقد ذكر المقدسي انه لم يبق لها مثيل سواء في الشرق ام في الغرب . وحوت كتبـاً في جميع انواع المعرفة . وهذه الكتب كانت مصنفة حسب المواضيع ولها فهرس مرتب حسب عناوين الكتب .

ولقد وجدت المكتبات في اغلب المراكز الكبرى ، غير انه لابد من ذكر مكتبـة

طرابلس الشام التي ازدهرت تحت حكم بني عمار . هذه المكتبة حوت في وقت من الاوقات مليوني مجلد وكان بها ١٨٠ ناسخ يعملون ليل نهار ، وكان لحكام المدينة وكلاء يجوبون العالم العربي بحثاً عن الكتب لتزويد المكتبة بها . هذه المكتبة دمرها الصليبيون عندما احتلوا طرابلس سنة ١٠٠٩ .

وهناك المكتبات الخاصة : التي هي على الغالب اول نوع من المكتبات وجدت في العالم العربي — اكثر من ان يحصرها عد . إذ انها وجدت في اغلب ارجاء الوطن وكان موجدوها العلماء والبحاثة والاغنياء، كمكتبة الواقدي وعلي بن يحيى المنجم وابناء موسى وغيرهم كثير. ولكن الطريف في هذه المكتبات انها كانت مفتوحة للعموم حتى ان بعض اصحاب هذه المكتب كعلي بن يحيى المنجم كانوا يطعمون الفقراء ويزودونهم بالاقلام والاوراق ويوجدون لهم مأوى طيلة مدة اقامتهم في تلك المكتبة .

المكتبات الملحقة بقصور الامراء والخلفاء: هذه وجدت في اغلب مراكز الحكم في العالم العربي ولا سيما حيث يوجد امير مثقف . وكمثال على هذا النوع من المكتبات يورد المؤلف مكتبة بخارى التي اوجدها السامانيون وخاصة السلطان نوح بن منصور في القرن العاشر . هذه المكتبة لها الشرف بأنها احتضنت وانتجت العلامة العظيم ابن سينا الذي شفى السلطان من مرض عضال ألم به وهو في سن الثامنة عشرة من عمره فسمح له السلطان بالدخول الى مكتبته الخاصة حيث غرف من معينها حتى ارتوى ، وهناك مكتبة العزيز بالله الفاطمي التي اوجدها في القاهرة في القرن العاشر وبلغ عدد مجلداتها حوالي ٦٠٠,٠٠٠ مجلد وكذلك مكتبة الحكم الثاني الاموي في قرطبة التي حوت اكثر من ٤٠٠,٠٠٠ مجلد ووضع لها الفهارس لكل موضوع على حدة وذكر ان عدد فهارس الدواوين وحدها ٤٤ فهرساً في كل فهرس عشرون ورقة .

مكتبات البحث : وهي المكتبات التي خصصت للبحاثة من اجل البحث والترجمة والتأليف والنشر. واشهر مثلين على ذلك هما بيت الحكمة في بغداد التي انشأها الرشيد وغذاها المأمون . ودار الحكمة في القاهرة التي ازدهرت في عهد الحاكم بامر الله الفاطمي . فقد حشد الرشيد والمأمون المترجمين والبحاثة في تلك المؤسسة وجعلوهم يترجمون لها اشهر الكتب من اللغات الفارسية واليونانية الى العربية . ومن اشهر رجال هذه المؤسسة سهل ابن هارون . اما دار الحكمة في القاهرة فهذه قد اسست اصلاً للدعاية للمذهب الشيعي ولكنها طورت حتى اصبحت جامعة اكاديمية من الطراز الاول وبلغ عدد كتبها اكثر من ١,٦٠٠٠٠٠ مجلد وكلها مصنفة

حسب المواضيع ولها فهرس عام وبلغت نفقات هذه الدار اكثر من ٢٠٠ دينار شهرياً من اجل الادارة فقط .

كذلك الحقت بالجامعات الشهيرة مكتبات غنية ذات قيمة ، ولعل أشهر هذا النوع المكتبات التي الحقت بالمدارس التي أسسها نظام الملك في بغداد والموصل والبصرة ونيسابور ومرو.. الخ . وكذلك مكتبة المستنصرية في بغداد التي أوجدت في القرن الثالث عشر . هذه المكتبات كانت غنية بالكتب المتعلقة بمناهج التدريس في المدارس ومفهرسة ومرتبة حسب المواضيع ومخصصة للتلاميذ ولكنها كانت مباحة للمدرسين والبحاثة .

وهنـــاك انواع أخرى من المكتبات كمكتبات المدارس ومكتبات المساجد والربط والخانقاه والمشافي كالمكتبة التي الحقها عضد الدولة البويهي بالمستشفى الذي بناه في شيراز في القرن العاشر .

استعمل العرب في هذه المكتبات الكتب المكتوبة على الرقوق والجلود وأوراق البردي . وعندما اخترعوا الورق في سنة ٧٥١ في سمرقند حل الورق محل الجلود والبردي وحل الكتاب ذو الصفحتين محل الملف الذي كان شائعا قبل ذلك . « ان اختراع الورق جعل الكتاب اكثر شعبية مما كان وقاد الى انتشار الثقافة والمكتبات » وادى اختراعه الى انتشار تجارة الكتب في العالم العربي . ولقد حصلت هذه المكتبات على كتبها من مصادر عديدة أهمها النسخ . فقد وجد النساخ في أغلب المكتبات وهمهم نسخ مختلف الكتب لاغناء المكتبة بها وكذلك تعتبر الهبات والوصايا مصدر هاماً من مصادر الكتب اذا اعتاد الادباء والامراء ان يهدوا المكتبات كتبهم ، وكثير منهم يوصي بايداع كتبه في المكتبة بعـــد وفاته كما فعل ياقوت الحموي الذي أوصى بكتبه كوقف للجامع الزيدي في بغداد . اما المشترى فهو مصدر رئيسي من مصادر الكتب للمكتبات . وانتشرت تجارة الكتب في طول البـــلاد وعرضها . فقد ملكت بغداد اكثر من مئة مخزن لبيع الكتب .

يبحث الفصل الرابع في النواحي الفنية والادارية من تنظيم المكتبات عند العرب . هنا يبحث المؤلف النواحي المالية والادارية والفنية . ففي النواحي المالية لاحظ المؤلف ان مؤسسوا المكتبات كانوا امـــا حكاما او اشخاصاً اغنياء وفي كلا الحالتين حرص المؤسسون على جعل مؤسساتهم تستمر بعد وفاتهم ولذلك منحوها المنح واوقفوا عليها الاوقاف الغنية وفي اغلب الاحيان كانت المكاتب قادرة على تزويد الطلاب وفقراء العلماء بالمواد اللازمة للبحث والدرس . ورغم انه ليس لدينا ارقام محددة عن نفقات المكتبات إلا ان المبالغ طائلة عـــلى كل حال . فبنو موسى الذين أوجدوا مكتبة اكادمية كانوا

ينفقون على المكتبة والتراجم والنقلة والمؤلفين المشتغلين فيها مايزيد على ٥٠٠ دينار شهريا .

واما النواحي الادارية فقد ذكر المؤلف إن امناء ومدراء هذه المكاتب كانوا على الغالب رجالا ذوي وزن في المجتمع الادبي الذي كانوا يعيشون فيه وكان لهم نفوذ كبير في تطوير المكتبات التي عهد اليها ادارتها . ورغم عدم وجود نظام موحد لادارة المكتبات فانمن الممكن ذكر الخطوط العريضة للادارة . فقد وضعت المكتبة بعهدة مدير يدعى **الوكيل** وذلك لادارة المكتبة من الوجهة الادارية، على حين عهد بالنواحي الفنية الى امين مكتبة يدعى **الخازن**، ووضع الاثنان معاً تحت اشراف مدير عام يدعى **المشرف** . من وجهة نظر فنية رتبت الكتب وصنفت حسب المواضيع ووضع لها فهارس عامة والصق على جلد الكتاب اسم المؤلف وعنوان الكتاب وقد وضعت الكتب على رفوف وقسمت الرفوف الى اقسام عددة وألصق على مدخل كل قسم لائحة تحوي فهرس الكتب واسامها واسماء مؤلفيها في ذلك القسم . وكان الدخول والوصول الى الكتب حراً في اغلب الاحيان ويقدم الخازن كل مساعدة لمن يطلبها وكل طالب حر في نسخ مايريد من الكتب او أجزائها . وكانت اعارة الكتب حرة خارج المكتبات وبدون اي التزام .

اما الفصل الخامس فقد خصص لذكر مشاهير امناء المكتبات الذين كان لهم دور فعال في تطوير هــذه المؤسسات والذين كانوا رجال أدب وعلم وبحث « وفي الحقيقة فان قسطاً كبيراً من النشاط الخلاق الذين ابدته المكتبات العربية الاسلامية يعود في الغالب الى شخصية الاشخاص الذين خدموا كامناء للمكاتب » . لقد ذكر ابن النديم في كتاب الفهرست اسماء عدد من كبار العلماء خدموا في بيت الحكمة كامناء امثال سلم وسعيد بن هرون وسهل بن هارون الذي كان شعوبياً وكان خطيباً وشاعراً فصيحاً والف رسالة في مدح البخل . وناهيك بأبي منصور الذي كان أميناً لمكتبة نيسابور في بغداد الذي كان بينه وبين ابي العلاء المعري مراسلات ومساجلات ، وكذلك المرتضى الشريف الطالبي الذي اصبح اميناً لنفس المؤسسة . واما ابن سينا فقد تولى ادارة مكتبة السلطان نوح بن منصور الساماني في بخارى واثبت انه خير من يستلم مكتبة لانه امتص مافيها من المعلومات واضاف اليها كثيراً وابرزها تراثاً خالداً لن يبيد . وكان الخلفاء والامراء والوزراء يحرصون على تعيين اشهر الرجال في مكاتبهم كما فعل ابن العميد عندما عين مديراً لمكتبة المؤرخ الشهير مسكويه او ابن مسكويه صاحب كتاب تجارب الامم ، وكذلك خدم الامام الغزالي مديراً لمكتبة المدرسة النظــامية في بغداد عدداً من السنين .

في الفصل السادس يبحث المؤلف مختلف العوامل التي اثرت في تطور المكتبات عند العرب :

« لقد كانت المكتبات العربية ادوات ناشطة في المجتمع العربي الذي كانت تخدمه ، ونستطيع ان نجد جميع اهتمامات ومصالح عصرها منعكسة في تطورها ونشاطاتها » .

اول هذه العوامل العامل الديني وهو اول واهم عامل في نشوء ونمو وتطور هذه المؤسسات ، فالمكتبة ظهرت اول ما ظهرت مرتبطة بالمساجد ومن اجل خدمة دينية . وسلوك الرسول العربي واصحابه من بعده خير دليل على ذلك . فقد شجع الرسول العلم والتعلم قولا وفعلا وكان القرآن وشروحه موجودة في كل مكتبة من المكتبات وتشكل العمود الفقري في المجموعة . ثم تأتي بعد ذلك عدة عوامل مثل العامل الاجنبي الذي اثر في العرب عن طريق احتكاكهم بالحضارات السابقة لحضارتهم في مراكز الحضارة القديمة وخاصة الثقافة الكلاسيكية في عصر الترجمة والنقل من اليونانية الى العربية . وهناك العامل التربوي الذي ادى بالضرورة الى ايجاد مكتبات تابعة للمدارس عندما اسست المدارس والجامعات ، فكل مدرسة انشئت في العالم العربي انشىء معها وربط بها مكتبة تخدم المناهج التعليمية في تلك المدرسة ولا نستثني من ذلك الكتاتيب اذ الحقت بها مكتبات من اجل تسهيل المطالعة . وهناك العامل الشخصي الذي لعب دورا هاما والعامل الاقتصادي وغيرهما من العوامل .

يتحدث الفصل السابع عن شخصية المكتبات عند العرب وعن خدمتها والوظائف التي كانت تؤديها « تعكس المكتبات عند العرب في شخصيتها جميع اهتمامات وصفات المجتمع الذي تخدمه . لقد كانت اعضاء حية في الجهاز الجبار الذي اوجده المجتمع من اجل خدمته » .

فهناك الشخصية الدينية للمكتبة عند العرب وهذا ظاهر منذ البدء فقد اسست المكتبات بدافع ديني ومن اجل خدمة الدين وهذا ينطبق على جميع الاديان والبدع التي وجدت في العالم العربي ، فشيعة مائي صودرت منها كتب عديدة جدا تدافع عن عقيدتها ، واديرة المسيحيين في الشرق كانت مملوءة بكتب تدافع عن العقيدة المسيحية . وهناك الشخصية العلمية الاكاديمية للمكتبة وهذا واضح جدا في بيت الحكمة في بغداد ، حيث نقلت وترجمت مختلف العلوم الى العربية وحيث حشد المأمون ومن بعده من الخلفاء النقلة من امثال حنين بن اسحق وثابت بن قرة وغيرهما واغدقوا عليهم الاموال في هذا السبيل . ويقال نفس الشيء كذلك عن دار الحكمة في القاهرة والمكتبة الخلافية في قرطبة ، ثم نجد الشخصية الاجتماعية للمكتبة ظاهرة

جداً في أغلب هذه المكتبات حيث كانت هذه المكتبات اماكن لعقد المنتديات لبحث المشاكل الادبية والاجتماعية والمناقشات والمناظرات كما حدث في مكتبة سابور في بغداد وفي مكتبة العزيز في القاهرة ومكتبة مدينة البصرة التي وصفها الحريري في مقاماته بأنها مقر ومهبط المثقفين والرحالة في المدينة. اما الشخصية التربوية فلا تحتاج الى كبير شرح لأنها واضحة كل الوضوح من المكتبات التي ألحقت بالمدارس والجامعات لخدمة الطلاب وتعزيز المناهج التعليمية التربوية. ورغم ان الشخصية الدعائية ليست واضحة وضوح الشخصيات السابقة إلا أنها وجدت في بعض المؤسسات، فالمأمون اهتم بنشر عقيدة في خلق القرآن وتأييد مذهب المعتزلة عن طريق بيت الحكمة، وكذلك اهتم الفاطميون في مصر بنشر المذهب الفاطمي وجعلوا مكتباتهم اماكن لنشر واشاعة هذا المذهب، ونفس الشيء يقال عن مدارس نظام الملك الذي حاول تقوية المذهب الشافعي عن طريق مؤسساته.

اما الفصل الثامن الذي خصص لبحث مصير المكتبات العربية وهو فصل ليس فيه مايسر لأنه يقص قصة زوال جزء عظيم من التراث العربي الاسلامي فأغلب هذه المكتبات دمر وأحرق بفعل الغزاة والحروب الداخلية والتعصب والجهل، فكلنا يعلم ان التتر عندما احتلوا بغداد دمروا فيما دمروا مكتباتها حتى ان نهر دجلة صار ماؤه اسود من كثرة الكتب التي القيت فيه وشكلت الكتب جسراً في قلب النهر. ومثل ذلك صحيح من أجل اغلب المكتبات، فالجند البربر الداخلون في خدمة الفاطميين هاجموا مكتبة الحاكم في عهد ابنه المستنصر بحجة تأخر رواتبهم ونهبوا المكتبة ونزعوا جلود الكتب واتخذوها احذية. ودمر الاسبانيون مكتبات قرطبة عندما احتلوها وكذلك فعل الافرنج عندما احتلوا طرابلس اذ انهم احرقوا مكتباتها الرائعة، على ان بعضها الآخر غرق في بحر النسيان والاهمال مثل مكتبة شيراز التي اوجدها عضد الدولة في القرن العاشر وما تبقى من هذه المكتبات ران عليه روح محافظ جامد خنق الابداع واصبحت هذه المكتبات مقراً ومستودعاً لحثالة الكتب حيث خيم التراب والعنكبوت على هذا التراث حتى مطلع العصور الحديثة.

يختم المؤلف رسالته بفصل يبحث فيه تأثير المكتبات العربية الاسلامية والثقافة العربية الاسلامية على اوربا «ان ولادة العلم في الغرب هو في الغالب اعظم قسم من تاريخ المكتبات والمعاهد العربية الاسلامية» فقد انتقلت الحضارة العربية الى اوربا عن طريق اسبانيا وصقلية وجنوبي ايطاليا وفي زمن الحروب الصليبية. فقد كانت اسبانيا العربية كعبة وضاءة بالثقافة والعلوم

يقصدها الطلاب من جميع ارجاء العالم وكان من قصدها جلبرت الذي اصبح فيما بعد بابا باسم سلفستر الثاني (٩٩٩ - ١٠٠٣) واليه ينسب نقل الحروف العربية والساعة الى أوربا ، ثم فيما بعد انشأ بعض الاسبان المتنورين مراكز ومكاتب على غرار معاهد العرب من اجل نقل وترجمة التراث العربي الى اللاتينية كما فعل الفرنسو الحكيم في طليطلة في القرن الثالث عشر ولم تأت نهاية القرن الخامس عشر حتى كان القسم الاعظم من التراث العربي الثقافي قد انتقل الى اوربا وانتشر فيها وتمثله الأدباء والبحاثة . ويعتقد ان ملك فرنسالويس الحادي عشر الذي عرف الشرق قد قلد مكتبات سورية وفلسطين فأنشأ في باريس اول مكتبة خاصة به وهي التي تطورت فيما بعد فاصبحت مكتبة عامة.

واذا اردنا ان نعلم حال المكتبات في اوربا آنذاك يمكننا ان نقول ان المكتبات كانت في الاديرة والكنائس وان رجال الدين هم على الاغلب الطبقة المتعلمة في اوربا وهي الطبقة الوحيدة التي كان لها حق استعمال الكتب والمكتبات وكانت الكتب نادرة جداً . ونحن نعلم ان مكتبات العالم العربي في القرن العاشر قد حوت مئات الالوف من المجلدات وكانت مفتوحة للجميع دون قيد اوشرط ، فكتبة الحكم الثاني في قرطبة احتوت ٤٠٠ الف مجلد، ومكتبة الحاكم بأمر الله في القاهرة حوت ١,٦٠٠٠٠٠ مجلد ، ومكتبة بني عمار في طرابلس حوت اكثر من مليوني مجلد ... فلنذكر ما كان في بعض خزائن الكتب في الغرب على سبيل الموازنة . كان في مكتبة الكاتدرائية بمدينة كنستانس في القرن التاسع الميلادي ٣٥٦ كتابا وفي مكتبة دير البندكتين عام ١٠٣٢ م مايزيد على المئة الكتاب بقليل وفي خزانة كتب الكاتدرائية في مدينة بامبرج سنة ١١٣٠ م ٩٦ كتاباً فقط ... مما تقدم يمكننا ان نؤكد — رأياً اخيراً — أن المكتبات العربية كانت متقدمة ومتفوقة بمراحل واسعة جداً في كل ناحية من نواحي التقدم على مثيلاتها في الغرب .

كان هناك حاجة عامة وشعور ملح بالحاجة الى المكتبات بجميع انواعها في العالم العربي قبل شعور الغرب بذلك بكثير .

لايعتقد المؤلف انه وفى الموضوع حقه من البحث والدرس فالموضوع واسع وصعب ومتشعب وكل ماهدف اليه هو ان يساعد هذا الموضوع في ايضاح بعض النقاط الغامضة وان يكون بمثابة حافز للآخرين لمتابعة البحث في هذا المجال الخصب البكر لابراز هذه الناحية من تراثنا واعطائها ماتستحق من اهمية وعناية .

قضيّة أدبيّة قوميّة

الأدب المهجري

معجزة العروبة في العصر الحديث

عرض وتحقيق: فريد جحا

– ١ –

يثير الاستاذ فريد جحا، في هذا العرض الذي يقدمه للمعرفة، قضية تاريخية قومية ادبية، سبق لبعض باحثي تاريخنا الأدبي أن ألموا بها أو عرضوا بعض جوانبها، ولكن الاستاذ جحا، يذهب الى اعماق القضية، في البحث والتحليل، وأكثر من ذلك، فهو يستفتي الاحياء من وجوه الأدب الخالدة، ليسجل آراءهم انفسهم في السؤال الذي يطرحه: الأدب المهجري معجزة. ماذا وراءها من أسباب وحوافز وعوامل ؟

هل يمكننا تحليل هذه المعجزة ؟! وبهذا يتميز بحث الباحث المتابع، ويتفرد.

ويسر (المعرفة) أن تنشر هذا التقديم للكاتب، على أن تتبعه بأجوبة التحقيق التي حصل عليها من ادباء المهجر، شاكرة للاستاذ جحا مجهوده القيم في القاء ضوء جديد على صفحة الادب العربي المهجري.

وان لرئيس تحرير (المعرفة)، بناء على طلب صاحب التحقيق، رأياً يدلي به بين الآراء، فيما بعد، مؤكداً وجود المعجزة في طبيعة تلك الجواهر التي قذفها شاطىء المتوسط العربي، الى شواطىء الاوقيانوسيات القصية.

— ١ —

يقظة العرب في العصر الحديث كانت فاتحة لمعجزات كثيرة قدمتها امتنا وكانت ثمرة لاحياء تراثنا العربي من جهة ولاتصالنا بالحضارة الغربية من جهة ثانية.

نعد من هذه المعجزات انتباه الرواد العرب في اواخر القرن الماضي الى خطر الاستعمار التركي على لغتهم، ثم على وجودهم القومي، وعودتهم للاستقلال عن الامبراطورية العثمانية.

ونعد من هذه المعجزات الفهم العميق للهوة التي تفصلنا عن حضارة القرن العشرين، ومحاولتنا الاسراع اللحاق بالركب الانساني، وللوصول الى مكانة لائقة بالامة العربية، مكانة تسهم منها وفيها بالتقدم البشري.

ونعد منها ايماننا بان الانسلاخ عن الماضي ونبذ تراثنا القومي، جريمة لاتقل في شناعتها عن اكتفائنا بهذا التراث ونبذنا لمعطيات الحضارة الحديثة. انه ايمان واع يعرف ان الحاضر لايمكن ان ينفصل عن الماضي. وان يقظة الامة الكريمة حقاً بناء يقوم على اساسين: احياء لاغلى ما في التراث القومي، واخذ لاحسن ماتعطيه حضارات الامم.

ونعد منها النصر المؤزر السريع على الاستعمار مع ضعفنا وتخلفنا، أليس عجيباً ان يطرد العرب - على ما هم عليه - الاستعمار الغربي الرهيب في مدة وجيزة؟

اليس غريباً أنه لم يعرف في بلادنا الحياة الهنية؟وانه استعبد بعض الشعوب قروناً، ولكنه لم يستطع أن يمكث في بلادنا العربية الا مدداً قليلة كان اقصرها ربع قرن في سورية ولبنان، واكبرها قرناً وربع القرن في الجزائر؟ لقد طال حكمه في ذلك القطر العربي لظروف خاصة، خرج منها بعد ثورة كانت معجزة عربية وانسانية في آن واحد.

— ٢ —

وفي جملة معجزات العرب في العصر الحديث ان فئة من ابنائهم رحلوا عن بلادهم ليرفعوا للعروبة في امريكة رايات من المجد لا تطوى، كان ادب المهجر ابقاها واخلدها على الزمان.

اجل ان الادب المهجري احدى المعجزات التي ارتكزت اليها نهضة الامة العربية الحاضرة. اقول هذا بعد قناعة تكونت خلال عشر سنوات عشت فيها مع ادب المهجر، وشرفت بصداقة الكثيرين من اعلامه، وضمت مكتبتي أكثر آثاره، وملأت في الحديث عنه كتباً وألقيت عنه الاحاديث.

وهي قناعة موضوعية لم تتأثر باعجابي بأدب المهجر، ولا بحبي واحترامي لأدبائه، ولا بطول عشرتي وصداقتي للكثيرين منهم، بل كانت نتيجة البحث والدرس والإفادة من المعايير التاريخية والادبية الدقيقة.

سأحاول في هذا المقال ان أدلل على صحة ما اقول، واقدم البرهان على صدق ما وصلت اليه، ثم احاول - بعدان قمت بالاتصال بعدة ادباء مهجريين - ايجاد تفسير لهذه المعجزة، باعتبار المغتربين العرب هم وحدهم الذين قدموا في امريكة ادبا بلغة آبائهم واجدادهم.

فما هي جوانب الاعجاز في الادب المهجري؟

— ٣ —

الجانب الاول هو ان المغتربين العرب من بين جميع الامم التي هاجر

ابناؤها الى القارة المكتشفة هم وحدهم **الذين قدموا لنا ادبا بلغة الوطن الذي فارقوه** . لقداستقبلت امريكة مهاجرين من جميع انحاء الأرض من شواطىء البرتغال حتى صحارى الصين وجبال اليابان . ومع هذا فلم نسمع بادب فرنسي او ايطالي او تركي أو روسي أو ياباني أو صيني انتج هناك ... بل عرفنا ادب المهجر العربي يتغنى وحده بالضاد لغة الاجداد ، ويقدم نتاجاً هاماً توفرت فيه عناصر الخلود .

والادعى للغرابة بعد هذا والاعتراز ان مغتربينا أثروا في البيئة الامريكية اكثر مما تأثروا بهـــا ، وحملوا رسالة الشرق الى الغرب ، فكتاب (النبي) لجبران ـ مثلاً ـ ترجم الى اكثر من خمسين لغة ، وطبعت منه ملايين النسخ ، وقال احد رؤساء الولايات المتحدة لمؤلفه : (انت اول عاصفة انطلقت من الشرق واكتسحت الغرب ، ولكنها لم تحمل الى شواطئنا الا الزهور ..) .

يؤيد ماذهب اليه قول الشاعر جورج صيدح : (لقد خالف المهاجرون العرب سنة التعامل الفكري بين الامم ، لانهم قلة من كثرة ، وبدلا من ان يأخذ الضعيف من القوي، فانهم اعطوا الاقوياء من ضعفهم اكثر مما اخذوا منهم ، عادة العربي الكريم في العطاء) .

— ٤ —

والجانب الثاني ما قدمه لنا ادب المهجر .

ففي حوالي نصف قرن كان حصاد ادب المهجر كما يلي :

ـ اكثر من مائة ديوان شعري . نيف ومائة من الصحف والمجلات ارتفع بعضها جودة الى قمة عالية . قصص شعري موفق عند أبي ماضي والقروي وعريضة . مطولات شعرية في دواوين جبران وابي ماضي والقروي وفرحات وعريضة .

ـ غربال نعيمة ، الكتاب الهام في تاريخ النقد العربي في العصر الحديث ،

الذي « حطم الاصنام البالية وعمل في تصحيح كثير من مقاييس الأدب ، فاوضح وأفاد ، ومن صح مقياساً للادب فقد صح مقياساً للحياة .. » (١)

ـ ثم اسهام في الارتفاع بمستوى القصة . كانت مدرسة المهجر ـ بشهادة الناقد الكبير اسماعيل ادهم ـ « اول مدرسة قوية في الادب الحـــديث من القصص والمسرحيات والاقاصيص . »

ـ ٥ ـ

والجانب الثالث يتصل بالاديب المهجري الانسان . الاديب الذي ارتفع الى قمم شاهقة من قمم الانسانية . يتجلى ذلك في صداقات الادباء المهجريين ، في حبهم لاسرهم ومـــدنهم وقراهم ، في حنينهم المولہ للوطن الذي تركوه ، في عروبتهم الصافية من كل شائبة ، في تطلعاتهم الانسانية الرائعة التي تشمل الكون .

وواضح ان الالمـــام بدقة بهذه الموضوعات يتطلب كتاباً . لذلك نكتفي بان نكون كعاشق الزهر يقطف من كل روض زهرة .

آ ـ نفتح ديوان الشاعر صيدح على فصل (ا كباد) فنرى الشمس والنجوم والسماء والغيوم صيغت شعراً في الأم والأحفاد والابنة الجميلة الرائعة حتى كأنها خلقت من نور .

اتراها خيرت في **خلقهـــا**
فأتت كاملة الحسن المبين
ام براها الله من ذوب السنا
وبنات الناس من ماء وطين
قد عبدت الله في صورتهـــا
وارتضيت الكفر كفر المؤمنين

ب ـ وفي شعر **الحنين** نحس مدى الحب الذي يحمله الشاعر لقريته ومدينته وبيته . لذلك كانت خيمة الناطور تعدل الدنيا ، والكوخ احلى من القصر ، والكون تيه حتى العودة الى الوطن ،

(١) من مقدمة الغربال للمرحوم عباس محمود العقاد .

وذكريات الصبا عزاء عن مشقة الحياة ، واغلى الاماني العودة الى الوطن والموت فيه ، والمهجر غربة لسان وقلب ومكان .

اعدني الى الارز يا خـــالقي
فليست بـــلادي هذه البلاد
اعدني الى مسرحي في الشباب
ومطلع فجر المنى والرشـــاد
اعدني فـــاني في مهجــوري
غريب اللسان غريب الفؤاد

ج — فاذا اتيح لبعضهم لقاء الوطن بعد غياب، كان ذلك اللقاء فرحة العمر وسعادة الحياة ، وكان الوطن موطن النجوم في لبنان ، وعزما تمرد فاستطال قبابا في دمشق .

د — **والاديب المهجري عربي ...** عربي برئت نفسه من ادران الاقليمية والطائفية، وفهم العروبة بمعناها الصحيح رابطة روحية تضم كل من نطق بالضاد، وافتخر بتاريخ العرب الأمجاد ، وتطلع الى مستقبل يستعيدون فيه مكانتهم اللائقة بين الامم .

ومع ان الاديب المهجري غادر وطنه في اتعس حال ، وعاش في المهجر غريباً شقياً ، فانه لم ينس وطنه ولا لغته ولا قومـــه ، فللوطن حنين حتى لقطرة من مائه ، وللغة تقديس واعجاب ونتاج عظيم ، وللقوم حب لا أعظم منه ولا اعمق .

ولقد كان لي في العام الماضي شرف نشر كتاب ضخم عرضت فيه (عروبة شعر المهجر) لأول مرة عرضاً دقيقاً مركزاً ، فأحـــدث الكتاب دوياً في الأوساط الادبية وعاش النقاد مدهوشين حين سمعوا اصوات شعرائنا في نيويورك وسان باولو وبوينس آيرس تهدر بالشعر عربي اللسان والفؤاد والهوى ، وعدوا هذا الشعر ملحمة قدمها اخواننا العرب في المهاجر الامريكية .

في هذا الشعر — شعر العروبة — يعيش الشاعر المهجري ، على بعد الدار أحداث الوطن، فيفرح للنصر الباهر ، ويحمل على العدو الغادر ، ويتألم لنكبة فلسطين ،

ويهدي شعره « للجنـود العرب الذين سيدخلون تل ابيب ليدكوا دولة العصابات على رؤوس ابنائها ». اما الحدود التي اقامها المستعمر فلا يعترف بها لأن الوطن العربي ، من المحيط الى الخليج ، وطنه عزيزاً كريماً موحداً .

هـ – والاديب المهجري بعد هذا انسان ، وسع قلبه الناس جميعاً واشاع في الادب العربي هذا النداء الحنون يا أخي ، يارفيقي . « وهو نداء يمس شغاف القلب » فيحيله الى شعلة من الحنان والمحبة » .

يقول جبران في النبي : « انت اخي وكلانا ابن روح واحد . انت رفيقي على طريق الحياة ، ومسعفي في ادراك كنه الحقيقة المستتر وراء الغيوم ... انت انسان وقد احببتك واحبك يا أخي » . .

ويكتب الشاعر صيدح من رسالة الى أحد اصدقائه الذين شكوا اليه غدر الصديق وظلم القريب : « كلما خيب ظني صديق ، أو عقني ولي ، أو غدر بي من احسنت اليه ، او سرقني من وضعت ثقتي بامانته ، تختلج الشكوى في اعماقي للوهلة الاولى ، ولكنها تتبخر قبل ان تتبلور كلمات على لساني وتذوب في بسمة اشفاق على اهل النفاق ، وفي صلاة شكر اهمس بها في اذن خالقي : حمداً لك ياربي الذي جعلتني مخدوعاً لا خادعاً ، مسروقاً لاسارقاً ، مجحوداً لاجاحداً ، احسن الى من يسيء الي ، واصفح عمن يتحامل علي ، فارتفع بفضل نعمتك الى مرتبة لايطالها الا الابرار ، واعيش في عصمة من كيد الاشرار » .

– ٦ –

والجانب الثالث من جوانب الاعجاز في الادب المهجري ، هو هذه **الامور الجديدة التي تميز بها ولم يعرفها الادب العربي من قبل .**

ابرز مناحي التجديد في ادب المهجر هذا **الادب التأملي** حين يتجرد الاديب من طبيعته ، ويسمو فوق الحياة والبشر ، ويحلق في عوالم مجهولة محاولا اماطة اللثام عن اسرار الحياة ، وما وراء الحياة .

وهذه **الروحانية الصوفية** التي نجدها

في آثار نعيمة وجبران بخاصة ، وهي صفة التزم فيها هذان الكاتبان جانب الروح بعد ان صدمتها المدنية الغربية المادية، التي كانت في عرفها نقيضاً للحضارة الشرقية التي تؤمن بالروح . « لذلك عادا الى الشرق عودة موغلة وآمنا بالتناسخ والتقمص ووحدة الوجود » .

وهناك الامثال التي كان الريحاني اول من غرس فيها (بذوراً للزارعين) ثم غدت اشجاراً باسقة بعد ان تعهدها جبران ثم نعيمة بالري والرعاية .

ولقد اصدر جبران بالانكليزية كتباً قصرها على الامثال (السابق ، رمل وزبد) ثم ترجم مجموعة منها ونشرها مع امثال متفرقة اخرى بعنوان (حفنة من رمال الشاطىء) اما نعيمة فقد اصدر عام ١٩٤٦ كتاباً اعطاه عنواناً معبراً هو (كرم على درب) ، زادت الامثال فيه على ٤٥٠ مثلا يمكن اعتبارها خلاصة مركزة لآرائه الفلسفية .

واخيراً تأتي **المطولات الشعرية** وهي كثيرة في شعر المهجر اشهرها مطولتا فوزي المعلوف (على بساط الريح) وشفيق المعلوف (عبقر) .

لقد احدثت على (بساط الريح) مثلا هزة في الاوساط الادبية « لانها أول قصيدة ظهر فيها أثر البناء الشعري وأحس الادباء أن الشعر قد اغتنى بحدث جديد تخطى الوحدات الصغيرة الى تشييد القصور ... »

اما (عبقر) فرحلة خيالية الى الوادي الاسطوري رفعت صاحبها الى الذروة بين شعراء العربية وقوبلت بالاعجاب والتقدير حين ترجمت الى البرتغالية . كانت المطولة تتاسقاعجيبا من ثلاث : ثقافة عريضة تجلت في مقدمة طويلة عن الاساطير ، وخيال مجنح عرف كيف يعلو ويعلو ، وتجديد معقول عرف كيف يلائم بينه وبين الديباجة التي يحرص عليها صاحب (عبقر) .

هذا الحديث الموجز يقدم لنا أدلة ناصعة على صحة ماذهبت اليه حين قلت في مفتتح هذا المقال: «ان الادب المهجري احدى المعجزات التي ارتكزت اليها نهضة الامة العربية في العصر الحديث».

فماهي التفسيرات التي يمكن ان تقدم تعليلا لهذه المعجزة، ولكون ابنائنا العرب هم وحدهم الذين قدموا أدبا بلغة الوطن الذين فارقوه .؟

وجدت من المناسب الاتصال بادباء المهجر، والمعنيين به استفتيهم في هذه القضية الخطيرة فوجهت الى سبعة من ادباء المهجر السؤالين التاليين:

١ – ماهي الدوافع النفسية والادبية والقومية التي دفعتكم الى انتاج ادبكم باللغة العربية ؟

٢ – ماهو في رأيكم تفسير ظاهرة كون المهاجرين العرب الى امريكة هم وحدهم – من بين سائر المهاجرين – الذين انتجوا ادبا بلغتهم الام ؟

كما وجهت السؤال الثاني الى عشرة من نقاد ادب المهجر ودارسيه .

ونظرا لأهمية الاجوبة التي تلقيتها من وجهات النظر الادبية والتاريخية والقومية فسأنشر في العدد القادم اجوبة السادة:

رياض المعلوف والشاعر القروي والياس قنصل وميخائيل نعيمة وشفيق معلوف وجورج صيدح ونظير زيتون .



مع الأستاذ أنور الجندي

مـــن أبي طالب زيـــان
— القاهرة

شغل الأستاذ أنور الجندي نفسه بعدد من الابحاث والدراسات الموضوعية لعالم أدبنا العربي المعاصر ، كما شغل نفسه كذلك بكثير من الدراسات الاعلامية ، التي تمثلت في (الأعلام الألف) ، و(الجباه العالية) ، و (رواد القومية العربية) ، غير الامجاد الشخصية التي كشف عنها أنور الجندي بيضعه ، وأبان عنها بقلمه ، واتجه بها هذه الوجهات المحمودة في الفكر والانسانية .

ولست بمستكثر على الاستاذ أنور الجندي، ان يضطلع بهذه الاعمال كلها ، ويتصدى وحده الى عمل هذه الموسوعة التي تتشعب ثاني شعب ، هي الصحافة ، والنثر ، والشعر ، والقصة ، وأدب المرأة ، والمعارك الأدبية ، والفكر العربي ، وأدب المقاومة ، والترجمة ، واللغة العربية . ويكون مجال البحث : العالم العربي كله من العراق الى المغرب .

على ان الذي دفع الاستاذ انور الجندي الى الخوض في غمار هذه الحرب ، إيمانه بالقضاء على النظرة الاقليمية التي ســادت الادب العربي ، ازمنة متعاقبة ، حتى كان هـــذا الانفصال بين هذه الآداب ، والتحديد الضمني لها على ضوء انعزال كل قطر عن صاحبه ، بفعل السياسات الاستعمارية ، التي سيطرت على هذه البلاد ، فحدّث من نظرتها الواسعة وعكست من آدابها على الشعور العام لكل بلد من هذه البلاد .

والواقع ، أن الاستاذ انور الجندي بهذا

الشعور الفياض ، وهذا الحماس المتدفق ، يكون قد سد ثغرة ، ورسم مخططاً لكل دارس يأتي وفي نفسه أن ينسج على المنوال ، أو يترسم الطريق الصحيح ، أو يأخذ بهذا المنهج السليم . وفي حديثنا معه (للمعرفة) مايفيد ويغني ويوضح طبيعة عمل المؤلف والباحث والعامل القومي .

— كيف اتجهت الى الأدب والصحافة وماهي عوامل التكوين الاولى التي أعدتها لعمل الأدبي .

— عندما انظر الى مطالع شبابي أجد حياة بسيطة ساذجة . بدأت في ريف كالحضر وحضر كالريف ، على حافة مدينة من مدن الصعيد يطالع الطرف أول مايتجه اليه السهول الخضراء الممتدة حتى شريط سكة الحديد ، فاذا جاء موسم الفيضان تحولت الى بحر عريض ، منظره الآخاذ المتجدد في كل لحظة طوال اليوم ، وله في الليل رهبته ، حيث تضرب موجاته في جدار بيتنا ، وتتجاوب اصوات الضفادع في معركة فاصلة حتى مطلع الفجر ، تلك هي بلدتي « ديروط » في صعيد مصر . وجهني والدي الى دراسة التجارة والمحاسبة وأعمال البنوك حيث يتصل ذلك بعمله في تجارة القطن . غير أن انخفاض الاسعار سنة أزمة ١٩٣٠ العاتية طوحت بآمالي وقذفتني خارج نطاق الدراسة ، فبدأت العمل في بنك مصر محاولا استكمال دراستي في مدارس التجارة الليلية ومدارس المحاسبة الاوربية بالمراسلة ، الى ان اتيح لي ان اقدم الى القاهرة ، وأحرزت دبلوما عاليا .

ولم تحل حياتي العملية خمسة عشر عاما في الريف دون تحقيق رغبتي في التطلع الى القاهرة والعمل في مجال الصحافة كنافذة الى دنيا الفكر أو « امرة القلم » كما يحلو لي ان اطلق عليها ، وهو التعبير الذي ازعج الدكتور زكي مبارك فكتب الي يقول : انه لايوجد شيء اسمه امرة القلم ، لايوجد شيء في الوجود اسمه العنقاء . ولاشك ان « البيئة الاولى » ايضا هي التي هيأت لي هذا الاتجاه نحو الفكر والأدب والصحافة ، بل ورسمته لي ، فقد فتحت عيناي على مكتبة « أبي » وبها عدد من المخطوطات المكتوبة بخط انيق وقد حليت كلمات ذات لون أحمر واخضر وكان ابي يحضر مجلات الهلال والمقتطف والمصور والاهرام والبلاغ ، ويحرضني على قراءتها : بأن يدق لي الجريدة في الحائط بالمسامير ويطالبني بأن اقرأ وألخص ماأفهم . . وكان العم اسماعيل الفكهاني يستدرجني ظهر كل يوم لاقرأ له المقال السياسي للصحيفة التي يحبها فقرأت باكرا للعقاد وتوفيق دياب وحافظ عوض وعبد القادر حمزة وكان الرجل يجلس مع زوجته وأمامها « النارجيلة » يشدان منها الانفاس وانا أقرأ في حماس بالغ عبارات الهجاء الملتهبة التي كانت الصحف توجهها الى

إحزاب الحكم او المعارضة وقتذاك. «ومازلت اذكر كيف كنت اسعى الى « دوّار » جارنا لاختبىء في ركن قصي اقرأ جريدة السياسة وظلت جدتي تعطيني كل اسبوع قرشاً لاشتري مجلة « كل شيء » .

ثم عشت خمسة عشر عاماً من بعد ، اقرأ في الريف وأترقب لحظة العمل في القاهرة في الصحافة .

ـ دخلت الصحافة من باب الأدب ، ثم تحولت الى العمــل الأدبي ، ألم تلعب في ميدان الصحافة دوراً بارزاً او اكثر يذكر لك ؟

ـ الحق انني كنت متطلعاً الى العمل في الصحافة ، غير انني ما كدت ابدأ العمل فيها حتى أحسست انها ليست « الشيء » الذي تطلعت اليه في الريف ورجوته ، فقد وجدت انني لست اطمع في ان اكتب كل يوم نصف عمود ثابت أو انقد هذا الكتاب او ذاك او اكتب تعليقاً سياسياً او اجتماعياً ، ليس هذا ما كنت اريــده في الواقع كما اكتشفتها بعد ، ولقد كان ذلك سهلاً ويسيراً ومن الوسائل السريعــة للتبريز والظهور ، اذ كان علي ان اندمج في الاوساط الفنية والصالونات الاجتماعية والندوات ، وان اسهر مع الساهرين حتى استطيع الحصول على « الخبطة الصحفية » او الخبر المثير ، او اسقط على سر من أسرار بيئات النجوم .

لكنني تبينت توا ، انني ابحث عن شيء غير هذا ، كان في أعماق ايمان بان اعمل شيئاً يحقق خيراً لهذه الامــة في مجال الفكر والصحافة والادب . ومن هنا بدأت حملة على الاحزاب كاشفاً عن أخطائها وعيوبهــا وانشغالها عن القضية الكبرى وهي الجلاء والحرية بالصراع على الحكم .. وفي هذا الخضم ، ومن خلال ظروف عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٧ وتطلعات الشباب الى الحرية بعد أن انتهت الحرب العالمية ، نشرت كتابي : « اخرجوا من بلادنا » فاثار علي ثائرات لاحد لها ، انتهت بسجني بشبهة القول بأني سعيت الى اثارة الرأي العام على نظام الحكم القائم اذ ذاك . وكان هذا قد اتصل بالحديث عن أسرة محمد علي ، وموقف عمر مكرم من عزل الحاكم خورشيد وتولية محمد علي ، والهجوم على الاستعمار والاحتلال البريطاني وأعوانه ، وصراع الاحزاب الحاكمة ، في عدد من المؤلفات والمقالات الثائرة .

ومن هنا تبين لي أن العمل الصحفي على النحو الذي كنت اتطلع اليــه من نافذة الريف في صورة كلمة انيقة مثل « ما قل ودل » للصاوي ليس هو العمل الذي يملأ نفسي والذي كنت اتطلع اليه اداء للخدمــة الوطنية في صناعة القلم والفكر .

وفي خلال أعوام السجن كنت أفكر في العمل الذي ينفع الوطن ويخدم الامة ، ويتجاوز

فكري حول الاجابة عن ثلاثة اسئلة عاشت مع خاطري في مطالع الشباب هي :

– اين صورة امجادنا العربية والاسلامية ؟

– اين تاريخ ادبنا العربي المعاصر ؟

– اين تراجم اعلامنا وابطالنا ؟

ومن هنا حاولت خلال السنوات التي تلت عام ١٩٥٠ ان أعمل في هذا المجال في عديد من الابحاث والدراسات التي ظلت تجري في هذا المجرى اوذاك حتى تبلورت عام ١٩٥٦ في عمل كبير هو : « موسوعة معالم الادب العربي المعاصر » التي انتهت المرحلة الاولى منها عام ١٩٦٢ وكانت اجابة عن السؤال الثاني .

أما في مجال دراسات اعلامنا فقد اصدرت عددا من الدراسات منها موسوعة « الاعلام الالف » تم منها ترجمة ٧٥٠ شخصية وذلك غير (أعلام الاسلام) و(والجباه العالية) و (رواد القومية العربية)و(احمدزكي شيخ العروبة) و (زكي مبارك) و (عبد العزيز جاويش) ومايزال في الطريق حلقات أخرى .

أما في مجال السؤال الاول فقد كتبت (صفحات من امجادنا)و(الشخصية العربية) (نحن العرب) و (الاسلام في غزوة جديدة للفكر الانساني .)

ومن هنا أثبت انني لست صحفيــا يجري وراء الخبر المثير،بل مايستطيــع ان يكشف الطريق امام بناء شخصية الامة العربية وفكرها .

– مـاهي العوامل التي دفعتك الى عمل موسوعة الادب العربي المعاصر ، وما هي نقطة البدء في هذا العمل ؟

– الموسوعة هي : ايجاد عمل مكون من عشر شعب :

(الصحافة . النثر . الشعر . القصة . ادب المرأة . المعارك الادبية . الفكر العربي . ادب المقاومة . الترجمة . اللغة العربية) .

– مجال البحث : العــالم العربي كله من العراق الى المغرب .

– زمن البحث: من سنة ١٨٧٥ الى ١٩٤٠ تقريبا بادئا باليقظة الفكرية التي حمل لواءها جمال الدين الافغاني مع مقدمات عن رفاعة الطهطاوي في مصر ونهضة الادب في الشام في اوائل القرن التاسع عشر .

– وقعت الدراسة في ٤٨٠٠ صفحة .

– تناولت ٢٣٠ شخصية عربية . جرى تناول كل واحــد منها في مجالاتها المختلفة . فالمازني مثلا درس في خمسة مواضع : النثر ، القصة ، الشعر ، المعارك الادبية ، الترجمة . وهكذا بالنسبة لكل باحث من هؤلاء .

– قرأت لهــذه الدراسة ألفي مرجع واطلعت على ثلاثة آلاف دورية .

ولقد كانت الفكرة أساسا هي القضاء على النظرة الاقليمية الضيقة التي كانت سائدة في دراساتنا عن الادب العربي . كان يقــال

الادب المصري او السوري او التونسي..الخ فقد كان من الضروري وقد ارتفعت صيحة الدعوة الى القومية العربية كسبيل لتحقيق الوحدة العربية ان يكتب الادب العربي من /جديد/ على نحو موحد تدرس فيه الظواهر المختلفة التي مرت بالوطن العربي على ضوء وحدة الفكر والضمير والشعور والذوق .

وقد كشفت دراستي في أدب المقاومة عن هذه الحقيقة في مواجهة النفس العربية للاستعمار والاحتلال ومعارك المقاومة والثورات المتعددة . وكان من الضروري أن يرود هذا العمل كاتب فيكتب دراسة على مستوى الامة العربية كلها في فترة تبلغ حوالي سبعين عاما هي الفترة التي واجه فيها العالم العربي معركة الغزو الاستعماري والاحتلال .

ولست أذكر مدى الجهد الذي بذلته والذي اضطرني الى اتخاذ « نظارة » طبية . وكيف امضيت اكثر من ثلاثة أعوام مقيماً في مكتبة بالقلعة بالقاهرة بين الاضابير القديمة من الصحف والدوريات . ولكني اذكر انني لا أعد هذا العمل شيئاً كبيراً او عظيماً ، وانما اعده مخلصاً – عملاً تمهيدياً لعمل اكبر منه واكثر شمولاً وتحقيقاً . وقد وجه النقد الى هذا العمل على أنه بدأ من القمة وكان يجب ان يبدأ من القاعدة ، ولكني أرى بأنه لم يكن من اليسير ان ينتظر حتى يدرس كل قطر على حدة ثم تجمع نتائج الدراسة حتى تستكمل في صورة شاملة ، فذلك امر يطول ولا يحقق النتائج المرجوة من اعطاء الامة العربية صورة حية لفكرها تشجع على العمل الكبير المرموق .

ومع ذلك فان عملي بالنسبة لهذه الدراسة لما ينته ، فقد تولدت عشرات الموضوعات والدراسات الفرعية التي تحتاج الى عشرة مجلدات أخرى . وقد أخذت فعلا في إعداد دراسات اضافية للموسوعة في جوانب ثلاثة ستصبح كل منها بعد انتهائها موسوعة مستقلة وهي : الصحافة العربية ، الفكر العربي المعاصر ، أدب المغرب العربي .

ومع هذا الجهد الذي بذلت ، فان قليلين جداً من كتبوا عن هذه الموسوعة او القوا الضوء على مضمونها ، ولم أكن أطمع في هذا إلا لأن اسمع النقد الايجابي الذي يمدني بوجهة النظر الاخرى .

– ماذا اعطتك دراسة الادب العربي المعاصر ؟

– اعطتني هذه الدراسة التي مازالت في دائرتها فكرة ونظرية . أما الفكرة : فهي ان فكرنا العربي الاسلامي ، فكر حي متحرك ايجابي مرن متطور ، قادر على الحياة والاستمرار والنمو والتجاوب على المستويين : الزمني والبيئي . فهو يمتد زمناً دون ان يتحطم ويقاوم كل مؤامرات تمزيقه او تدميره . ويمتد بيئياً فيشمل العالمين العربي والاسلامي ، فضلاً عن انه قدم الى اوربا اوليات الفكر

الاوربي المعاصر والمقومات التي قامت عليها النهضة والحضارة الحديثة .

أما النظرية فهي أننا في حاجة الى ايجاد اساس فكري نقيم عليه نهضة فكرنا الحديث. هذا الاســاس ، نستمده من فكرنا العربي الاسلامي وتتمثل فيه القيم الاصيلة والمقومات الاساسية . ومن خلال مراجعــاتي للادب والفكر والثقافة العربية المعاصرة منذ اوائل النهضة الى الآن ، أجد أن هناك نظرية ظهرت على ايدي المصلحين امثال: جمال الدين الافغاني، ومحمد عبده ، والكواكبي ، وخـير الدين التونسي .. هي اننا نستطيع ان نمزج خير مافي قديمنا وخير مافي جديد الفكر الغربي، ومن هـذا المزج نستطيع ان نصنع نهضة فكرنا الحديث .

غير ان هذه النظرية المتواضعة انما كانت تفرضها ظروف الاحتلال والنفوذ الاجنبي المسيطر في ذلك الوقت على اجزاء الامة العربية . أما اليوم وبعد ان انتهى هذا الاحتلال وظهرت بوادر التعريب والغزو الفكري ، تحاول أن تفرض نفوذا أشد خطراً ، فاننا لابد أن نواجه هذا الامر بارساء مقوماتنا وقيمنا وملامح شخصيتنا العربية الاصيلة كاساس قوي لبناء النهضة ، عندئذ نستطيع ان نواجه الفكر العالمي الغربي والماركسي على السواء دون أن نخشاه ودون أن نحس بأنه يستطيع ان يقتلعنا ، وعلى اساس هذه القاعدة نستطيع ان ننتقي ثمار الفكر الانساني فنأخذ منها مانشاء .

ولقد كان الفكر العربي الاسلامي دائما مفتوحا وقادرا على الأخذ والعطاء ، وله من مقوماته مايمكنه من الحفاظ على شخصيته وملامحه ، ولن يستطيع ان يتخلى عن اللغة أو التاريخ او الدين او التراث .

ذلك انه اساساً يقوم على امتزاج كامل بين الروح والمادة والعقل والقلب ، والعلم والدين ، مفرقا بين المعرفـة والعقيدة . فالمعرفة الانسانية عنده طريق مفتوح . أما العقائد فهي صادرة من أعماقه . ولقد كانت نظرته الى النقل والاحياء مستمدة من هذه القاعدة ، فهو لايبقي تراثه جامدا ، ولكنه يطوره ويضيف اليه مع الاحداث والازمان وفق ظروفه وحاجاته . وكذلك يفعل في مجال النقل من الفكر الانساني . وهو في هذه الحركة والتفاعل والحياة لايخرج عن قيمه الاصلية ولا يطمس ملامح شخصيته الاصيلة .

فاذا تعارفنا على هذه القاعدة ، انتهت هذه الصورة من الصراع بين دعاة فتح الآفاق أمام الفكر المستورد بغير ارتباط بالقاعدة الاصلية ، ودعاة المحافظة على القديم والتراث دون غربلته وتنقيته مما علق به من جوه وتخلف .

ــ هل قصر عملك على مجود تأريخ

الأدب العربي والتعريف به ، وكشف الجوانب الغامضة منه ، أم أن العمل في هذا المحيط الأدبي الواسع ، قد توجه الى رسالة وفكرة ؟

– لابد ان يتطور الكاتب فكريا مادام يؤمن بالحركة والنماء ، ومن ثم تتوسع آفاقه ويتحول الى منطلق اوسع مدى . وقد بدأت اكتب الخاطرة والنقد والتعليق في مجال الصحافة مؤمنـــا بأن هذا هو طريق « التعبير عن النفس » غير أن عوامل مختلفة اشعرتني بان مهمة الكاتب هي ان يقدم شيئاً جديداً ، او يستكمل شيئا بدأ به غيره ثم توقف . ومن هذا ظننت انني استطيع ان استكمل كتابة تاريخ الادب العربي حيث توقف جرجي زيدان بوفاته عام ١٩١٤ . غير أن نظرتي كانت اوسع فقد اقتصر زيدان على المشرق « العراق ، الشام ، مصر » ومن هنا كانت عنايتي الواسعة بدراسة الادب في المغرب العربي باقطاره الاربعة كجزء من وحدة الدراسة الادبية .

وهنا اعتقد انني كنت قد وسعت نطاق عملي فلم يعد « صحفيا » وانمـــا اصبح « اديباً » وقد جريت في هذا المجال ، مؤمناً بعقيدة اصيلة ذات رسالة في اعماق النفس ، وهي تغطية جوانب النقص في دراساتنا في مجال تاريخنا وادبنا وأعلامنا ، وهو مجال ضخم في حاجة الى جهود كبيرة حتى يكشف لاجيالنا المعاصرة عظمة هذه الامة وقوتها واصالة ماضيها وبطولات رجالها ، مما يعينها على ان تواصل السعي ، وتحس بانها مرتبطة بالحضارة الانسانية متفاعلة معها ، وان دورها في بنائها وتطويرها كان جوهريا وايجابيا .

غير انني لم البث ان اكتشفت ان مهمتي لن تقف عند مكان الصحفي او «الاديب» وانما تتسع آفاقها الى مجال « الفكر » .

وقد رأيت « الادب » يعطي وجهة النظر في مجاله ويقصر عن مجالات اخرى في ظل بدعة التخصص التي تفرضها الدراسات العصرية . كما رأيته يتقبل النظرية الغربية التي تفصل الادب عن الاخلاق وعن الاجتماع ، وليس على الاديب من بأس في ان يعجب بالنص الادبي فنيا دون ان يبـــالي بانحراف مضمونه او بأثره الاجتماعي والاخلاقي .

ومن هنا وجـــدت ان مهمتي ورسالتي تنظر الى الامة العربية من مجال اوسع هو : مجال الفكر والثقافة . ولم يعد امر عملي يقف على مراجعة الادب العربي المعاصر والحديث ، بل رأيت ان اراجع كل قضايا الفكر والثقافة في هذه الفترة القليلة عن العالم العربي كله .

وقد فتحت لي دراسة « الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعيـــة

الثقافية(١) » بابا واسعا للتعرف على ادواء فكرنا وقضاياه وازماته في مواجهة الفكر الغربي بشقيه ، وكيف واجه فكرنا الالتقاء بالنظريات الجديدة التي قدمت له في ظل النفوذ الاجنبي القائم اذ ذاك في قلب الوطن العربي والتي كانت في الاغلب تهدف الى عمل سياسي هو القضاء على مقوماته الاصلية بما يمكن للاستعمار من بسط نفوذه ودعمه واستمراره.

ولما كانت مقومات الفكر العربي الاسلامي تعطي اساسا تلك الروح العارمة في مقاومة الغاصب ودفعه ولو بالاجساد العارية اذا عز السلاح ، فقد قامت ازمة صراع بين القوة الفكرية الغاربة واساس فكرنا الراغب في التطور والتفتح والتحرك ، على ان يتاح له ان يأخذ ويقتبس وينقل بمحض ارادته وفق حاجته لا بالرأي المفروض .

ومن هنا بدأت تظهر عشرات المسائل التي اختلفت منها وجهة نظر الفكر الغربي عن فكرنا العربي الاسلامي ، على نحو اصبح من الضرورة البحث عن جذور هـــذه القضايا وعرضها عرضا منصفا لاينكر فضل الغرب في تطوره وحضـــارته ؛ ولا يقضي على المقومات الاساسية للامة العربية . ومن اهم هذه القضايا : الثقافة والحضارة ، العروبة والاسلام ، التربيـــة والتعليم ، التراث ، مناهج البحث ، التاريخ ، ادب الجنس، فضل العرب ، الدين والالحاد ، التعريب والشعوبية ، وعشرات القضايا الفكرية الاخرى التي تحتاج الى استفاضة البحث واستصفاء الرأي . ومن هنا اعمل الآن في أعداد موسوعة كاملة تتناول هـــذه القضايا وتؤرخ لها وتقدم وجهات النظر المختلفة فيها ، ومن هنا أجد انني اضفت الى عملي في تغطية جوانب النقص عملا آخر هو: تصحيح المفاهيم وهذا هو عمل « المفكر » .

ـ لكل كاتب عقيدة فكر ،تكون ايمانه بعمله ، وتحرر مفاهيمه فماهي عقيدتك ؟

اومن بالعمل الصامت ، الذي يقدم انتاجه من غير ضجيج .

اومن بأن الفكر يستطيع ان يبني للامة العربية قاعدة الوحدة عن طريق « وحدة الفكر » والالتقاء على اصول عامة اساسية لامانع بعدها من اختلاف في الفرعيات .

أؤمن باننا لانستورد الفكر ولا النظريات ولا المذاهب ، ولانكون تابعين لاي تيار من تيارات الثقافة . وانما نحن على قواعدنـــا الاساسية نفتح النوافذ لكل التيارات على اساس انها « المعرفة الانسانية » ، وفرق بين المعرفة والعقيدة .

أومن بأن هناك خلافا بين معنى كلمتي الثقافة والحضارة . فالحضارة هي المدنية والعلم التكنيكي والاختراعات والصناعة ؛ وهي ملك مشاع للانسانية كلها ، تأخذ منه ماتشاء دون ان يستتبع ذلك انها تأخذ ثقافة الامم او فكرها . فلكل امة مقومات فكرها الاساسي ، القائم عـــلى مفاهيمها في اللغة والدين والتاريخ والتراث .

(١) اسم مؤلف للكاتب .

الفن والاخلاق

تأليف : شارل لالو
ترجمة : الدكتور عادل العوا
عرض وتلخيص: محمد الراشد

الدكتور عادل العوا من المفكرين المعروفين في العالم العربي بمؤلفاته وترجماته التي قدمها لهذا الجيل المتفتح على النور والضياء ، وقد كان تركيزه منصباً منذ البدء على المواضيع الاخلاقية باعتبارها من أهم المشاكل التي يعاني منها الانسان المعاصر بعد أن فقد كثيراً من أصالته في دوامات الحضارة المتنكسة في القرن العشرين. فقدم الينا «المذاهب الاخلاقية» و «القيمة الاخلاقية» كمؤلفات خاصة يطرح من خلالها مواقفه الفكرية بوضوح وإتقان .

ونحن الآن حيال بحث قيم لفيلسوف الفن شارل لالو، عمد الدكتور العوا الى نقله الى لغة الضاد كي يملأ به فراغاً كبيراً في المكتبة الاخلاقية والجمالية . ولن أشيد هنا بالترجمة الاصيلة للكتاب ، لأن كل من تتيح له ظروفه معايشة هذه الصفحات الرائعة سيتحسس ذلك اعتباراً من قراءته للصفحات الاولى .

ويتألف الكتاب من فصلين مطولين، يطرح لالو في أولهما مشكلة الفن والاخلاق والحلول التي اقترحها الفلاسفة بينما يحاول في القسم الثاني ابراز إهاب نظرية عامة للقيم .

الفن في خدمة الاخلاق

منذ أقدم العصور ، والباحثون يحاولون إخضاع الفن للتخلق وجعله مطية طيعة له ، كأفلاطون الذي توخى أن يجعل من الفن قرباناً على مذبح الاخلاق ، ولكن هذا التسلط أدى الى اللامعقول احياناً لتمسكه بالمعقول ، كما نحس ذلك من خلال الافلاطونيين الجدد من مفكرين وفنانين ، حتى أن هذا التيار امتد الى الفنانين العظام امثال ميكل آنج القائل في رسالة بعث بها الى فتوريا كولونو (ان الرسم الجيد يقترب من الله ويتحد به ... وعلى هذا لايكفي ان يكون الرسام عظيماً ومعلماً بارعاً ؛ وانما من الواجب ان تكون حياته نفيسة قدسية قدر المستطاع) .

وعندما انطلق البرناسيون بدعوى استقلال الفن ، نهض احد الروائيين مطلقاً احتجاجاً صارخاً ضدهم ؛ مؤكداً ان الفن للفن إنما هو (التقاء كلمات ثلاث لامعنى لها) وأن كل ادب يتوخى التكامل الفكري والتبشير الاخلاقي إنما هو ادب كسيح ملفع بالاسقام ، وشد عضد هذا التيار (كانت) رغم انه لا يتمتع بصفة الفنان ، ويلخص باش موقفه بـ (إننا لانملك ، بدون الشعور الاخلاقي ، اي مفهوم عن الجميل وعن الرائع) .

في حين ، اكد المفكرون الذين يمتحون من « نقد ملكة الحكم » على الفن والاخلاق معاً ، فاعتبر شيلر علم الجمال اعظم مرب للبشرية ، واتخذ فخته من الفن شكلاً للتحرر الاخلاقي ، في حين اعتبر شوبنهور الفن نفياً لإرادة الحياة . بينما تصور كل من شلنغ وهيغل (أن للفن مصيراً أعظم استقلالاً) .

الا ان استقلال الفن هذا ادى بدوره عند كوزان الى اخضاع الفن للاخلاق

باعتبارهما يخضعان لله ، ولعل المذهب الروحي لم يحد عن هذا الخط الذي يوضحه لوفيك عند حديثه عن بلانش : « كل فن يعلم في انقى اشكاله، الاخلاق والدين معاً . » إلا ان روسكين هو الذي ركز اهتمامه على انصياع الفن للتخلق باسم الدين اذ يقول (ان الفن عبادة) و (ليس في الانسجام اي قانون سوى اوامر الله او اوامر الكنيسة) .

وهكذا (انتهى الباحث الأخلاق عند روسكين وتولستوي بقتل الفنان) . فكلاهما زهد في أواخر عمره والتفت الى التبشير الاجتماعي الصرف .

وعلم الاجتماع لم يأل جهـــداً هو الآخر في تسليط الاخلاق على الفن على يد برودون الذي أدان كل فن لا يخاطب سوى النخبـــة ، ودعا الى فن شعبي يحاكي أذواق الجمهور وتطلعاته ، كما ان كونت عمد الى جعل الفن تعميماً للعلم بالانفعال والعاطفة .

الفن فوق كل شيء

من الطبيعي أن يهب تيار مناوىء لمواقف اولئك الباحثين الذين أسرفوا باعادة كل شيء الى التخلق، فهذا لامارتين يقول (ليس النبوغ بذاته أقل من فضيلة) (ونحن نجد ، أول مانجد ، عند شلنغ منظومة العالم المبنية بناء حاسماً على أسس علم الجمال) حيث يصبح الخير خادماً للجمال لا سيداً ، ولكن هذا الموقف لم يتوقف عند هذا الحد ، بل اندفع بعضهم وبصورة خاصة اولئك النيتشويون الجدد الى التطرف ، كدي كولتيه القائل (ان الحس الجمالي يطرد الأخلاق لأنه يحقق التخلق) . وهكذا مال مذهب الجمالية المعظمة الى اطلاق الأحكام (هذا الشيء صالح وحقيقي لأنه جميل) و (ليس هذا الشيء واقعياً لأنه حقيقي ولا لأنه صالح ، بل انه واقعي لأنه جميل ، ولذا فانه حقيقي وصالح معاً)

وهكذا طغت فكرة الفن للفن على المفاهيم الأخلاقية السائدة آنذاك .

* * *

ولكن الحرب يشتد أوارها عندما شرع الزهاد وحماة الفضائل القاسية بادانة الفن على أنه لعب ، وحسي شهواني ، ولهو باهت يحول بين الانسان وبين الاستقامة والتفرغ للاله . والى جانب هذا التيار ، شن علماء الجمال حرباً ضروساً ضد الزهد والتقشف ، وينمو هذا التيار حتى يمتد الى الحقل الأدبي فنجد زولا الذي يرى بأن الفن فردي وحيادي أخلاقيا واسكار وايلد الذي قرر بصلف كبير (ما من كتاب بأخلاقي أو غير أخلاقي ، بل انه مكتوب كتابة جيدة أورديئة ، وهذا كل ما في الأمر) .

كما ألح اكثر من باحث على اللاتخلق العميق في الفن ، فهو (لاأخلاقي بصورة رئيسة . وأخلاقي بصورة عارضة) ويذهب ريني دي كورمون الى التأكيد على لاهدفية الفن ، لأنه هو هدف ذاته ، بينما يقول اميل فور (لن يكون الانسان الخلوق فناناً . وكذلك الشعب الخلوق) .

ويستخلص لالو من هذين التيارين المتناوئين ، انهما متفقان على حفر هوة عميقة بين الفن والاخلاق ، ولكنه لايتهاون في اتهام الجماليين بأنهم انما يقيمون هذه الحرب لاستدرار الربح ، وان قناعتهم تلك أبعد ماتكون عن الصدق والعمق والاحترام (شأنها شأن قناعة خصومهم الزهاد) ، ولا ينسى لالو أن ينوه بميله الى نصرة جماعة الفن الحقيقيين الذين لايقيمون الحروب ولا يبذرون الخصومات بين الفن والأخلاق .

اهاب نظرية عامة للقيم

غير خاف ان بروز شقة الخلاف بين الباحثين الجماليين والاخلاقيين ناتج عن رغبة كل من الفريقين في بلوغ المطلق .. فالانسان مغرم منذ اقدم العصور بالوصول الى

المطلق منطلقا الى ذلك من ثلاث نقط مختلفة ، فالمطلق بالنسبة للعقل يكمن في الدين ، وبالنسبة للعاطفة يتجلى في الحب ، بينما يظهر في الحياة الفاعلة في الحرية ، ومع ان كلا من هذه المنطلقات على حدة عاجزة عن تحقيق المطلق ، فانها بتعاونها جميعاً تؤدي الى نتائج خيرة ، فنحن نرقى عن طريق الحب الى تجاوز اثرتنا ورتابتنا الشخصية ، ونأمل من الحرية ان تساعدنا على اجتياز تخوم الحتمية والانتصار على الضرورة الطبيعية ، (وعلى الاقل تخوم القانون الآلي) كما يقرر شارل لالو .

ومن المعروف ان المفهوم الرئيسي للاخلاق يتجلى بالالتزام او الآمر القبلي او الواجب ، فيؤيد وجوده بهذا المطلق الثلاثي ، ولكن هناك مطلباً طبيعياً آخر ، مطلب الفن المتمثل بـ (مطلق اللعب ، او الشخصية ، او التخيل الحسي بل والشهوي) . في حين يبرز امامنا ذلك المطلق الذي يفرضه علينا العلم : الحقيقة . وهكذا ينشأ الاصطدام بين هذه المفاهيم الثلاثة ازاء المطلق ؛ ليفرض كل منها وجوده الارضي من دون الآخرين . ومال الباحثون الى استعارة مفهوم القيمة عند الاقتصاديين على يد نيتشه ، فشرعوا بعزل مفاهيم افتراضية مجردة تمكننا من تفسير الواقع المشخص ، فتنزع بر غسون بالوثبة الحيوية مفترضاً بذلك غائية تمثل قيمة بالاضافة الى الكائن الذي يحقق العمل ، وهكذا وجد الانسان نفسه مضطرا الى افتراض قيمة فوق السوية كما يقول لالو ؛ لان اللاسوي انما يمثل الزائف والقبيح والشر ، والسوي هو الحقيقي حاليا ، والجميل حالياً ، والصالح حاليا ، والمثالي هو افتراض حال سوية قادمة للحقيقة وللجمال وللخير عبر تطور هو ذاته تطور سوي) .. ووفقاً لهذا المنطلق ، منطلق ما فوق السوي ، يمكننا ان نعرف القيمة بأنها (الشكل النفسي للطاقة الكلية) . فالقيم الاخلاقية انما هي (تركيب معطيات حيادية اخلاقيا) بينما تلفي القيم العلمية نتيجة لتفاعل عوامل حيادية منطقيا ، والقيم الجمالية هي الاخرى

ناشئة من عناصر اساسيــــة حيادية تجاه الجانب الجمالي . لذا غدا من الضروري مراعاة عدة عوامل انسانية لفهم أي أثر فني سواء كان فردياً ام مدرسيا، كالوسط الطبيعي والوراثة البيولوجية والنفسية ، والوضعية الطبقية للمجتمع الذي ينتمي اليه الفنان او المدرسة ، ومن هنا نصل الى الاقرار بأن التخلق الاعلى لايعني ابداً نفي سائر القيم الجمالية او العلمية .. وانمـــا يفترض وجودها ويعمد الى الانسجام معها باستمرار ، ولكن هذا الانسجام (لايمكن ان يكون سوى تضامناً وتنظيماً) .

تلك هي أهم السمات التي يطرحها شارل لالو في بحثه ، آمل ان اكون قد استطعت ايضاحها ، بيد ان هــذه المحاولة لايمكن ان تكون كافية بالقدر الذي تغني به القارىء عن العودة الى هذا الكتاب المبني على اساس وطيد من الزخم الفكري حيال الفن والاخلاق في كل صفحة من صفحاته .

* * *



خواطر حول رواية (حسن جبل)

لفارس زرزور

الرواية الفائزة بجائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية لهذا العام وهي غير مطبوعة حتى الآن

بقلم : احسان الخطيب

قصة الثورة السورية الحقيقية ، ثورة العامل والفلاح ، اتجاهها الفكري شعبي اشتراكي ، الجديد فيها بالنسبة لما ألف عن الثورة السورية كشف حقيقة القوى التي صنعت هذه الثورة ، ان قوى الشعب هي التي صمدت امام القوى الغاشمة وهي التي جاعت وهي التي تشردت ومنها سقط الضحايا وعليها كان الغرم ولغيرها كان الغنم . ولقد أوضح فارس زرزور هذه النقطة بجلاء من اول صفحة حتى آخر صفحة ، حسن جبل عامل معدم ، محمد قاديش عامل ، وكذلك أبوذيوب القاضي وأبوزطام وعلي الدرويش وجميع الشخصيات التي قامت على اكتافها الثورة السورية .

وفي الوقت نفسه تكشف القصة عن دور الأغوات والمؤجرين والوجهاء في الثورة : كانت الثورة عندهم جواداً مطهماً وبزة شبه عسكرية وبندقية جديدة لالزوم لاستعمالها ونطاقات من الرصاص متصالبة على الصدر في أنفة وتبرج لاتختلف في جوهرها عن أية ربطة عنق غالية الثمن يتطوّس بها أي بورجوازي متحذلق في أية بقعة من الارض .

وكانت الثورة كذلك عند هؤلاء الأغوات فرصة للمساومة مع العدو من أجل الحصول على مراكز ومناصب ومواقع أقدام جديدة.. كانوا يعجزون عن فهم معنى الصمود أو التضحية بالنفس وكان أي مكسب شكلي

صغير مرعان مايغريهم بالقاء السلاح لان الثورة غير مرتبطـــة بقضية وجودهم وكرامتهم اليومية .

وعلى العكس من ذلك استطاع فارس أن يثبت ان الثورة ليست تبرعاً يمن به المواطن على وطنه ، وحين تكون كذلك لايمكن ان تستمر . **ان الثورة حاجة مادية ونفسية** ، ولقد ظلمت الثورات التحررية حين نسبت الى طبقات معينة تمثل الأقلية ذات المصالح على زعم انهـــا وسيلة لتأمين هذه المصالح ؛ لقد كشفت القصة عن واقع يكاد يهمل أحياناً في زحمة المزايدات والبدع الفكرية التي تتزيا بالزي اليساري ، وهذا الواقع هو ان الثورة السورية — كسائر ثورات التحرر في هذا العصر — كانت من صنع أبناء الشعب من العمال والفلاحين . واذا كانت طبيعة المرحلة الاجتماعيـــة في الاقطار الرازحة تحت الاستعمار تفسح مجال استغلال هذه الثورات من قبل الطبقات ذات المصالح المغايرة لمصالح الشعب، وقيادتها وتوجيهها بحيث تخدم البورجوازية، فإن ذلك يجب ان لايكون وسيلة لدمغ هذه الثورات أو التغاضي عن لحمتها وسداها الحقيقيتين . **ان المطلوب دائماً هو تخطي الاشكال الفوقية عند دراسة الثورة وذلك للكشف عن القوى الحقيقيـــة المحركة لها .**

ومن قصة فارس بالذات يتبين ان (الآغا) كان يستطيع في كل وقت ان يتخلى عن الثورة ويتوصل الى صيغة سهلة للمصالحة مع السلطة، ويعود الى املاكه وارزاقه ومشاغله اليومية، اما العامل حسن جبل والعامل محمد قاديش — شأنهما شأن أكثر ابطال الثورة — فقد كانا محكومين بالاعدام ؛ **وخط المصالحـــة مقطوع نهائيـــا بينهم وبين السلطة الاستعمارية** ، والتعايش السلمي معها مستحيل. فاما ان يعيشا ، ان يثبتا حقهما في الوجود والحياة — بصرف النظر عما تحمله الحياة لهما من تعاسة وبؤس واملاق — واما ان تعيش السلطة الاستعمارية وتثبت اقدامها على دكام من الرعب الذي يحدثه شنقهما في ساحة المرجة ، **ان الثورة بالنسبة لهما حاجة حياتية لا شهامة ولا تبرع ، انها جزء من كرامتهما الشخصية وجزء من وجودهما عـــلى الارض ، انها طريق حتمي ، وجسر من الموت يوصلهما الى شاطىء الحياة .**

وأي شيء ترى يمكن ان يفعله قاديش وحسن جبل سوى ان يثورا ، لقـــد كان قاديش يعلم أهداف الثورة ومبادئها وأبعادها القومية والطبقية ، ولكنه ما كان ليعطي الثورة كل حياته لولا انه محكوم بالاعدام ، ولولا ان السفن كانت بطبيعة الحال قد احرقت من خلفه فليس له الا ان يقدم ، ان يعيش في جحر تحت الارض ، ان تكون الثورة خبزه اليومي وماءه ونفسه .

اما حسن جبل فقد وجد نفسه فجـأة مناضلا، وليس من تناقض — اللهم الا شكليا — بين ثورته على الآغا وثورته على الفرنسيين. كل منها قضية شخصية مصيرية: الأولى ثورة الكرامة والثأر الفرديين، والثانية تجنيد حياة غنية كرامتها ان تعيش وثوريتها الحل الوحيد والحتمي الذي يضمن استمرارها وبالتـالي كرامتها. كانت « تميمة » كرامة حسن جبل كما كانت لذته وطعم حياته، وقد اختلطت قضيتها بقضية « ثورة حسن جبل » اختلاطا كاملا؛ وحين وضع في محنة المفاضلة بينها وبين القضية قفز من العربة وتركها دون أن يحس تماما انه يتخلى عنها؛ قفز من اجلها ومن أجل القضية ولم يكن في مقدوره ان يستوعبها من دون القضية؛ كما انه قضى كل حياته يتفطر ألماً لأن القضية إستأثرت به من دونها.

وربما كانت هذه العقدة **عقـــدة الذنب** هي التي جعلته يضيع زوجته الثانية (اسماء) في الحج وكذلك يضيع كيسه. ان تميمة واسماء والكيس عناصر اساسية لازمة لحياته؛ وقد ظل طوال حياته موزعاً مبلبلا لا تعرف روحه السكينة لأنه إضاع هذه الثلاثة الاشياء او احدها او اثنين منها.. طول حيـاته ظل يبحث عنها ويرسل روحه شعاعاً في أثرها، شيء واحد فقط عزاه عن فقدها وادخل الى روحه الطمأنينة لأول مرة، انه المسيرة الكبرى، مسيرة الجلاء في نيسان: « المعـــامل للعمال والارض للفلاحين »، ونيسان يبارك بأمطاره.

وبكلمة مختصرة يريد فارس أن يقول: إن كفاح الشعب ضد الاستعمار لا يمكن أن ينفصل عن كفاحه ضد الطبقات الطفيلية، وإن العرس الحقيقي لانتصارات الشعب هو عرس التأميم والاشتراكية، لأن الاشتراكية إذ تعلن الانتصار على التخلف والاستغلال تعلن ان انعتاق إبن الشعب من هذين القيدين هو المضمون الحقيقي لكـل تحرك ثوري. ومن هنا كانت احتفالات نيسان الجلاء، التي شهدها وشارك فيها مشاركة عفوية بطل القصة حسن جبل، مقرونة بانتصارات العـــمال والفلاحين. وبذلك اعطى الكاتب الثورة التحررية مضمونها الاشتراكي الانساني.

هذا ما أرادت ان تقوله رواية حسن جبل بالإضافة الى اشياء اخرى كثيرة يستطيع الانسان في دراسة معجلة ان يغفل ذكرها اللهم إلا أن تأتي عرضاً في سياق الحديث.

— على محك النقد —

إن السؤال الخالد الذي لا يفتأ النقد يطرحه في وجه كل مؤلف هو:

هل استطاع المؤلف ان يقول ما أراد قوله وكيف؟

هل استطاع حقاً؟

ليس من السهل أن نجيب دفعة واحدة على هذا السؤال، ولكننا نستطيع بشيء من التـلاعب الكلامي أن نقول: لولا أن

المؤلف قطع – على الأقل – أكثر من نصف الطريق للتعبير عن هذه الامور لما استطعنا ان ندرك الاغراض التي ذكرنا ، اذا كانت هذه حقاً هي اغراضه .

وفي الرواية لايكفي ان يقف القـــاص خطيباً في جمهرة ابطاله وقرائه ليقول لهم بصوت جهوري : اخدموا وطنكم وصونوا كرامتكم ، أو ان يقول كما قال جمال الدين الافغاني لجمهوره : هبوا من غفلتكم ، اصحوا من سكرتكم ، عيشوا كباقي الامم أحراراً سعداء .

بل ههنـــا مقتل الروائي بالضبط ، ولاسيما الروائيين الدعاويين الذين يحبون أن يكونوا صدى توثب عصرهم، أو بشرى نهضته المتحفزة .

إنهم دائماً بين خطافين كل منهما يشده الى جهته :

إما أن تقول ما تريد قوله بوضوح واصرار ، وساعتذاك تصبح الرواية بحثاً أو خطاباً في قالب قصة ، عرّاها التوجيه في كثير او قليل من خصائصها الفنية الثمينة .

وإما أن لاتسمح لتعبئتك الفكرية بأن تطغى على العنصر القصصي، وعند ذاك تخشى أن يأتي التوجيه باهتاً خافت الصدى .

ومؤلف (حسن جبل) لم يتردد بين هذين القطبين ولو لحظة واحدة .

منذ البدء ، منذ ان اختار (الجبل) بطلاً لروايته كان مصراً على ان هذا الجبل لا بد ناطح أعنان السماء بغارب . فكيف لاينناطح جدران القصة الرقيقة التي توشك ان تنقض لكثرة ماتوالى عليها النطاح !!

اذا لزمت الخطابة والتقريرية والمباشرة في طرح الافكار وتفسير المواقف فلا مانع، مادام ينبغي لهذه الامور ان ترتـــدي ثيابا مكشوفة ان لم تشف فانها تصف احسن وصف ! !

احيانا كثيرة كنت اقرا آراء لفـــارس زرزور في مجال نفسي من ملك حسن جبل ، كان هناك في اكثر الصفحات اعتداء ضخم او معتدل على افكار حسن ونبوءاته وخلجات نفسه . كان فارس يطل على الساحة النفسية لحسن جبل اطلالات طويلة ملحة غـــير مستلطفة ، كان يحبر مقالات بيد حسن جبل الامي . انني لا احب هذه الطريقـــة ولا استسيغها، ولست ادري احدث راي لكتاب القصة ونقادها في هـــذا الموضوع « اذ من الصعب متابعة جميع بدع الادب الحديث..» . غيراني كنت احس بضيق شعوري « لانقدي» فقد قرات القصة بروح القارىء ولم اسجل الا ملاحظات يسيرة جداً اثناء القراءة » ، كلما اطل فارس زرزور ليتولى تفسير الخلجات النفسية او الخواطر الفكرية التي يفترض ان تكون من الممتلكات الخاصة للبطل وحده لايفصح عنها الا بإرادته وبالطريقة التي توافق مزاجه وحالته النفسية .

احيانا كان فارس يحس ان حس جبل هو حس جبل بمعارفه البسيطة المقيدة بتصورات عصره ، واذ ذاك كان يقع في لزوم ضرورة تبسيط منطقه الخاص «منطق المؤلف» ليطابق منطق البطل ، بدلاً من اطلاق سراح لسان البطل ليتحدث بمكنونات نفسه ، فاذا تكون النتيجة ؟ انها احيانا — لا دائما — منطق ممسوخ تائه بين ثقافة ولا ثقافة ، وليس ادل على ذلك من المناقشة العجيبة لمسألة اطلاق النار على الحيتين في ضوء مفهوم غير مستساغ للرجولة . ص ١٠١

واخيراً ان مغامرة فارس في متاهات التداعي النفسي والاضفاء وتيار الوعي والتحليل لم تخل من امتاع وابداع احيانا ، ولعل انجح صفحة فيها هي التي تضمنت وصف الخط العاطفي الدقيق المشوب الذي كان يصل بين روحي جبل وقاديش ، وقد بدأ هذا التحليل المجيد في الصفحة ١٣٥ التي تضمنت شيئا من وصف الاضطرابات النفسية التي اعترت قاديش بسبب عرس حسن جبل ، ثم مضت هذه الصفحات قدما في الكشف النفسي حتى كانت نصيحة قاديش لحسن ان لايمس تميمة قبل ان يؤدي رسالته الى الثوار (ص ١٤٥—١٥٠) . هل هي نصيحة خالصة لوجه الثورة ؟ أم انها مدفوعة بدوافع نفسية خاصة ؟ هل كان قاديش ضحية غيرته دون أن يحس ؟ أجل ما في هذه الاسئلة التي تثور في نفس القارىء ان لاجواب لها .

على ان الكاتب اذ يقفز من مستوى التحليل الى مستوى الكشف عن طريق التداعي النفسي ، يدخل في المتاهة التي اصبحت سمة على معظم الروايات الحديثة : خلائط نفسية تفتقر الى الشفافية وترهق روح القارىء ... فابتداء من صفحة ١٥٠—١٦٠ تفرض على القارىء عقوبة متابعة سلسلة من التداعيات تحاول ان تعكس التركيب النفسي المزاجي Idiosyncrasy لحسن جبل عن طريق الآيات والأحاديث التي تخطر له ... لماذا قلت عقوبة ؟ **لأن كل محاولة لتحليل أو التداعي تصبح في ذوقي** عقوبة ومشقة حين **تفتقر الى الشفافية والمماطلة .**

وأخيرا اذا كان الوعي الكامل لابعاد الثورة السورية هو ميزة الرواية الاولى من الناحية الفكرية ، فان روعة الوصف ودقته وقدرته على خلق الجو الطبيعي والنفسي — ولاسيما في اول الرواية — هو ميزتها من الناحية الفنية . ان الوصف الصحراوي عند فارس فيه دائما جو ولفتات : « وحلت القاطرة في الجو امارات انسان يوشك ان يعطس . ص ٨٨(١) » . وفي الختام لانحب ان تفوتنا

---

(١) وكذلك ص ٥٢ مشاركة الطبيعة ووصف محطة ازرع مع الاستعانة بالعنصر الغيبي .

ظاهرتان مهمتان جداً كنا نقف عندهما طويلا لو لم يكن لدراستنا هذا الطابع الالمامي .

الأولى : ضمور البعد القومي العربي في ثورة الرواية لمصلحة البعد الشعبي الاشتراكي ومن فضول القول أن نؤكد هنا ان الدافع القومي العربي كان دائماً حاضراً في ساحة كل تحرك شعبي سوري بحيث لا يصح اهماله ولا سيما في فترة الثورة السورية تلك الفترة التي كانت معافاة من الداء الاقليمي الذي اتيح له أن يشد قبضته على بعض النفوس خلال نصف القرن الماضي .

والثانية : الاغلاط اللغوية التي تملأ الرواية ، مثل :

باتنا **وشيكتا** الوقوع

الفى **نفسه** ان هذا ..

ما أعظم أن يكون للانسان الملاحق **صديقاً ...**

غير انه مما يخفف من وطأة هذه الاغلاط الكثيرة ان معظمها نحوي لاتركيبي ، والبناء اللغوي عند المؤلف سليم بوجه عام .

وما كنت لاصف هذه الظاهرة بالاهمية لولا انها أصبحت شائعة في معظم الكتابات الجديدة ..



زورق من دم

مجموعة قصص ليوسف شرورو
عرض وتحليل : ياسين رفاعية

قلائل، رغم الكثرة، من عبروا في إنتاجهم الفكري عن النكبة تعبيراً صادقاً ، ويظل الشعر طليعة وسائل التعبير عن مأساة فلسطين، ذلك أن الشعر يستطيـــع ان يضمن نفسية الانسان العربي وهو يواجه مصيره في اتعس مأساة واجهت الشعوب في العالم، ولكن ادب النكبة خلا للاسف من رصد هـــذه المأساة وحوادثها في عمل روائي باستثناء بعض الروايات التي لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة ولم تكن على مستوى المأساة قط ، ولكن حظ القصة القصيرة كان اوفى، فطالعتنا بين الفترة والفترة مجموعات مختلفة تضمنت في اكثريتها بعض القصص من واقـــع المأساة المعاشة في ضمير الانسان العربي .

ومؤخراً صدرت مجموعة لأحد الكتاب الفلسطينيين الذين يعيشون حياة التشرد تحت كل سماء ، وهو يوسف شرورو الذي يعيش الآن في لندن وعنوان المجموعة « زورق من دم » صدرت عن دار الآداب ببيروت .

وتضم المجموعة هذه القصص : « عائم في لندن — حب بعـــد الظهيرة — ليلكة لنهر المدينة — الحلبة تنتظر يا .. — سجين مكتبة هرمة — زورق من دم — رحلات الثلج — أبداً لن تراه عيوننا — العينان وبساط الضوء — الليلة الأخيرة — المجنون واللون الابيض — » .

واكثر هذه القصص تعالج مأساة انسان فلسطيني يعيش في جو ليس مهيئاً بالاصل ليتقبل وجهة نظر العرب ، بل تبنى - على العكس - وجهة نظر الصهيونية التي لها قدرة الالحاح على اذهان الناس هناك يومياً بشتى وسائل وسبل الدعاية عاكسة صورة الباطل الى حق وصورة الحق الى باطل .

فالبطل في اكثر هذه القصص هو المؤلف نفسه ، فهو ذاته : ياسين في قصة « عائم في لندن » يقدمه احـد اصدقائه الانكليز الى معارف جدد قائلا: « ياسين عربي..والعرب

احاديثهم عميقة تحمل عدة معان . الفلسفة هم أول من شرحها و كتب عنها . ياسين يشعر بالتمزق وبالحزن لأنه يعيش هنا . وفي بلاده يعيشون حياة ثورية جديدة ، يقودها كل الشباب ، انها – كما قال لي – خطوة ثابتة وجديدة نحو مدينته . ياسين من فلسطين التي تسمى الآن « اسرائيل »، وهو يدرس القانون الدولي الآن » .

ويهمس ياسين في مقطع آخر : « عندما كنت أعيش في بلادي فكرت بأن المطر والضباب والحياة الاوروبية سوف تزيل الادران العالقة في جسدي ، ولكن بعد ان عشت هنا اعتقد بأن الشمس التي تحتضن بلادي هي خير مايغسل الادران التي حلتها من اوروبا ، لذا افكر الآن بالعودة .. » . هو باسل في قصة « حب بعد الظهيرة » يقول : وامي عندما قبلتني في مطار بيروت ، قالت وهي تمسح دموعها : باسل .. عد الينا رجلا كبيراً .. امي في دمشق تبتسم الآن وترفع رأسها عالياً وهي تقول لجارتنا ام محمود «ابني باسل يدرس الهندسة في لندن » .

وتسأله الفتاة هل انت أسباني .. يقول : كنا نعيش في اسبانيا منذ سنين بعيدة ، ثم خرجنا منها ، انا عربي من بلاد تطل عليها شمس لاتغيب .

في قصة « ليلكة لنهر المدينة » اراد الكاتب فيها ان يعبر عن فئة من الذين لوثتهم ثقافة الغرب واخذوا من الفلسفة الوجودية قشورها ، فراحوا يتصرفون تصرفات غريبة وسخيفة ، وهم يعتقدون ان ذلك يعني الوجود ، فؤاد في هذه القصة يحب سهى ، ويريد ان يقدم لها هدية فيخنق القطة التي تحبها امه ويضعها في صندوق ويطلب من سهى ان تلتقي بـه ، ويذهب للقائها وهو يحمل هديته البشعة وحين تكتشف مابداخل الصندوق تصرخ بلهع :

– الم تندم يافؤاد على عملك هذا ..؟

– علمني سارتر بأن اجبن انسان هو من يشعر بالندم

« وضعت الصندوق برفق على رصيف الشارع ، ومضغت كلاماً تخيلته ثقيلا كالرصاص في فمها ، ثم بصقت كلمات رديئة في وجهي ، وانفتلت تسير كمن اصابها تيار كهربائي تبخر الندى في عيني ، فأخذت التابوت الوزي من على الرصيف ، ثم تناولت لفافة «البازوكا» واشعلت واحدة ، وذهبت لزيارة نهر المدينة في الديوانية .

كان نهرا صغيرا كأنهر مدينتي ، خيل الي انه يضحك في وجهي بترحاب .. دمشق لم تكن تبتسم في وجهي .

اقتربت من حافته ووقفت ، ثم القيت الليلكة (القطة) بحركة جنائزية فخمة فحملها نهر المدينة الى مكان لاأعرفه » .

وفي قصة « الحلبة تنتظر يا .. » نجد ابراهيم يواجه المجتمع الانكليزي وجها لوجه

ويناقشه، وفيه طلاب من الارض المحتلة يقولون : انها أرضنا في الأصل .. وهناك مهبط ديننا: ويقول : هذا يعني ان المسيحيين كل المسيحيين يجب أن يعيشوا في فلسطين أيضا لأن فلسطين مهبط دينهم .

يقول له رونالد:

— بم تفكر ياابراهيم

— افكر في وطني الذي بعثر ايامي بعد تبعثره

يقول يهودي :

— نحن لم نسرق الأرض ، أخذناها بالقوة ولن يستطيع احد ان يأخذها منا .

لكن ابراهيم يخاطب فتاته :

— انت تذكرين الحروب الصليبية .. لقد جاءت الجيوش الاوروبية واخذتها منا .. وعاشوا هناك سنين طويلة ، وفي النهاية عادت لنا وعدنا اليها .

يقول صوت كريه :

— في هذه المرة لن تعود اليكم

— هكـــذا تقول انت .. ونحن نقول العكس . لنا موعد عبر الايام ينتظر .

وينقلب البطل عندالكاتب في قصة « سجين مكتبة هرمة » الى كتلة من الصفيح الفضي بسبب الكتب الكثيرة المختلفـــة التي التهمها التهاما . ويصيح أبوه :

— أخذته الكتب منايا ست ..

واخيراً يصرخ البطل « انا ضحية في عالم حضاري .. انتجت فولاذا . سيجت صدري . اتنفس بصعوبة . اقرأ بخوف »

والقصة التي تحمل المجموعـــة اسمها هي « زورق من دم » وهي تحكي حكاية هذا الانسان الفلسطيني الغريب الذي لايريد أن يرتبط بأرض غير أرضه ، ولطالما اعد نفسه ليوم الثأر فهو لايريد اولادا . ولذلك يحمل الفتاة الى الطبيب ويسقط الجنين .

وتهتف به حين تصحو :

— لماذا لم تحتفظ به يا كمال ؟ لماذا أردته أن يموت ؟ انا خائفة ، ضعني في السرير .. لماذا فعلتها يا كمال .. قل لي ..؟

— لأنني لاأملك روافد حياة لأمد بها الحياة .

انه انسان مقطوع ، هكذا يحس ويشعر ، انه يريد وطنا وأرضا وهو قد فقد وطنه وارضه . وفي « رحلات الثلج » مازال هو الغريب « الى اين ايهـــا الغريب الابدي .. ما الذي تفعله في هذه المدينة الخربة » ثم « ابتسم ليوم تافه جديد أيها الغريب ، فأيامك تافهة » .

و « ابداً لن تراه عيوننا » هو الراحل ابداً . يترك دمشق ، المدينة التي آوته بحنان بعد أن فقد أرضه ، ويذهب ليبحث عمن يمنحه الحياة ليستمر ، فهو مصاب بالقلب ، الصمام الايمن لايوزع دمه .. وامه تنادي :

— رب .. دعه يعود الينـا فهو رجلنا الوحيد .

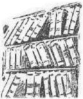
وفي « العينان وبساط الضوء » يغتال البطل احد الذين يحاربون قضيته. لقد امرته المنظمة السرية التي هو احد اعضائها ان يفعل ذلك. وينقلنا الكاتب عبر اجواء بوليسية غامضة باسلوب ممتع لينفذ ما أمرته به المنظمة.

اما « الليلة الاخيرة » فهي التي ترده الى الواقع وتشعره بقيمة الرسالة التي يحملها في اعماقه من اجل وطنه فيقول لفتاته التي تطلب منه ان يراها « كانت ليلتنا الليـــلة الاخيرة .. تذكري ان الاحصنة العربية لم تترك آثاراً على تربة بلادك » .

وبطل القصة الاخيرة « المجنون واللون الابيض » هو نفسه الذي يبرز في قصة « سجين مكتبة هرمه » انه يقول: رفاقي في الجامعة اطلقوا علي اسماً سخيفاً « مجنون الفلسفة الحديثة » .

هكذا البطل في هذه القصص كلها ، هو مفقود ويبحث عن نفسه ، وفيه حنين مستمر الى ارض وبرتقـــال وبحر وزيتون ومئذنة وصليب يتجاوران ابداً.. ولقد اراد يوسف شرورو ان يعبر في مجموعته الاولى عن نفسه ومن خلالها يعبر عن جيله كله ، جيل المأساة الذي يحلم بالعودة ابداً .

وما يؤخذ على الكاتب في هذه المجموعة : التشابيه الكثيرة التي تفسد في بعض الاحيان جريان القصة في مسلكها الطبيعي .. ثم هناك عيب مهم : لقد اراد الكاتب ان يقدم لنا معنى الغربة في اعماق العربي الفلسطيني لكنه كثيراً ما كان يفقد تبرير الاشياء ويفقد المعاني التي يرغب ان يكسبها قوة وحجة .. وهذا ما كان واضحاً في قصة « الحلبـــة تنتظر يا ... » ، ولكن من طرف آخر. تؤكد الجزئيات الصغيرة التي ملأت جوانب هذه المجموعة ان المؤلف شرورو قصاص موهوب سوف يكون لانتاجه الصدارة في أدب المأساة .



الطرواديات

رائعة ميشيل كاكويانيس

عرض وتحليل احسان هندي

في الجنوب الشرقي من الأراضي الفرنسية ، وعلى مسافة ليست بعيدة عن مرفأ مرسيليا الشهير ، تقوم مدينة أثرية يعرفها هواة الآثار والتاريخ في العالم اجمع ، واسمها « أفنيون Avignon » . ومكانة أفنيون تعتمد على قدمها من جهة ثم مكانتها الدينية من جهة ثانية ، حيث ان البابوات هجروا روما وأقاموا فيها ردحاً طويلا من الزمن في فترة النزاع بين السلطات المدنية والسلطات الروحية في القرون الوسطى ، وقد بنى هؤلاء البابوات قصرا في هذه المدينة دعي باسمهم « Palais des Papes » وهو يعتبر من أنفس القصور الفرنسية التي بنيت في العصور الوسيطة ، ولذا استغلته بلدية المدينة أحسن استغلال ، سواء في دعوة السياح لزيارته ، أو لاقامة مهرجانات مسرحية في باحته الكبرى خلال فصل الصيف من كل سنة ، وذلك رغبة في اجتذاب اكبر عدد ممكن من الاجانب

من جهة ، وللترفيه عن الفرنسيين أنفسهم وزيادة الحس الفني الصحيح لديهم بالوقت نفسه من جهة ثانية .

وقد قدم (المسرح الشعبي الوطني الفرنسي T. N. P) في مهرجان أفينيون التاسع عشر عددا من المسرحيات اليونانية والفرنسية الكلاسيكية والعالمية الحديثة لمؤلفين مسرحيين يقفون في قمة الاعمال المسرحية مثل :

سوفوكليس وأوريبيدس واريستوفانيس من اليونان ، وموليير وراسين وكورني من الفرنسيين الكلاسيكيين ، وكذلك شكسبير الانكليزي وكالديرون الاسباني ، ومؤلفين مسرحيين عالميين حديثين او معاصرين مثل : بريخت وكليست الالمانيين والفريد دهموسيه وهوغو وبومارشيه وبالزاك وماريفو الفرنسيين وتشيكوف وغوركي الروسيين وبيكيت وأوكيزي الايرلنديين وابسن النرويجي وبيرانديلو الايطالي و . ت . س إليوت الامريكي وغيرهم . ولعل أهم جميع هذه المسرحيات التي قدمت في مهرجان افينيون مسرحيتان ساعدني الحظ على مشاهدتها : الاولى هي « الوهم المضحك L'illusion Comique » من تأليف كورني Corneille ، والثانية هي : «الطروادياث Les Troyennes » من تأليف اوريبيدس . ونظراً لان المسرحية الاولى هي مسرحية اكاديمية معروفة من قبل جميع المهتمين بالحركة المسرحية العالمية وخاصة من تلقوا منهم ثقافة فرنسية في الجامعة او المدارس الاجنبية ، لذا سأقصر مقالي على التحدث عن المسرحية الثانية « الطروادیات » لانها احدى مسرحيات القمة كما يمكن ان يقال ، فكاتبها اوريبيدس هو من اهم واشهر كتاب المسرح اليوناني القديم ، والذي اعدها للمسرح المعاصر هو الكاتب والفيلسوف الفرنسي المعروف جان بول سارتر ،

والذي اخرجها هو المخرج اليوناني الشهير ميشيـــل كاكويانيس . واوريبيدس وسارتر غنيان عن التعريف وكذلك كاكويانيس . ولكن لا بأس من أن أذكر ان مثقفينا قد عرفوا جيداً كاكويانيس من خلال فيلم « اليكترا Electra » وفيلم « زوربا اليوناني » المقتبس عن قصـــة « اليكسيس زوربا » لكانتزاكي .

والذين شاهدوا فيلم « إليكترا » يذكرون المهارة التي استخدم بهـــا كاكويانيس نساء المجموعة « الكورس » وقد استخدم هذا الاسلوب نفسه في اخراج « الطروادبات » حيث تقوم نساء الكورس بدور البطولة تقريباً في هذه المسرحية .

ومسرحيـــة « الطروادية » هي تراجيديا يونانيـة كتبها أوريبيدس سنة ٤١٥ ق.م ، وتدور أحداثها حول حرب طروادة ، أو بالأحرى حول النتيجة التي انتهت اليها هذه الحرب : لقد سقطت المدينة بعد ان مات جميع رجالها على ايدي أعدائهم اليونان ، وبقيت النساء الطروادبات ، ويمثلهن هنا الكورس ، ينتظرن مصيرهن الذي يقرر في معسكر المنتصرين ، وعلى مقربة منهن يتصاعد الدخان من خرائب مدينتهن الشهيدة .

وتبـــدأ المسرحية بمشهـــد الملكة الطروادية العجوز « هيكوب Hécube » تبكي حظها جاثية أمام خيمتها ، انها تلعن هيلين ، زوجة مينيلاس الكريهة ، التي كانت سبب الحرب (١) .

وتدخل هنا مجموعة النساء الطروادبات « الكورس » ، وتتساءل كل منهن منتحبة عم سيؤول اليه مصيرها ، وفي أية مدينة من مدن اليونان ستكون عبوديتها . ويدخل هنا الحاجب اليوناني « تالثيبوس Talthybios » فيبلغهن قرار الزعماء اليونان بشأنهن : ستكون « كاساندر

(١) قامت حرب طروادة بين هذه المدينة وبين اليونان لأن باريس الطروادي هرب بعشيقته هيلين ، زوجة مينيلاس ملك اسبارطة اليوناني ، الى طروادة .

« Cassandre » ، نبية طروادة العذراء ، جارية ومحظية الملك اليوناني آغا ممنون ، وستقدم « بوليكسين Polyxene » ، ابنة هيكوب ، ضحيـــة أمام قبر البطل اليوناني آشيـــل ، وأما « أندروماك Andromaque » فستعود الى ملكية بيروس ، ابن آشيل ، واخيراً هنـــاك الملكة العجوز هيكوب التي ستكون جارية القائد اليوناني أوليس .

وفجأة ينبعث اللهيب من خيمـــة « كاساندر » التي تظهر بعد ذلك على خشبة المسرح وهي تمسك بشعل ، ثم تقوم بتأدية رقصة مجنونة تتغنى خلالهـا يائسة بعرسها المقبل الذي سيقودها من نبوة قومها الى عبودية آغا ممنون . وبعد ان تنتهي ثورتها تصيح بصوت يحمل نبرات مزح مشؤوم متنبئة بالمصيبة التي سيجلبها على اليونان اتحادها بالكافر اليوناني آغا ممنون بعد ان ظل جسدها حتى الآن مكرساً للآلهة ، ثم أخذت تدعو العجوز هيكوب للفرح معها بقرب خراب من تعدوا على طروادة بفضلها هي ، لأن المعتدين المخربين سيكونون أجدر بالشفقة من المدينة التي خربوها واعتدوا عليها .

وهنـــا يقود الحاجب اليوناني « تالتيبوس » كاساندر بينما تتابع هيكوب تعداد الآلام التي تعرضت لها وتبكي مصيرها الذي انتهت اليه جارية .

والمشاهد التي تلي مكرسة تقريبـاً لأندروماك التعيسة الحظ التي تظهر على خشبة المسرح مع ابنها « آستيناكس » لكي تُعلِمَ هيكوب بخبر سيء : لقـد قدّمت بوليكسين ، ابنة الملكة العجوز ، قرباناً أمام قبر آشيل ، وبينما تحاول اندروماك التخفيف من مصاب حماتها(١) ، يعود تالتيبوس ، الحاجب اليوناني ، وعلى

(١) اندروماك هي زوجة هيكتور ابن هيكوب ، ولهـــا منه الطفل آستيناكس حفيد هيكوب .

وجه علامات التأثر من المهمة التي كلفت بها : عليه ان يبلغ النساء الطرواديات بالقرار الذي اتخذه الزعماء اليونان نزولا عند مشورة اوليس ، وهو أخذ الصبي آستيناكس من امه والتخلص منه بالقائه من اعلى السور الى الهوة . وتنهار امه اندروماك عند سماعها بالخبر ، وتصب لعناتها على المنتصرين حين يفصلون عنها ولدها ، في الوقت الذي تبدأ به المجموعة « الكورس » بترتيل التاريخ المؤلم لطروادة المدينة التي تعرضت للهدم مرتين .

وتبدأ هنا الفقرة التالية في المسرحية، حيث يظهر « مينيلاس Ménélas » ، ملك اسبارطة اليوناني الذي جاء الى طروادة لاسترجاع زوجته هيلين، والعودة بها الى اليونان ليعاقب خيانتها بالموت هناك . وتوافقه هيكوب على قراره ، وتنصحه بألا يتحدث طويلا مع الزوجة الخائنة لئلا يسحره جمالها من جديد . وهنا تظهر هيلين وتتوسل الى مينيلاس كي يسمح لها بأن تدافع عن نفسها قبل ان تموت ، فيقبل مينيلاس بذلك ، ويسمع بعدها هيكوب متهمة . ويظهر مينيلاس مقتنعاً تمام الاقتناع بأدلة الملكة العجوز هيكوب ، ولكن يُستشم من موقفه المتصلب موقف مصطنع ، وانه سينتهي الى العفو عن الزوجة المجرمة .

وفي الجزء الاخير من المسرحية المأساة ، يظهر تاليتيوس وهو يقدم لهيكوب جثة حفيدها آستيناكس ، بعد ان تم اقتياد امه اندروماك الى سفينة بيروس ، فتقوم الجدة باجراء المراسم الاخيرة ، حيث تبكي امام جثة الطفل المقتول مذكرة بجماله وبتعبيراته الساذجة ، وبالامل الذي كانت قد وضعت فيه ، ثم تأمر بجلب ترس والده هيكتور ، حيث تضع عليه جثة الطفل الذي سيدفن بهذا الشكل .

وبينما ترتفع في اقصى المسرح انشودة جنائزية ، يعود تاليتيوس لكي يأمر الجنود اليونان باشعال النار بكل ما تبقى من طروادة ، فتبتعد هيكوب لكي تمتطي

مركب اوليس ، وتنشد مع الكوروس لآخر مرة انشودةحزينة على شرف وطنها الذي ضاع الى الابد(١) .

بعد ان لخصنا احداث المسرحية بهذه العجالة سنتكلم عن جودة تمثيلها وروعة اخراجها وبراعة اعدادها المسرحي ودقة العمليات الفنية الاخرى التي ساهمت في اظهار هذه المسرحية للوجود :

آ — **التمثيل** : كانت هذه المسرحية، التي قدمها نجوم المسرح الوطني الشعبي الفرنسي T . N . P لأول مرة يوم ١٠ آذار ١٩٦٥ في مسرح قصر شايو بباريس، في منتهى الروعة من حيث التمثيل يوم قدمت من جديد على « مسرح قصر الباوات » في أفينيون يوم الثلاثاء ٢٠ تموز ١٩٦٥ . فالممثلون أدوا أدوارهم ببراعة منقطعة النظير ، براعة جعلت المتفرجين لا يأبهون مطلقاً برذاذ المطر الذي ما انفك يهطل منذ بدء المسرحية وحتى نهايتها ، براعة جعلت أكفنا تلتهب بالتصفيق عندما انتهت المسرحية ، حتى ان الممثلين اضطروا للظهور أكثر من عشر مرات بعد اسدال الستار للرد على هتاف وتحيات الجمهور .

ويجب الاشادة بشكل خاص بالممثلة إليونور هيرت (التي قامت بدور ديكوب) ، وبكل من جان بييربونار (الذي قام بدور تالتيبيوس) ، وجوديت ماجر (كاساندر) ، وناتالي نيرفال (اندروماك)، وايفـفنسان (مينيلاس)، وفرانسواز بريون « هيلين » . كما وأنه لايجوز أن نغمط بقية الممثلين والممثلات حقوقهم وخاصة جان مارتينيلي « بوزيدون » ، وفرانسواز لوباي « بالاس » . ويجب ألا ننسى الدور الذي لعبته المجموعة « الكوروس » ، وهو دور نساء طروادة ، فقد كن بطلات المسرحية الحقيقيات بلا منازع ، وهذا

---

(١) اندثرت مدينة طروادة فعلاً منذ ذلك التاريخ وتوجد بقاياها الآن على مقربة من موقع « جناق قلعة Cenakkalé » التركية .

لايعود فقط الى اجادتهن التمثيل، بل الى حسن استخدامهن من قبل المخرج أيضاً .

ب — **الاخراج:** أما الاخراج فكان الرائعة الجديدة من روائع كاكويانيس بعد فيلمي « إليكترا » و « زوربا » ، وخاصة في كيفية استخدام الكورس والموسيقى ، والتناغم بين الحركة والكلمة من جهة ، وبين الموقف والنغم من جهة كذلك ، واختلاط كل ذلك في سمفونية رائعة من الكلمات والانغام والتعبيرات والاضواء . وفي نهاية العرض ، لما ظهر كاكويانيس مع الممثلين ، سمعت تصفيقاً وهتافاً لم اسمع مثلها في حياتي ، واختلطت صيحات « برافو » الفرنسية بالتحيات اليونانية « ياسو » .

وبكلمة مختصرة يمكن ان نقول إن كان كاكويانيس قد خط مستقبله السينمائي بفيلم « زوربا » ، فقد ركز مستقبله المسرحي بمسرحية « الطرواديات Les Troyennes » .

جـ — **الاعداد المسرحي :** وقام باعداد المسرحية الكاتب الفرنسي المعروف جان بول سارتر ، و كان اعداده لها عملا من اعمال القمة في المسرح .

واذكر انني شاهدت المسرحية الى جانب البروفيسور جورج دوبي ، رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب والعلوم الانسانية في جامعة ايكس — مرسيليا الفرنسية ، وقد قال لي بعد انتهاء العرض : « لقد فاق سارتر في اعداده لهذه المسرحية مسرحياته التي كتبها بنفسه بما فيها مسرحيته المشتقة عن اصول يونانية « الذباب Les Mouches » .

ووجدت انني اوافقه على رأيه ، اذ ان النص قد صيغ بلغة تبتعد تماماً عن لزوجة لغة سارتر التي تعودناها في رواياته ومسرحياته السابقة مثل: الغثيان والايدي القذرة . اما جمل الطرواديات فهي عبارة عن حد وسط بين سلاسة الشعر ومتانة النثر بشكل لااحلى منه ولاابدع ، وان لم يخل مجموع المسرحية من بعض الكلمات

العامية والمبتذلة ، بل القذرة احيانا ،التي تعودنا رؤيتها في كتب سارتر .

د ــ **بقية الفنانين** : ويجب ألا نغمط بقية الفنانين حقوقهم ايضاً ،فخلف اوربيدس وسارتر وكاكويانيس وإليونور هيرت ، وهم اعمدة المسرحية الأربعة ، يقف جيش من الاداريين والفنيين الذين ساعدوا بخبرتهم وبعرقهم وجهدهم على إنجاح المسرحية بهذا الشكل المشرف .

ولعل اهم هؤلاء الفنانين جورج ويلسون مدير المسرح الشعبي الوطني T.N.P الذي قدم المسرحيــــة ، وجان برودروميدس الذي كتب الموسيقى المرافقة لأحداث المسرحية ، وجان تساروكيس الذي صمم المناظر ،وإيفون كلرتيه مساعدة الكورس ، وشاوبه جورجاكيس مساعدة الديكوراتور .

وخلف هؤلاء يقف نسق آخر من الفنيين مثل : جان جاك دوكيرواي مساعد المخرج ، وبيير سافيرن المسؤول عن الاضاءة ، وموريس كوسونيه المسؤول عن الصوت ، وهوغيت غريس المسؤولة عن الملابس وجاك كورنيه الملقن وروجيه روديه الميكانيكي وغيرهم كثيرون .

وهناك اسمان ضمن لائحة فنيي المسرحية اعتقد بأن صاحبيها من العرب اللبنانيين او المغاربة ، الواحد منها هو « نسيم ابي طبول Nessim Abitbol » وهو المراقب العام في المسرح ، ثم هنـــاك « منيرة Monireh » احدى فتيات الكورس .

كما ولا يفوتنا ان نشير هنا الى كثرة الفنيين من اليونان الذين تعـــاونوا مع كاكويانيس ــ اليوناني ايضاً ــ في رائعته الجديدة المسماة «الطروادیات Les Troyennes » .

فـــنون

- معرض الفن الاسباني المعاصر
- معرض فن الحفر الامريكي
- معرض التصوير السوري المعاصر بموسكو

تقديم غازي الخالدي

معرض الفن الاسباني المعاصر

دمشق : (المتحف الوطني)

ان اهم مشكلة يطرحها الفنانون الاسبان في معرضهم هذا هو كيف يمكن ان نوفق بين الفن المعاصر بمفهومه الجديد وبين التقاليد والحضارة الاسبانية العريقة !

وقد قدم هؤلاء مجموعة تجارب ومحاولات فيها الكثير من الجرأة والتجديد سواء من الناحية التقنية البحتة او من ناحيـــة طرق الموضوعات العامة ، ولقد استطاعوا بلا شك من خلال هذه الجرأة ان يجدوا نوعاً من التوازن بين العصر الذي يعيشون فيه وبين الحضارة والتقاليد المتأصلة في نفوسهم ونفوس اجدادهم .

ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في النقاط التالية :

أولا : ان الانسان عنصر هام واساسي في جميع اللوحات المعروضة . والانسان هنا لايقصد به الشكل الانساني الفرد ولكن المقصود هنا كل مايتعلق بالانسان من حيث هو فكرة مطلقة : الانسان في حياته اليومية ، الانسان في آثاره ، الانســـان في شخصية مصارع الثيران ، الانسان من خلال نفاياته واقذاره بحيث تدل بمجموعها على التأكيد على اهميته من حيث هو عنصر تشكيلي اساسي في الفن الاسباني المعاصر .

ثانياً : علاقة هذا الانسان بما حوله : بالبيئة التي يعيشها ، بالظروف الاجتماعيـــة والحضارية التي تحيط به ، بالبطولات الفردية التي تتمثل في صراعه مع الموت امام الثور الهائج ، بالرموز الصغيرة التي تدل عليه من خلال حياته كلها .

ثالثاً : حتى اللوحات التجريدية البحتة اخذت من وحي الانسان الاسباني وعبر عنها الفنان باللون وبالمســاحة وبالتكنيك الذي الذي انفرد به ، وجاءت تسمية اللوحات التجريدية من خلال هذا المنطق المرتبط بالواقع.

رابعاً : الناحية التقنية ، فقد جنح معظم الفنانين الاسبان في هذا المعرض الى الاغراق في استخدام جميع وسائل التعبير . كالتعبير عن إرادة الانسان في مواجهة الموت ، بالدم الذي ينزف منـــه في حلبة مصارعة الثـــيران او في استعمال الرمل والحصى للتأكيد على اهمية المساحة وغناها . أو في اللمسات السريعة العريضة التي نفذت بمنتهى الجرأة والعنف حتى لتبدو وكأن الفنان كان يرسمها في لحظة لاوعي ، لحظة ارتفاع اللاشعور لدرجة قصوى تصل به الى المطلق في تحديد مفهوم الاحساس .

ونحن عندما نحاول دراسة لوحات هؤلاء الفنانين لابد ان نكتشف الخط الاساسي الذي يربط جميع هذه الاعمال ، بحيث تصنف ببساطة تحت اسم المدرسة الاسبانية الحديثة ، رغم تعدد الاساليب ، وتعدد الموضوعات وتعدد وسائل التعبير .



علية — للفنان الاسباني بلاردوني

Blardony . « Mansarde »



موت دصارع الثيران — الفنان الاسباني غيفارا

Goevara . « Mort du Tore o »

وتجربة مثل هذه التجربة تفسح لنا مجالاً كبيراً للتأمل وللاستفادة من هذه الخبرات التي وحدتها مفاهيم متقاربة ورؤى متشابهة .

ان الفنان الاسباني في هذا المعرض اكد بلا شك ارتباطه بأرضه وبشعبه وبإنسانه ، وبحضارته العريقة .

ان روح غويا وبيكاسو ودالي وميرو تطل بوضوح من خلال اعمال هؤلاء العارضين ، وأن روح الشرق التي عاشت في قلب الاندلس تعود من جديد لتظهر باسلوب حديث ، وبتقنية جديدة .

وهذا لايعني بالطبع ان الفنانين الاسبان لم يتأثروا بالمدارس الغربية ، ابداً ، فأعمال ماركو تدل بلا شك على التـأثر بالمدرسة الفرنسية الانطباعية الا انه طورها باسلوبه الخاص وجعل منها شيئاً خاصاً به . ولوحات اسكوريال الوحشية ايضاً تأثر بها من بعض الفنانين الوحشيين في فرنسا الا انه اطلق لنفسه الحرية الكاملة في تنـاول ومعالجة الموضوعات حتى ليخيل الينا انه يرسمها وهو مخمور أو يرسمها وهو في حالة غير عادية من الثورة على كل شيء .. والسخرية بكل شيء .



الافتراء

الفنان الاسباني غارسيا اوشوا

Garcia Ochoa . « La calomnie »

اما رسام القامات بلاردوني فانه اكد ان الجمال ليس مقصوراً على وجوه الفتيات الجميلات او على الأزهار والرياحين، انما الجمال هو في كل شيء اذا عرفت كيف تنظر اليه وكيف تترجمه الى قيم جمالية ، ان اي شيء يمكن ان ينقلب الى جميل اذا منحته الاهتمام واعطيته من نفسك الاحساس الصادق . . ونظرت اليه بعين جميلة واحساس جميل .

اما الرسام غيفارا فقد حاول ان يثير فينا الاحساس المأساوي الحزين في التعبير عن مجزرة مصارعة الثيران فقد مزج اللون بالورنيش وبالعجينة الزيتية البارزة واستطاع ان يعطينا الاحساس بالمرارة امام الدم القاني الذي يجري بغزارة امام تصفيق الجماهير واعجابهم بالموت!

اما غارسيا اوشوا فقد لجأ الى الكاريكاتير الذي يذكرنا باعمال غويا وتولوز لوتريك ، وطرق مواضيع اجتماعية مألوفة في الحياة الاسبانية ساخراً بجو القصور العفن الذي يعشعش بالفسق وبالنفاق وبالنميمة باسلوب جريء عمد فيه الى تشويه النسب وحدة الالوان وتضادها .

اما دي باباو فقد رسم لوحاته وكأنه يتكلم في لحظة غضب ، فكل اشكاله اشباح ثائرة وخطوط سريعة انفعالية وبلون واحد فقط .

ويقف داناس حلاً وسطاً بين جميع هؤلاء اذ يحاول ان يعود الى الاشكال الانسانية بالوان قاتمة وذات هارموني متكامل بين الاخضر والاحمر والازرق والبنفسجي . وعلى اعماله طابع الحزن الواضح .



الرسائل — للفنانة الاسبانية كارمن لافون

Carmenlaffon , « Les lettres »

ما في فن الحفر فقد عمد رأمون فران الى الاستفادة من الداقتيل ، وطبع منه عدة اعمال طريفة وذات طابع زخرفي جميل ، اما خوان بارفولا فقد اعتمد على الحبر الصيني عالجه باسلوب التصوير الزيتي بالفرشاة العريضة .

وفي النحت قدمت مجموعة اعمال تعتمد على الحركة والفراغ ولكنها لم تكن بمستوى التصوير حتما . ان جميع الاعمال المعروضة انحصرت ضمن خطين واضحين الاول التعبيري الوحشي والثاني الخط الواقعي الهادىء الحزين اما اللوحات التجريدية فهي قليلة ولا تخرج عن الجو الاسباني العام وهي اقل مستوى من الاعمال التشخيصية .

معرض فن الحفر الامريكي

المعرض بجميع الاعمال المعروضة فيه يوضح الى أي مدى يمكن للفنان من خلال فن الحفر والطباعة ذات الراسم اليدوي ، ان يستغل هذه الامكانات والاساليب التقنية لخدمة التعبير .

ان الواضح في بعض اعمال المشتركين في هذا المعرض ان هناك ردة الى المواضيع الحالمة ذات الصفة الرومانسية والانسانية الجميلة ، التي تنقل الانسان مباشرة من واقع الحياة المادية الآلية الى آفاق اسطورية ذات احساس شاعري رقيق .

ويمكن اعتبار هذا التغير عائداً الى طبيعة الفنان ، فهي طبيعة ذات صفة ثورية ترفض القيود الحضارية المصطنعة وتتمرد على كل مفهوم مادي او آلي .

والمعرض على هذا الاساس يمكن النظر اليه من زاويتين : الاولى : التشخيصيون والمرتبطون بمواضيع ذا علاقة بالطبيعة ، الثانية : التجريديون .

اما الفريق الاول فمنهم (واين) صاحب لوحة آدم وحواء) ، وهي لوحة قد تبدو لوهلة الاولى مجرد لوحة زخرفية نفذت بمهارة تقنية فائقة عن طريق الحفر ، لكن الواقع انها لوحة جيدة وجديرة بالدراسة ؛ استطاع الفنان ان يشكل ازدواجية خاصة بين الشكل والمضمون من خلال شكلين متشابهين فقد ركب من مجموعة اوراق الاشجار التي تحيط بادم وحواء نسيجاً كاملا لجميع اجزاء اللوحة حتى جسمي آدم وحواء رسمها من ورق الشجرة ، والازدواجية هنا في الاحساس العام الذي اعطته هذه الاوراق وفي طريقة رصفها المنظم ، فقد عبرت بمجموعها عن جلد الافعى ، الافعى التي ترافق دائماً آدم وحواء .

ولم يرسم افعى بالشكل التقليدي المعروف لها . وحاول من خلال الظلال التي ترميها الورقة على الاخرى ان يحدد ملامح آدم وحواء .

ولوحة الرحل لـ (كراغ) ذات طابع خاص جداً استعمل فيها الالوان البنية المؤكسدة مع الضغط بالمكبس بحيث تبدو وكأنها حفر

قـــديم على الخشب مثل صناعة العجمي في فنوننا الدمشقية .

واستعمل أيضاً الذهب لتغطية مساحة هامة من التكوين . واللوحـــة تصور جواً أسطورياً من حياة الاسماك والاحياء المائية..! تميل الى السيريالية في طريقة التعبير عن جزئيات السمكة .

هي بالفعل من اللوحـــات المتميزة بطابعها الشخصي الذي يدل على تجربة وخبرة تقنية واسعة بالاضافة الى الاحساس السيريالي في اجزائها .

ولوحة (ومرت العاصفة) لـ (كاساريلا) تمثل لحظة عصبية في تصيد موقف من مواقف الطبيعة الغضبى وقد جاءت اللمسات المحورة منسجمة مع هذا الانفعال المتوتر . الا ان التكنيك عادي .

وهناك لوحات جيدة ذات احساس كبير تؤكد فهم الفنانين لامكانية المساحة واستعمال الابيض والاسود الى ابعد حد لخدمة التعبير. مثل لوحـــة « منظر في ضوء القمر » ولوحة إيفا .

اما اللوحات التجريدية: فقد قدم الفنانون تجارب عديدة اقتربت الى حد كبير من مفهوم التصوير اكثر من اقترابها من مفهوم الحفر وخاصة لوحة «التحليق عالياً» لـ (سميث) ولوحة دورة الفلك لـ (ازوما) وفيها تركيب لوني مضاعف ، ولوحـــة « مخلوقات مشوهة » لـ (ماكنايت) تنقلنا الى احساس لوني متعدد الجوانب .

وهناك بالطبع بعض اللوحات منفـــذة باسلوب فن الاعلان مثل لوحة جنكيز خان! ولوحة بلا عنوان لـ (انتريسباك). وصورة زهرة لـ (فوربسبرغ) .



ومرت العاصفة الفنان الامريكي كاساريلا



شخصية اسطورية — الفنان الامريكي ميكر

معوض التصوير السوري المعاصر

(موسكو)

يقام في موسكو معرض خاص لفن التصوير السوري المعاصر ، وقد اختيرت الاعمال المعروضة من بعض المقتنيات الموجودة لدى وزارة الثقافة بدمشق ، ومن أحدث الاعمال للرسامين السوريين المعاصرين .

ولا شك ان العامل الأساسي الذي تم عند اختيار اللوحات هو مراعاة فكرة التزام المعرض بالفن المرتبط بالواقع .. لذلك استبعدت كثير من الاعمـــال التجريدية واللاتشخيصية .

والمعرض من حيث هو فكرة خير وسيلة للتعريف بفننا لدى الدول الكبرى ، خاصة وان بوادر نهضة فنية حقيقية بدأت تتم إعلامها في بلادنا لتشكل بمجموعها طابعاً خاصاً بالفن العربي السوري .

الا ان المعرض يجب ان يعبر عن جميع الاتجاهات الفنية المعاصرة في بلدنا ، بصرف النظر عن البلاد التي سيعرض بها .

رد على رد

عنـدما زرت معرض مركز الفنون التشكيلية بدمشق قلت للزميـــل طارق الشريف اقترح عليك إقامة ندوة لهذا المعرض يشترك فيها أساتذة المركز والطلاب وبعض النقاد . وقصدت من هذا ان نصل معاً الى حلول واضحة تكشف بالضبط خطورة المناهج والاساليب المتبعة في هذه المراكز ، وتوضيح الفرق بين الفنان وبين الطالب الذي يتعلم الفن !

وحرصت في كتابتي عن المعرض ان اكون قريباً من واقع المركز الى حد كبير وصريحاً مع الطلاب الى ابعد الحدود .. ولم اتصور ان يصل الموضوع بالزميل طارق الى ان يحوله الى قضايا جانبية ، وان يقع في تناقض واضح حيث تحدث عن زيارة احد الفنانين الاجانب له، الذي استغرب ان يدرس في المركز الاسلوب الواقعي . بينما يقول الزميل طارق في مكان آخر : « نحن لا يمكن ان نتقيد بالاساليب الاكاديمية القاسية .. فنحن مركز حر للهواة ! » ومن المعروف عن الاكاديمية انها تعتمد على الواقع كمنطلق تعليمي . فكيف يفخر امام الضيف بانه يعتمد على الواقع في تدريس الفن ، وبنفس الوقت يتنصل من هذه الواقعيـــة ومن التعاليم الاكاديمية في مكان آخر . اعتقد ان الموضوع لابد من طرحه بشكل اوسع وفي مجال غير هذا . لأن تعليم الفن شيء والعمل الفني شيء آخر ، وهذا أمر ألفت نظر الزميل طارق اليه ، اذ ان نقد المعارض الفنية يختلف تماما عن نقد اعمال الطلاب التعليمية في مركز الفنون .

مطبوعات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي

التي تقوم بتوزيعها دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

قصة الارض في سورية	لمنير الشريف
المحكم في نقط المصاحف	لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني تحقيق الدكتور عزة حسن
برنامج شيوخ الرعيني	لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الاشبيلي تحقيق ابراهيم شبوح
ديوان ابن مقبل	تحقيق الدكتور عزة حسن
مقدمة في النحو	لخلف الاحمر تحقيق عز الدين التنوخي
تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب	لابن الفوطي تحقيق الدكتور مصطفى جواد (الجزء الرابع الأقسام ١-٢-٣)
إعلام الورى بن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى	لمحمد بن طولون الصالحي الدمشقي تحقيق محمد احمد الدهمان
الأزمنة والانواء	لابن الاجدابي تحقيق الدكتور عزة حسن
قصة الجلاء عن سورية	
روضة الورد	لسعدي الشيرازي ترجمة محمد الفراتي
روائع من الشعر الفارسي	لسعدي الشيرازي ترجمة محمد الفراتي
دورة الربيع	لسعدي الشيرازي ترجمة محمد الفراتي
محافظة السويداء	لشبلي العيسمي وحمود الشوفي وداوود نمر
تاريخ المعرة	(جزءان) لسليم الجندي تحقيق عمر رضا كحالة

محافظة حماه	لمؤيد الكيلاني
حكاية جوقة التماثيل	لسعد الله ونوس
تحت سماء الاندلس	لزكي قنصل
الفن والأدب	للويس هورتيك
	ترجمة الدكتور بدر الدين القاسم الرفاعي
أحاديث العشيات	للدكتور عبد السلام العجيلي
اتجاهات الفنون التشكيلية	لعفيف بهنسي
فن العرائس وتحريكها	لبوجو كوكوليا ترجمة نجاة قصاب حسن
الفولكلور الغنائي عند العرب	لنسيب الاختيار
محاضرات الموسم الثقافي	(الاجزاء ٤ - ٥ - ٦ - ٧)
الشمس الغاربة	لأسامو دازاي ترجمة فائز بشور
قال الراوي	لالياس فرحات
زهرة النار	لعبد الكريم الناعم
الموقع الستراتيجي العربي	لهيثم الكيلاني
شرح ديوان عروة بن الورد	تحقيق عبد المعين الملوحي
الاشتراكية في البلدان المتخلفة	لمحمد الجندي
مسرحية الحياة حلم	لكالدرون ترجمة نجاة قصاب حسن
اللاميتان	للشنفري والطغرائي
الأسطورة اليونانية	لفؤاد جرجي بربارة
حبات زمرد	لشفيق المعلوف
مسرحية البقة	لفلاديمير ماياكوفسكي ترجمة عماد حاتم
مئة قصيدة من روائع الشعر الحديث	ترجمة سليمان العيسى وناديا الياس
مسرحية سيدة الفجر	لاليخاندرو كاسونا ترجمة علي الاشقر



الفنان : بدر الدين مولوي   زهور

الفنان

- بدر الدين مولوي
- مهندس ديكور درس الفن في المانيا .

اللوحة

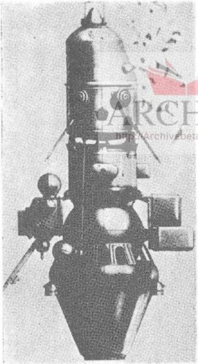
اسلوبه تجريدي ، أشكاله غــير محددة ، الوانه صريحة وذات احساس تلقائي يمارس تقنية خاصة في معالجة الملمس العام لسطح اللوحة فتبدو وكأنها مطبوعة على الزجاج .

منجزات العلم

البشرية تقترب

من مرحلة غزو القمر

للباحث الفرنسي شارل نويل مارتان
ترجمة وتلخيص حسين حكيم



منذ اشهر ، طرح احد الادباء الفرنسيين السؤال التالي :

« ماذا لو ضحينا بانسان نرسله الى سطح القمر ؟ ان هذا سيوفر على العلماء سنين طويلة من الجهد وسيقرب البشرية من مرحلة غزو القمر » . واشترك في الرد على هذا السؤال كثير من العلماء والفلاسفة والادباء من مختلف الجنسيات . اما الرأي الذي انتصر فكان الرأي القائل بأن ارسال المركبات الفضائية المزودة بآلات التصوير وأجهزة القياس الحديثة سوف يغنينا عن مثل هذه التضحية.

وهذا هو السيد « شارل نويل مارتان » يكتب لنا عما قدمته المركبات الفضائية الروسية والامريكية الثلاث (« لونا ٩ » و « لونا ١٠ » و«وسورفيير ١») من معلومات وحقائق عن طبيعة ارض القمر ظلت مجهولة مئات من العصور .

– المترجم –
حسين حكيم

منذ القديم ، وحتى اشهر قليلة ، امتلأت مئات الاطنان من الصفحات بما دونته مخيلات الروائيين وتأملات العلماء وحسابات الفلكيين واستنتاجاتهم ، دون ان يؤدي ذلك كله الى تقديم اجابة صحيحة عن سؤال بسيط : « ماهي طبيعة ارض القمر ؟ »

كانت هذه الارض ، عند هؤلاء ، عبارة عن :

— حمم بركانية ورماد بركاني .

— زفت متجمد اصبح اسفنجيا نتيجة لاحتكاكه بالفراغ .

— غبار ناتج عن تفتت النيازك الصخرية وقد تكدس على مر ملايين السنين مكونا طبقة سميكة يغور فيها كل شيء لعدم قدرتها على المقاومة (كما هو الحال في الرمال المتحركة على كوكبنا)

— كتل صخرية مقذوفة ومبعثرة منذ اصطدام القمر بالنيازك الصخرية التي احدثت على ارضه الوف الفوهات .

هذه المعرفة التي تكونت عناصرها خلال اجيال طويلة ، لم تلبث ان تزعزعت وانهارت في اشهر قليلة ، حين نجحت البشرية في غزو القمر بالمركبات الفضائية ، فحلت محلها معرفة واثقة متينة قائمة على الرؤية الواضحة والتحليل العلمي الصحيح . فقد استطاعت لونا ٩ ، بفضل آلتها التصويرية المدهشة ذات الجهاز المرسل الذي يزن ١٠٥ كيلو غراماً ، ان تزود البشرية عامة ، والروس خاصة بستة آلاف من الصور . كما ان سورفيير (١) ارسلت للأمريكان ١١ الف صورة تلفزيونية لمنطقة اخرى من ارض القمر « ولم تنقطع عن البث والارسال الا منذ ايام قليلة » . اما لونا ١٠ الروسية — التي جعلت مدارها حول القمر — فظلت تبث وترسل خلال ٤٦٠ دورة حول القمر مقدمة بذلك للروس ٢١٩ فترة بث و ١٧ الف صورة تلفزيونية .

هذه المركبات الثلاث قدمت للعلماء ادق التفاصيل عن ارض القمر . « من بين الصور التي ارسلتها لونا ٩ صور التقطت على مسافة متر واحد ، مقدمة بهذا تفاصيل عن المليمتر الواحد . » علماً بأن التلسكوبات التي كان العلماء يبنون معرفتهم على ضوئها لم تكن لتميز الاشياء التي تقل عن ٥٠٠ متر »

فاذا حدثنا العلماء ، بعد اليوم ، عن ارض القمر وعما يحيط به ، فانما يتكلمون في ضوء مايشاهدون ويحللون ويقيسون لا في ضوء مايتخيلون ويقدرون ويستنتجون .

اوضاع المركبات

لم يتمكن الروس من تحديد مكان هبوط لونا ٩ على وجه الدقة . غير انهم عرفوا انها هبطت بهدوء في « بحر العواصف » (لايوجد في الواقع ، لابحر ولا عواصف . — غير ان هذه التسمية العريقة في القدم احتفظت بمكانتها حتى الآن .) على حافة فوهة قطرها ١٥ مترا ،

ويكاد عمقها لايتجاوز المتر الواحـــد ، بميل قدره ١٦ درجة . وهذه الفوهة نفسها كائنة في فوهة ثانية اكبر بكثير من الفوهة التي تحتويها . اما آلة التصوير ، فلا تعلو عن ارض القمر اكثر من ٦٠ سنتيمترا ، وافق تصويرها لايتجاوز والحالة هذه ١،٥ كيلومتراً.

صورت هذه المركبة التي حشرت انفها في ارض القمر فسحة من هذه الارض لاتتجاوز الكيلومتر الواحد ، فاستطاعت بذلك اعطاء التفاصيل الدقيقة لحبيبات رملية لاتزيد عن المليمتر الواحد ولفتحات مسامية صغيرة كائنة تحت قاعدتها مباشرة . كما انها ارسلت صورا متعددة لمنظر واحد ، يختلف الميل الشمسي في الصورة الواحدة عن الاخرى ، مما يسمح بقياس ابعاد الاجسام الصغيرة بطريقة اختلاف الظل . . ولعبت الصدفة دورها حين انزلقت كتلة الآلة عشرة سنتمترات ، الامر الذي اعطاها ميلا يتراوح بين ١٦ و ٢٢ درجة . هذا الميل قد اتاح المجال امام رؤية ستيريوسكوبية وخيال مزدوج ، وبالتالي جعل ممكناً قياسات دقيقة جدا .

اما المركبة الامريكية سورفيير ١ فقد جاء وضعها مختلفا ومكملا لوضع لونا ٩ حيث هبطت في قعر فوهة واسعة جدا قطرها ١٠٠ كم وكائنة ايضا في بحر العواصف ، على بعد ٣٠٠ كيلو متر عن رفيقتها الروسية . اما آلة تصويرها فعلى علو مـــترين ، اي ان باستطاعتها ان ترى ابعد بكثير . فقـــد صورت سلسلة الجبال التي تؤلف حافات الفوهة والتي ظهر انها تآكلت بصورة غريبة . وقد سلكت هذه الآلة طريقة فذة في التصوير بحيث اخذت نصف صورها بثلاث مصافي (فلتر) الالوان مختلفة فأمكن بهذا احداث كليشيهات بالالوان .

طبيعة ارض القمر

النتيجة التي امكن استخلاصها من مجموعة هذه المعطيات العلمية المثيرة هي :

= ان ارض القمر صلبة ، واسفنجية ، وخفيفة . (تم هبوط المركبة الامريكية بشيء من الشدة ومع ذلك فلم تنفذ ارجلها الثلاث ، ذات المساحات الكبيرة بعض الشيء ، في ارض القمر ، سوى بضعة سنتمترات) ، ذلك انها تشكلت وتكونت من الحمم البركانية التي تبردت وتجمدت بسبب انعدام الهواء .

= ليس عليها أي أثر للغبار ، خلافاً لاستنتاجات العلماء القديمة . وهناك ظاهرتان تصلحان لاعطاء تفسير عن سبب عدم وجود الغبـــار . الاولى : هي ان الدراسات الجديدة تبينت ان الاشعـــة الكهرطيسيـــة تستطيع النفوذ الى بعض العمـــق في ارض القمر . والثانية ، هي ان قشرة ارض القمر تخسر باستمرار من مادتها لأنها عرضة لتآكل دائم يعمل على صقلها .

= هذه الارض غنيـــة بحجارة مبعثرة مرتكزة على قواعد صغيرة بسبب التآكل الذي وجدت فيه هذه الحجارة .

هذا ، بالاضافة الى تشكيلة من الخطوط الطولانية المحفورة على ارض القمر ، بعرض سنتمتر واحد وطول يتراوح بين العشرين والثلاثين وهي اما متوازية او على شكل نجم.

هذه الحجارة المرتكزة على قواعد ، وهذه التشكيلة المذكورة تدل على ان المواد الموجودة على قشرة ارض القمر هي مكونة من بقايا صخرية تبعثرت منذ سقوط النيازك على مادة مسامية ، من اصل بركاني خضعت لالامساتها وتكيفت بها . وقد ادى سقوط الصخور السماوية الهائلة وارتطامها بأرض القمر ، الى خرق القشرة القمرية وسيلان المادة الداخلية المائعة التي ملأت الفجوات الكبيرة التي احدثتها تلك الصخور ، مادة بازلتية من الصخور النارية ، ذات كثافة ضعيفة . وهي مادة يسهل سحقها وتفتيتها ، لذا أضحت تتكيف وتتآكل بغارات النيازك الكبيرة والصغيرة المتساقطة بسرعات تزيد على ٢,٥ كم بالثانية – سرعة تحرير الجاذبية القمرية – ومن هنا جاء التآكل الاولي .

وانعدام الجو هو المسؤول عن البناء الحبيبي لشكل ارض القمر ، ذلك ان المادة المائعة التي تجمدت كانت عرضة للسعات قوية بالنيازك الصغيرة جداً المتساقطة باستمرار على شكل مطر (تتلقى أرضنا منه يومياً ألوف الاطنان) ولكن ، عوضاً عن ان تتكدس هذه النيازك الصغيرة ، كما كان يظهر حتى الان ، يقذف قسم منها الى الفضاء فيؤسر في جاذبية الارض ، وقسم آخر يؤسر بجاذبية القمر فيتخذ مداره حوله . وهذا يفسر وجود منطقة حزامية دائرية ، حول القمر ، غنية جداً بالغبار النيزكي الذي كشفت عنه لونا (١٠) .

وقد مكنت لونا (٩) الروس من دراسة التشكيلات الفريدة للحجارة والحصى على قشرة ارض القمر ، فأطلقوا على هذه التشكيلات اسم (لاوتكي) .

الاشعاع الذاتي والريح الشمسية

من المستغرب ان لونا (٩) لم تسجل سوى اشعاع ضعيف نسبياً . وهذا الاشعاع هو مماثل تماماً لاشعاع الصخور البازلتية السوداء والتي هي اقوى من اشعاع التربة الرخوة ، الا انه لا يشكل اي خطر على الانسان . بينما سجلت لونا (١٠) اشعاعاً اجماليا صادراً عن ارض القمر اعلى بعشر مرات الى عشرين مرة من الاشعاع الاعتيادي على كوكبنا . ولا شك بأن مدلول لونا (١٠) هو الاصح والذي يجب اخذه بعين الاعتبار .

بالاضافة الى وجود « الريح الشمسية » والكترونات الذنب المغنطيسي للارض (ارضنا) ؛ فقد اكتشف العلماء تيار البروتونات الشمسية واصبحوا حالياً يعرفونه بفضل القياسات المختلفة التي اجروها. ويبدو ان هذا التيار هو الذي يملأ وعاء الجزئيات التي يلتقطها قفص الارض المغناطيسي المعروف

بأحزمة (فان آلن) . هذه الريح – من الجزئيات الذرية النافذة – يحتمل ان تعود بالاصل الى التآكل الثانوي الدائم المشاهد على سطح القمر وربما كان هو ايضا المسؤول عن عدم وجود الغبار .

ولكن من أين تأتي هذه الجزئيات ؟ هل وصلت من الشمس منذ حدوث الثوران الشمسي ، أم هي ، جزئيا ، محبوسة في الحقل المغناطيسي القمري ؟ مايزال هذا موضع دراسات وجدل لأن (مانيتومتر) لونا ١٠ قد سجل ، في تحوله ، بين ٣٠٠ و ١٠٠٠ كم حقلاً مغناطيسياً ضعيفاً جداً ، لكنه دائم . وهو محدد بين ١٥–٢٠ غاما ، بينما يساوي على سطح ارضنا ٥٠ الف غاما ، اما في الفضاء فيساوي ٥ غاما فقط. «اما الريح الشمسية» فتطرد الجزئيات السلبية على شكل امتداد يطلق عليه اسم (ذنب الأرض). وفي كل مرة يجتاز القمر هذا الذنب كانت تتأثر اجهزة لونا ١٠ بشدة وعلى الأخص المانيتومتر، وتكشف العدادات عن شدة عظيمة للإلكترونات ذات الطاقة الكبيرة .

النتيجة : هذه المعطيات العلمية الجديدة تبين لنا بأن ارض القمر تنفرد بصفات وخصائص متميزة ومختلفـــة عن صفات وخصائص ارض كوكبنا . ونستخلص ، انطلاقاً من هذه المعرفة الحديثة بأن الانسان الذي يعد نفسه لغزو القمر سيتمكن من الهبوط بمركبته الفضائية على ارض القمر الصلبة بسهولة الا انه سوف يلاقي مشقة كبيرة في سيره على سطح هذه الارض وستكون بذته القمرية عرضة للتمزق في كل لحظة بسبب النهايات الحادة والقاطعة التي تتميز بهـــا الحجارة والقشرة القمرية . وهذه الصعوبة ، تكاد لاتذكر الى جانب خطر الاشعاع الذي هو اقوى بكثير من الإشعاع الذي يتعرض له في ارضنا .

خلاصة القول : هذه المعرفة هي السبيل الأكيد لتذليل كل صعوبة والتغلب على كل خطر . اما الخطر الذي لايمكن قهره فليس له وجود الا في عالم المجهول .



● اي طريق يؤدي الى افريقيا؟

Which way Africa

تأليف : باسيل دايفيدسون

● ثورة الفلاحين في جنوبي افريقيا

The Peasants' Revolt : South Africa

تأليف : غوفان مبيكي

مراجعة وتلخيص الكاتب الصومالي الدكتور ج. فياني

الترجمة عن الانكليزية : محمد اسامة القوتلي

اي طريق يؤدي الى افريقيا :

Which way Africa

هذا الكتاب مادة مطلوبة تضاف الى الأدب النامي الذي يتناول القضايا الافريقيـــة . كاتبه مؤلف من الغرب واسع الاطلاع على القضايا الافريقية ، والكتـاب يضم ثروة من المعلومات والوقائع حول الظروف الافريقيـــة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وهو يغطي مجالاً واسعاً من المواضيع من العصور المتوسطة حتى الزمن الحاضر . ولا يدع شيئاً من أفكار ومعتقدات وأساطير ودوافع ومثـــل أفريقيا المعاصرة .

والمؤلف باسيل ديفيدسون،معروف جيداً في الحلقات الافريقية من حيث هو كاتب وصحافي . فقد ألف عدداً من الكتب عن افريقيا ومنها « اليقظة الافريقية » و « تقرير عن افريقيـــا

الجنوبية » و « الماضي الافريقي » . ان احدى قصصه الطويلة المسماة «التيارات» تقدم رأياً صادقاً عن ظهور القومية الافريقية في بلد مثل أنغولا .

وعلى الرغم من ان **أي طريق يؤدي الى افريقيا** تحليل واضح للقضية الافريقية ومفهوم الى حد كبير كتبه بحاثة بريطاني يبدو أنه يعرف افريقيا معرفة جيدة جداً ، الا ان نقطة الضعف فيه تكمن في محاولة الكاتب تغطية مجال بهذا الاتساع ، اذ قد ترك دون أجوبة قضايا كثيرة ، هذا الى ان معالجة عدد من المواضيع فيه يبدو غير متساو بعض الشيء .

على سبيل المثال ، بحثه في الاشتراكية ، فالسيد ديفيدسون ينقل عن الرئيس نيريره نقلا واسعاً وكلياً تقريباً وتبدو اشتراكية تجانيقا (تانزانيا الآن) للمؤلف كممثلة للانواع الاخرى من الاشتراكية في افريقيا ، وهذا في الحقيقة بعيد عن الصواب ، فالاشتراكيات الافريقية مختلفة ومتباينة .

وهكذا ينظر الى الكتاب على اساس الموضوع لا في المجال الذي يغطيه . ففي ثلاثة من الفصول « التأثير الاجنبي » و « عثرات » و « اي طريق يؤدي الى افريقيا ؟ » يقدم السيد ديفيدسون الى القارىء تحليلا عن المسائل الافريقية جديراً بالاعجاب . وفضلا عن ذلك فهو جيد من الناحية الوثائقية والموضوعية .

وباسلوب سهل واضح يعالج السيد ديفيدسون التغيرات التي حدثت في شتى انحاء افريقيا ، والمجتمعات الجديدة التي بدأت تظهر في بعض الدول ، وضغط السيطرة الاجنبية ، وينتقل الى اظهار المدى الذي تقود اليه خيوط الجدل والعمل الرئيسية والى اين تنتشر .

اولئك المهتمون بالقضايا الافريقية سيجدون هذا الكتاب مليئاً بالمعلومات ومفيداً وشيقاً .

ثورة الفلاحين في جنوبي افريقيا :

The Peasants'Revolt : South Africa

في كتاب « ثورة الفلاحين » يقص السيد غوفان ميكي وهو واحد من أبرز زعماء جنوب افريقيا ، قصة التمييز العنصري في جنوب افريقيا مع الاشارة الخاصة الى احياء ترانسكي الفقيرة المكتظة التي تجري فيها التجربة الاولى لمشروع الدكتور فيروورد المسمى (بانتوستان) ان انتقاد العالم اجمع لدعاة التميز العنصري ولرغبة المستوطنين في تأخير تفجر القومية الافريقية ، أدى بحكومة المستوطنين الاورويين برئاسة الدكتور فيروورد * رغبة منها في الحد من النقد العالمي — الى انشاء بانتوستانات وهي مساحات يُفترض ان يحكمها الافريقيون انفسهم في جنوب افريقيا .

ان جنوبي افريقيا كما يريدها الدكتور فيروورد : جنوب افريقيا للاوروبيين وجنوب افريقيا للافريقيين ، قد اعطى الاولى ٤١٦،١٣٠ ميل مربع والثانية الـ ٥٦،٠٠٠ ميل مربع المتبقية رغما عن ان الافريقيين في الواقع أربعة أمثال الاوربيين .

ويقرر السيد ميكي ان القسم الاوربي مساحة من الارض شاسعة غير منفصلة عما يجاورها تضم فيها عمليا الموارد الطبيعية كافة ويؤمن لها التطور المتقدم عمل الافريقيين الجنوبيين جميعا ومهاراتهم تلك المقاطعة تشمل جميع المدن الكبيرة والمواني البحرية والمرافىء المائية والموانيء الجوية ، وتوفر لاراضيها الخطوط الحديدية والطرق الرئيسية وخطوط الطاقة الكهربائية ومشاريع الري خدمات ممتازة وفيها مناجم ضخمة غنية بالذهب والماس والفحم . وهي تشمل الصناعات الرئيسية كافة التي تقوم بصورة واسعة على عمل الافريقيين . انها تجمع فيها افضل المزارع واخصبها .

بينما تتألف مستوطنات البانتو من ٢٦٠ رقعة ارض صغيرة موزعة في ارجاء البلاد « انها مستنقعات جنوب افريقيا

(*) وقد قتله مؤخراً ، شاب يوناني .

واحياؤها الفقيرة البدائية وتربتها المتآكلة غير الصالحة التي تعوزها مصادر الطاقة والتي تفتقر الى شبكات المواصلات. ليس فيها مدن ولا صناعات وهي ذات مصادر قليلة يمكن استخدامها.

انها مساحات مكتظة تعاني من الفاقة دوماً ؛ حيث يحيا السكان على شفا هاوية الجوع وحيث يؤدي الجفاف الى المجاعة، كما حدث مؤخراً في المناطق الشمالية.

انها مناطق محرومة من رجالها وما صادراتهم الرئيسية سوى عملهم «وفي حين يعمل الرجال في المناجم والصناعة وفي مزارع يملكها البيض تمارس نساؤهم وشيوخهم زراعة بدائية لاتكاد تقوم بالأود».

هذا وصف عميق وتقرير شديد الانتقاد لما فعلته التفرقة العنصرية ولدور زعماء القبائل في الترانسكي، وهو تقييم جيد للنظام المصطنع في الترانسكي الذي يرأسه رئيس الوزراء والزعيم قيصر ماتنزيما، وتحليل لتاريخ نضال الفلاحين ولدروس ذاك النضال.

يؤكد السيد ميبكي قضيته بالحقائق والارقام من اول الكتاب الى آخره. ومما يثير الدهشة ان الكتاب بالحقائق والوقائع والارقام والتعليقات، بالرغم من انه قد كتب برمته تقريباً دون الاستعانة بمذكرات او مراجع، على ماتيسر للمؤلف من ورق حين كان سجيناً ينتظر المحاكمة بتهمة صنع المتفجرات.

والسيد غوفان ميبكي مجاز في السياسة والدراسات الاجتماعية. وهو شديد التمرس بقضايا بلاده الاقتصادية والسياسية.

ان ثورة الفلاحين السافرة التي نجمت عن مقاومتهم لحكم الزعماء التابعين لنظام حكم الدكتور فيرووورد والكفاح السياسي للشعب والكيفية التي يعيش الافريقيون فيها وعملهم في ظل التفرقة العنصرية، كل ذلك يصفه هذا البحاثة والراعي والاستاذ والسياسي من الترانسكي.

هذا الكتاب جدير باهتمام جميع

المعنيين بالنواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية لجنوب افريقيا بل والمهتمين بدراسة نظام الزعامة حيث هو نظام من انظمة افريقيا المعاصرة ،

ان السيد غوفان يبلغ الخامسة والخمسين من العمر ، وهو يمضي في السجن حكماً لمدى الحياة بسبب نشاطه السياسي ضد التفرقة العنصرية مع مواطنيه مانديلا وسيسولو وستة آخرين .

•



القيم الاخلاقية في الشيخ والبحر

عرض وتحليل : محمد طلال حجازي
— اربد الاردن

« انا متأكد ان همنغواي في كثير من النواحي ادق وانبه كاتب في عصرنا» هـذا مايقوله جون شتاينبك الكاتب المشهور عن همنغواي ، واما همنغواي فيقول عن نفسه « اني أدون ما أراه وما اشعر به بأسهل الطرق التي استطيع فيها سرد تلك الامور ، فمهمة الاديب ان يقول الحق » . وهذان القولان همـا المفتاح لكل قصص ارنست همنغواي والذي نلخصه في كلمتين :الصدق والبساطة . فكان من الطبيعي ، وهـذا مايؤمن به همنغواي ، ان يصور لنا مايراه ومايحس به فقط ، فهو لايعرف الا مايراه ولا يكتب عن شيء لايعرفه . ولذلك دارت كل مؤلفاته حول مواضيع استمدها من تجاربه العلمية ومشاهداته الملموسـة ، وجوانب معينة من الحياة عاشها هو نفسه ، كالحرب وصيد الحيوانات والاسماك ومصارعة الثيران وتجارب الموت المختلفة ، ومن خلال هذه التجارب العملية طلع همنغواي بفلسفته على العالم بان الحياة والموت توأمان لاينفصلان أبدا ، فالحياة التي يؤمن بها همنغواي هي صراع مميت ضد قوة جبارة عاتية يخوضها الانسان الاعزل بكل قواه ، ونتيجة هذا الصراع معروفة « فالفائز لاينال شيئاً »، والموت قدر الانسان المحتم . لذلك كانت قصصه ورواياته تصويراً لمعركة الانسان ضد الموت ، والتي غالباً ماينتصر فيها الموت على الانسان . وبرأيه ان القاص الذي يخفي

هذه النهاية عن الناس ليس بقاص اطلاقاً. فهو يقول : « مهما تطل القصص فلا بد وان تنتهي بالموت » . وموت الانسان لايعني القضاء على انسانيته، فالانسان يزول لكن العالم لايفنى، والانسان «يقهر ولكنه لايتحطم» وموته هادىء دون اي عنف او صخب، يذهب اليه البطل كما يخلد الانسان للنوم .

هذه برأيي ليست نظرة تشاؤمية نحو الحياة ، فالتشاؤمية تقترن بالانهزامية، وابطال همنغواي ابعد مايكونون عن الانهزامية ... انها برأيي نظرة عملية صائبة نحو الحيـــاة، فالموت قدر حتمي للجميع، والذي يؤكد انسانية الانسان في هذا الكون هو ذلك الاسلوب الذي نختاره لنعيش هذه الحياة ، فمعركتنا خاسرة ولكن يجب ان لايصيبنا اليأس او الاستسلام حتى ولو كنا نعرف مسبقاً اننا سائرون الى الدمار ... لهذا كله نجد نوعين من الشخصيات في قصص همنغواي: الانهزاميون كبابلو وهنري، والايجابيون كانسلموا وسنتياغو .

هذه مقدمة لابد منها عند الحديث عن اي بطل من ابطال همنغواي. فخلال فترة الثلاثين عاماً خلق همنغواي عدداً من الشخصيات التي تميزت بالرجولة والصمود والاستخفاف بالموت ، ولعل أكمل هذه الشخصيات وادعاها الى الاحترام واقربها الى قلب همنغواي والصقها بفلسفته في الحياة هي شخصية ستياغو بطل الشيخ والبحر .

والشيخ والبحر قصة تتميز ببساطتها وخلوها من التعقيد او « العقد الثانوية » Sub - Plot ، وهي مثال لقصة عجوز عادي بسيط يعيش حياة طبيعية خاليـــة من تعقيد المدن. هذا الكوبي البسيط كان يصيد السمك في الخليج وكان قد قضى في البحر اربعة وثمانين يوماً دون الفوز بأي صيد ثمين . ويفارقه النحس في اليوم الخامس والثمانين ويصيد سمكة كبيرة من نوع المارلين بعد صراع مستميت

يدوم ثلاثة ايام بلياليها وفي طريق عودته الى هافانا تهاجمه اسماك القرش فيدافع عن صيده حتى آخر حربة بيده ، ولكن دون فائدة اذ تقضي على صيده الثمين فلا تبقي الا هيكلها ورأسها وذيلها الشامخ كالسارية .

لقد عاش هذا الشيخ عمره فقيراً ، ليس له اية اهمية اجتماعية وقصته ليس لها اية علاقة بالمجتمع البشري . ولكن ماهي قيمة هذا الشيخ الاخلاقية وما هي اهمية هذه القصة بالنسبة للانسانية بشكل عام ؟

القيمة الاولى هي الرجولة والصمود ، فالقصة كلها تدور حول ارادة سنتياغو في المقاومة وفي الاستمرار في القتال . وعزيمته — كما يقول هو نفسه — « صادقة » ، فرغم ان الألم ينهش جسمه الواهن فهو لا يستسلم او يتراجع لأن الالم « ليس مما يبالي له الرجال » . انه يخوض معركة خاسرة لا محالة . ونحن نشعر بذلك منذ اللحظة الاولى التي يصيد فيها السمكة ، ويخسر الشيخ المعركة ولكن خسرانه لا ينقص من قيمته شيئاً ، بل يرتفع في نظرنا وينال اعجابنا وتقديرنا لأنه في الحقيقة لا يخسر شيئاً بل يحوز على النصر المعنوي الكبير ، فقد حقق ارادته في صيد السمكة رغم قوة الطبيعة الجبارة .. وحقق ارادته في جر السمكة حتى الشاطىء . هذا ماابتغاه الشيخ العجوز وهو ان يثبت وجوده في هذا الصراع .

الشيخ برأيي لم يهدف الى صيد السمكة لقيمتها المادية ، ولكن الأهم من هذا انه كان يسعى الى تحقيق ارادته في الصمود وعدم الاستسلام . لقد خسر الشيخ معركته مع الطبيعة ومع القدر وهذا كان يدركه مسبقا ، ولكنه انتصر على اشياء كثيرة .. انتصر على الاستسلام وانتصر على الانهزامية وسار على الطريق التي رسمها لنفسه رغم مخاطرها واهوالها . اننا نحس بأن الشيخ لابد وان يعاود الكرة ويخرج الى البحر ٨٤ يوماً اخرى ليصيد سمكة اكبر لو فسح له همنغواي المجال .. ولن يثني عزمه شيء بل سيأخذ

حراباً امضي ومؤونة تكفي لأيام اكثر.

ان رواقية Stoicism الشيخ وتحمله لاينطلق من شعار (اعمل لتتجنب الموت) ولكن من شعار اكثر بطولة وانسانية هو (سأعمل حتى اموت) والذي كتب عنه همنغواي سنة ١٩٣٢ قائلاً (علي ان أثابر بكل طاقتي حتى اموت وآمل ان لاأموت).

لماذا اختار همنغواي عجوزاً ليكون بطلا لقصته ؟.

لقد « اعتاد همنغواي على تصوير نقاط الضعف في الرجال الاقوياء اما الآن فهو يصور القوة المعنوية في شيخ عجوز ضعيف » .. ان اختيار شيخ عجوز بطلا لهذه المأساة يزيد من احترامنا وتقديرنا لهذا البطل ، فلو كان سنتياغو شابا لما حاز كل هذا الاعجاب ، فضعفه الجسدي لايمنعه من الاستمرار في صراعه بل يزيده تصميماً وعناداً وقوة.. اننا لانستطيع الا ان نتعاطف مع الشيخ عندما يردد : « على الانسان ان لايكون وحيدا في هذا العالم » فهو ايضا وحيد في هذا العالم يقاسي مرارة العزلة ويشعر بحاجته للمساعدة فهو يقول: « ليت الصبي كان معي ليساعدني وليرى بام عينه كل هذا » والجملة الاولى في الكتاب تبدأ .. « كان رجلا عجوزاً يصيد السمك وحيدا في تيار الخليج .. » هذان العنصران : العزلة والشيخوخة تزيدان من تقديرنا واعجابنا وعطفنا عليه، كما تؤكدان قيمته الاخلاقية. وبالاضافة الى ذلك هناك قلب الشيخ الكبير المفعم بالحب والحنان لكل ماحوله بما فيها السمكة الكبيرة فيقول « ان الاسماك والنجوم اخواتنا » . ان الاسباب التي تدعونا الى احترام الشيخ هي نفس الاسباب التي تدفع الشيخ الى تمجيد سمك القرش الذي يهاجمه والى ان يعجب بشجاعة سمكة المارلين وينظر اليها باحترام واعجاب فهو يخاطب السمكة قائلاً « انني احبك واحترمك ، ولكن لابد وان اقتلك قبل انقضاء النهار » ، كما يقول

« انني اتمنى ان اطعمها فهي اختي ولكن يجب ان اقتلها .. » وخير مثال لحبه وحنانه حادثته مع العصفور الصغير الذي يقف على مركبه فيسأله : « كم عمرك ؟.. اهذه رحلتك الاولى ؟ لم لا تأخذ لنفسك قسطا من الراحة .. آسف لانني لا استطيع ان آخذك معي ، ولكني مع هذا احس برفقة رفيق »

ولكن حب الشيخ للطبيعة والحيوانات، ليس حبا رومانتيكيا اجوف. فرغم انه يؤمن بالحياة الواحدة وبالاتحاد بين الطبيعة والانسان ، فانه يختلف عن حب شيلي للقبر ، او حب وردزورث للسهول والجبال والجداول ، فحبه ينطلق من انسانيته وواقعيته ، فهو يميز بين الانسان والحيوان ويقول : « ينبغي ان لا افسح لها مجالا لتدرك قوتها وتحسن التصرف عند الهزيمة .. لو كنت السمكة سأخدع صيادي واتراجع لفترة ما .. ولكن شكرا لله فهم ليسوا بذكائنا، مع انهم اكثر نبلا وقدرا ... »

والشيخ يميز بين حيوان وآخر فهو يكره بعض الحيوانات التي تطلق السم المميت كما يقاتل سمك القرش بضراوة ، ويقتل السمكة بحقد ممزوج بسعادة دفينة لا حد لها .

ان شخصية هذا الشيخ قد جبلت على التواضع، فهو يشعر بعجزه عندما يصيح : « يارب ساعدني على التخلص من هذا التشنج في يدي » كما يقر بحاجته الى الصبي فهو يلجأ الى الاستعانة بالشباب وهو يشعر بأن الصبي الصغير قد كان له خير معين كما يعترف بانه بدونه يصبح عاجزاً لا قوة له.

وخير دليل على تواضع ستتياغو ، هو تقديره الكبير لخصمه « العظيم » ، فالانسان المتعجرف لا يقر بعجزه عندما يكون عاجزاً ويبخس قوة خصمه اذا كان قويا. فستتياغو عجوز واهن يعيش معركته وحيدا لا نصير له في هذا العالم سوى شجاعته وصموده وارادته القوية وحبه وحنانه وتواضعه واعترافه بالحقيقة والواقع ، ولا ادري ان كان هناك سلاح اقوى من هذه القيم مجتمعة ، او كان هناك قيم اخلاقية غير هذه تستطيع عبقرية كاتب جمعها في شخصية واحدة ؟

المصادر :

1 - The Writer as Artist by C. Barker .

2 - The Apprenticeship of E. Hemingway by C. Fenton

3 - E. Hemingway , The Man and His Work by . T. Mccaffery .

4 - (Alive in the midst of death) . Soviet Literature № 7.1956 .

(٥) أرنست همنغواي ، لفيليب يونغ ، ترجمة الدكتور محمود السمرة

(٦) الاديب العراقي العدد الرابع ١٩٦١

(٧) تطور الفكر الامريكي في القرن العشرين — لألفريد كازن ترجمة ماهر نسيم .

كتب جديدة

- اللاميتان .. تقديم عبد المعين ملوحي – دمشق
- البقة .. للشاعر السوفييتي مايا كوفسكي
- الحريم وابناء العم .. لجرمين تيّون – باريس
- محاضرات في الجرائم السياسية .. للدكتور محمد الفاضل – دمشق
- شهريار .. للدكتور عمر النص – دمشق
- الموقف العربي .. للدكتور خير الله العصار – حماه
- صرخة .. لعلي صدقي عبد القادر – طرابلس المغرب
- موسم الراعي الحزين .. لمحمود ختام – حلب

اللاميتان :

اصدرت وزارة الثقافة في سلسلة (المطبوعات الشعبية للتراث العربي) كتاب (اللاميتان) في ٨٠ صفحة . قدم فيه مدير التراث القديم عبد المعين الملوحي لامية العرب للشنفرى ولامية العجم للطغرائي واستند في التعليق عليها الى شروح الاديب الخوارزمي ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ .) والمؤرخ الشامي ابو الصفاء صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (٦٩٦– ٧٦٤ هـ .) . وذيل الكتاب بفهارس للأعلام والقبائل والأقوام والبلدان والاماكن والمراجع التي استند اليها في تقديم اللاميتين .

وترد المقدمة على الحجج التي تنكر نسبة لامية العرب الى الشاعر الجاهلي ثابت بن اوس الازدي الملقب بالشنفرى والمتوفى سنة ٥١٠ م وهو من الصعاليك . كما تبين المقدمة ان المؤرخ ياقوت الحموي – المتوفي سنة ٦٢٦ هـ . أي

بعد تأليف لامية الطغرائي بعشرين ومئة سنة، هو اول من سماها بلامية العجم، رغم انه ليس فيها شيء عن العجم، ورغم ان صاحبها عربي وهو الوزير الحسين بن علي بن عبدالصمد المشهور بالطغرائي (٤٥٣ — ٥١٥ هـ .)، فمع انه ولد في اصبهان الا ان اسرته تنتسب الى ابي الاسود الدؤلي . واذا كانت لامية العرب صورة عن الحياة الجاهلية ولامية العجم صورة عن العصر العباسي، قدم الاولى شاعر متشرد صعلوك وقدم الثانية شاعر كان كاتباً ووزيراً، فقد جمعت بينها قسوة الحياة وتناقض المجتمع .

البقة :

اصدرت وزارة الثقافة كتاب (البقة) في ١٠٠ صفحة، وهو مسرحية ساخرة للشاعر السوفييتي فلاديمير ماياكوفسكي (١٨٩٣ — ١٩٣٠)، ترجمها مدرس اللغة الروسية في ثانويات حلب عماد حاتم . وفي المسرحية سخرية من تصور الطبقات الشعبية في المجتمع الروسي اذ ذاك للنظام الاشتراكي الأمثل، وتأكيد على أن العواطف الانسانية الأساسية — كالحب — ستتبدل شروط وجودها لا حقيقتها العميقة . وما تزال المسرحية — منذ صدورها حتى الآن — تمثل في الاتحاد السوفييتي وعلى اشهر مسارح العالم . وتتألف من تسعة مشاهد يشترك فيها عروسان وأبوا العروس وأحد اصحاب المنازل وشرطي واستاذ ومدير حديقة حيوان واطفائيون وشاهدو مراسل صحفي وعمال ومجلس استشارة مدني وخطيب وطلاب ومشرف على حفلة وصيادون واطفال وعجائز .

الحريم وأبناء العم

أصدرت مطبوعات العتبة في باريس Editions du seuil كتاب الحريم وأبناء العم Le harem et les cousins للباحثة الفرنسية جرمين تيّون Germaine Tillion استاذة دراسات أقوام المغرب في المدرسة العملية للدراسات العليا بباريس. يقع الكتاب في ٢١٥ صفحة ويتألف من تسعة فصول . يبدأ بالقاء نظرة على سكان حوض البحر الأبيض المتوسط منذ القدم، ويستعرض تطور نظام الأسرة وكيف أن بعض الأنظمة المنصرمة عادت في العصر الحجري الحديث، وبعد أن يتحدث عن تطور الزواج في مصر والمغرب يصل الى المغرب فيما يدعى بعصر (الزبدة) ثم يتحدث عما يدعى بحضارة (الحساء)، ويدرس نشأة الغيرة وكيف كانت المرأة تعتبر جزءاً من الإرث، ويصل الى العصر الذهبي ومفهوم النبالة عند ابن رشد وابن خلدون، وتأثر المجتمع بالتعاليم السماوية وقضية الحجاب، وازدياد عدد النساء المحجبات في الريف وتناقصه في المدن، وتعتبر المؤلفة عصر الحجاب الحلقة الاخيرة من سلسلة التطورات التاريخية والاجتماعية .

محاضرات في الجرائم السياسية

كان الدكتور محمد الفاضل رئيس قسم القانون الجزائي واصول المحاكمات الجزائية في جامعة دمشق ، قد القى محاضرات في الجرائم السياسية في معهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية في القاهرة في السنـــة الدراسية ١٩٦١ — ١٩٦٢ ، فقام المعهد بنشر المحاضرات في كتاب سنة ١٩٦٢ ، واعاد المؤلف طباعة الكتاب معدلا في دمشق سنة ١٩٦٣ ؛ بعد ان نفدت طبعته الاولى. وقامت مديرية الكتب الجامعية باعادة طبعه للمرة الثالثة في هذا العام في ٣٥٠ صفحة. ويستعرض كتاب « محاضرات في الجرائم السياسية » الدور التقليدي الذي يلعبه القانون الجزائي الداخلي في حماية شخصية الدولة وصيانة حقوقها الاساسية في الخارج والداخل ضد الاجرام السياسي القومي الذي يتجلى في الجرائم الواقعة على أمن الدولة ، كما يستعرض الدور الحديث الذي طفق يلعبه القـــانون الجزائي الدولي والقانون الدولي الجزائي في حماية المصالـــح الاساسية للمجتمع الدولي عامة ، وصيانة القيم والحقوق الكبرى للجنس البشري قاطبة ضد الاجرام السياسي الدولي الذي يتجلى في الجرائم الدولية .

شــهريار

أصدرت دار الكتاب الجديد في بيروت كتاب « شهريار » في ١٤٢ صفحة ، وهو مسرحية في ثلاثة فصول للدكتور عمر النص ، يحاول فيها تحليل نفسية الملك شهريار من وجهة نظر جديدة باسلوب شعري . فهو يتناوله بعد قضائه الف ليلة وليــــلة مع شهرزاد في حكاياها التي ألهته عن قتلها . ورغم محافظته على شخصيات ألف ليلة وليلة وعلى مظاهرها التقليـــدية وعلى ديكور الرواية ، يضـــع هـــذه الشخصيات في مجتمع يتمتع بقيم على صورة القيم التي يعيشها المجتمع المعـــاصر . ويجعل من شهريار نفسه قضية فلسفية في علاقته مع شخصيات الرواية الاخرى ، وكأن شهريار بطل من أبطـــال الاساطير الاغريقية يعاني مشكلة راهنة يحاول المؤلف أن يجد لهما مخرجـــاً ، والمخرج اقرب الى المأساة .

وهذا مضمون فلسفي جديد ، لقصة الف ليلة وليلة التي طالما اوحت للادباء والشعراء طرزاً شتى من الأداء الفني ، والفلسفي ، على مر العصور .

الموقف العربي .. محاولة لتطبيق مبدأ العلاقات

صدر للدكتور خير الله عصار كتاب (الموقف العربي .. محاولة لتطبيق مبدأ العلاقات) في ١٠٠ صفحة . ويعالج الدكتور عصار — باعتباره باحثاً اجتماعياً — مشاكل المجتمع العربي ، منطلقاً من واقع المجتمع العربي التقليدي : قيمه وأفكاره

وعاداته وأفعاله ونمط معيشته ، ومن الشخصية العربية التقليدية : سماتها واتجاهاتها وقدراتها وبنيتها كما تحددها الملاحظة الموضوعية والدراسات العلمية .

ويتجاوز هذا البحث العرض الموضوعي لأنه يقيم ويعرض بعض الحلول . فهو لا يكتفي بمراقبة الجماهير ، وإنما يحاول الاشتراك معها في تقرير مصيرها ، مقلباً القضية على وجوهها ، ساعياً لعدم التخلي عن الأمانة العلمية .

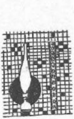
صرخة

اصدرت مؤسسة المعارف في بيروت كتاب « صرخة » في ١٦٠ صفحة . وهو مجموعة من الشعر الحديث للأديب الليبي علي صدقي عبد القادر ، تضم ٣٢ قطعة عاطفية وقومية وانسانية .

في القطع العاطفية موسيقى بين الازهار ، تحضن حبات الامطار ، وتحلم بالصبح ، وتضبط خطوات الصبايا . وفي القطع القومية ثورة تقرع اسوار المدن في البلاد العربية ، وتبحث عن العيد في اطراف الطريق ، وتدوس السجون ، وتحمل منديل البنفسج . وفي القطع الانسانية مظاهرة ضد التجارب النووية ، مظاهرة شعب يسد الباب ، لأن بلاده زيتون ونخيل وضياء وانهار من عسل ولبن وسلام .

موسم الراعي الحزين

أصدرت دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر في بيروت كتاب « موسم الراعي الحزين » وهو مجموعة شعرية للأديب محمود ختام . تقع في ١٧٠ صفحة تضم ٢٨ قطعة عاطفية لا وحدة بين أجزائها ، يلتزم في بعضها بحور الشعر وينطلق في بعضها مع الشعر الحديث . تدل المجموعة على شاعرية تبشر بنجاح في هذا الميدان .



• تقوم مؤسسة السينما — في الموسم الحالي — بانتاج عشرة افلام قصيرة وثائقية عن النشاط الاجتماعي والثقافي والفني الى جانب فلمين طويلين اجتماعيين هادفين .

• أبحرت من بريطانيا الباخرة التي تحمل معمل تسجيل الصوت الذي اشترته المؤسسة العامة للسينما . ومن المتوقع أن تصل الباخرة الى ميناء اللاذقية في مطلع تشرين الأول الحالي. وسيستقر معمل تسجيل الصوت موقتاً في ستوديوهات الاذاعة الى ان يتم بناء المدينة السينمائية الصغيرة التي تقرر انشاؤها .

• قررت وزارة الثقافة الاشتراك في معرض الكتاب العربي في بيروت، الذي سيقام في النصف الثاني من تشرين الثاني القادم ، وقد اتصلت بالوزارات والادارات التي تصدر كتبا للعرض من نتاج الدولة من المطبوعات . كما ستشترك دور النشر في هذا المعرض . وستبرز سورية الجهود المبذولة في تعميم التعليم وتؤكد جهود الدولة في نشر الثقافة وعرض ما تحويه سورية من مخطوطات ومدى جهود المجمع العلمي العربي في هذا السبيل .

• اقامت وزارة الثقافة دورة تدريبية للعاملين في مكتبات المراكز الثقافية ، وقد شملت الدورة قواعد الفهرسة الاساسية وقواعد الفهرسة الوصفية ومبادىء التصنيف وانواعه واختيار رؤوس الموضوعات ، مع مصادر المعرفة العامة والعربية خاصة ، بالاضافة الى

إدارة المكتبات . كانت الدورة باشراف بعض المختصين بالوثائق والمكتبات .

● تفتتح وزارة الثقافة في تشرين الاول الحالي معرض الخريف للفنون التشكيلية .

● تقيم وزارة الثقافة ، في تشرين الاول الحالي ، في المتحف الوطني بدمشق ، معرضاً لنخبة من اللوحات الزيتية والتماثيل الحديثة ، من متحف الفن الحديث في نيويورك .

● أعدت وزارة الثقافة معرض الطوابع العربية ، في المتحف الوطني بدمشق . يقدم المعرض نادي هواة الطوابع السوري ، وتشترك فيه بعض الدول العربية ومواطنون من الأقطار الشقيقة .

● بمناسبة معرض دمشق الدولي الثالث عشر أقيم على مسرح المعرض مهرجان فني اشتركت فيه فرق عربية واجنبية ، وقدمت فيه فرقة أمية القومية للفنون الشعبية أوبريت (وردة) ، ونظمت وزارة الثقافة للفرق الاجنبية برنامجاً في المحافظات ، وعقدت بعض المؤتمرات الصحفية ، منها الذي عقده القنصل العام لألمانية الديموقراطية ومدير جناحها في مقر القنصلية .

● اقامت وزارة الثقافة حفلة فنية في صالة الحمراء بدمشق ، تكريماً للوفود المشتركة في بطولة العالم العسكرية .

● افتتحت وزارة الثقافة في المتحف الوطني بدمشق معرض الفن الاسباني المعاصر .

● تقوم وزارة الثقافة بإعداد مدرج بصري للمهرجانات الفنية في العام القادم .

● وصلت الى محافظة حلب بعثة فرنسية للتنقيب عن الآثار ، تابعة المعهد الفرنسي في بيروت ، لتتابع اعمال التنقيب والمساحة ورسم المخططات اللازمة لعدد من المدن الاثرية القديمة الواقعة في منطقتي جبل سمعان وحارم مثل مدينتي داحس وماعز الاثريتين المبنيتين خلال العهود البيزنطية . وكانت البعثة قد قامت منذ مدة بتحريات وحفريات في المناطق المذكورة أدت الى اكتشاف بعض الابنية المدنية كالقصور والمعابد الدينية وعدد من الوثائق التاريخية المخطوطة التي تكشف عن حقائق العهود التي عاشتها هذه المدن .

● منعت وزارة الثقافة عرض البرامج الاستعراضية أثناء عرض الافلام السينمائية، حماية لرواد دور السينما الاحداث والمراهقين من مشاهدة برامج غنائية وراقصة لاتتناسب مع دورهم الذي ينتظرهم في المجتمع .

● صدر للباحثين خالد قوطرش وعبد اللطيف الارناؤوط كتاب (الاخطاء الشائعة في اللغة العربية) .

مكتبة سعادة في اللاذقية

من الظواهر ذات الدلالة الاجتماعية والثقافية في بلادنا ، وجود مكتبة ضخمة يملكها فرد واحد ، في مدينـــة اللاذقية . وهي مكتبة

الاستاذ جبرائيل سعادة . وعندما تذكر هذه المكتبة يذكر حدث غير منكور ولا شائع، على كل حال عندنا ، وإنما كان .

زار رئيس تحرير المعرفة ، مكتبة سعادة في المدينة الجميلة ، وأعجب بالدأب وروح المتابعة اللذين يتصف بهما صاحب المكتبة ، وهو من المثقفين الذين يقتنون بالكتب، ولا يغتنون منها .

تضم المكتبة المتحفية هذه الفي مجلد (٢٠٠٠) باللغة العربيـــة ، وثلاثة آلاف وخمسمائة مجلد (٣٥٠٠) باللغتين الفرنسية والانكليزية وسواهما . ويسود الكتب الطابع العلمي والتاريخي، ولا يزيد عدد الروايات والمجموعات القصصية العالمية عن اربعمائة كتاب من المجموع .

ففي فرع التاريخ والآثار كتب نادرة ومجلدات باهظة الثمن . وفيه مراجـــع ثمينة جداً عن الاستشراق والمستشرقين ، وفي فرع الأدب العربي اشهر كتب تاريـــخ الادب . وفي فروع الادب والفنون، مجموعات نفيسة من الآداب العالمية الى جانب الانتاج الادبي العربي المعاصر . وتجتمع مراجع ممتازة في البحوث السياسية والاجتماعيـــة والفلسفة والحقوق والاقتصاد ، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، بالاضافة الى كتب ومراجع في الاديان وفلسفتها ، وتاريخها ، عـــدا عن القواميس العملية واللغوية ، ودوائر المعارف المشهورة : الانسيكلوبيديات .

ودأب الاستاذ جبرائيل سعادة في جناح خاص على جمـــع كل شيء عن اللاذقيـــة ، بوثائق الكتب والمخطوطات والصور ، قديماً منذ اقدم الازمنة ، وحديثاً حتى اليوم هذا .. وعندما يتم هذا الجناح ، سيكون صاحب المكتبة قد قدم هدية لاتنسى لمدينته التي يحبها، ويعتقد انها جمعت جمالات الارض كلها . وقد حشد لها حتى الآن في سجلاته اكثر من سبعة آلاف صورة .

والاستاذ جبرائيل ليس « جامعاً » من الطراز الاول ، إنه قارىء من هـذا الطراز ايضاً . وهو مؤلف ، وفنـــان ، على سبيل الهواية والمتعة الفكرية .

ولما كان هذا الحدث ليس عادياً في حياتنا الثقافية وجب تسجيل هذه اللمحة ، لاسيا وان الاستاذ سعادة قد فتح داره لمن يرغب في المطالعة والحصول على بعض المراجع .